



الجمهورية العربية السورية
جامعة دمشق
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم الآثار

العمارة السكنية في قرى جنوب سورية خلال العصور الكلاسيكية :

دراسات للمواقع الأثرية والتوثيق المعماري الأثري
باستخدام الحاسوب

مشروع بحث أعد لنيل درجة الماجستير في الآثار الكلاسيكية والإسلامية

إشراف:

الأستاذ الدكتور زياد سلهب

الأستاذ الدكتور باسل الخطيب

إعداد : ديماء أشقر

دمشق ٢٠١٠-٢٠١١

الإهداء

أبي

حال القدر دون أن أنال عناق تمننتك القلبية

إلى روحك الغالية

أمي

أحب ودعاء التوفيق الدائم هو أكبر ملهم للاجتهاد

أطال الله في عسرك

أختي

دائماً وأبداً

رغد باش

صديقتي العزيزة والغالية وأكثر

شكر

إلى الأساتذة الكرام في قسم الآثار جامعة دمشق لكم مني فائق الاحترام والتحية....

إلى الدكتور زاهد سلهب الذي فكر بالإنترنت على هذا البحوث المتواضعة....

إلى الدكتور باسل الخطيب الأساذ في كلية الهندسة المعمارية في جامعة دمشق لكم مني فائق

الاحترام والتقدير.

إلى الدكتور مأمون جبر الكريج شكرًا لرحابة صدره ولكل ما قدمه لي من عون....

إلى الدكتور عبيد عراف الأساذ في كلية الهندسة المعمارية في جامعة دمشق أشكر

تواضعا واحسانا لكل الحب والتقدير....

إلى الأساذ كنج فاضل رئيس الاتحاد الوطني لطلبة سورية صاحب الفضل الكبير....

إلى المهندس أحمد تروني والأساذ حماد الدين محمود أشكر تعاونكم والمجهود الكبير الذي

بذلناه لإنجاز هذا البحث.....

فهرس المحتويات

المقدمة	١
الفصل الأول: دراسة الموقع الأثري والتوثيق المعماري الأثري وأهم الخيارات	
التكنولوجية المستخدمة في هذا المجال	٨
1.1 الموقع الأثري والتوثيق	٨
١.١.١ الموقع الأثري	٨
١.١.٢ التوثيق	٩
١.١.٣ بنوك المعلومات وقاعدة البيانات	٩
1.2 الخيارات التكنولوجية الحديثة المستخدمة في دراسة الموقع الأثري والتوثيق	
المعماري	11
1.2.1 الاستشعار عن بعد	11
1.2.2 أنظمة المعلومات الجغرافية (GIS) وابتكار النموذج التنبؤي ثلاثي الأبعاد	
(3 Dimentional Computer Modelling)	13
1.2.2.1 الواقع الافتراضي وعلم الآثار	14
1.2.3 مزايا وعقبات استخدام الحاسوب في مجال علم الآثار	17
الفصل الثاني: منطقة جنوب سورية - حوران - الإطار الجغرافي والتاريخي	19
2.1 الإطار الجغرافي	19
2.2 الإطار التاريخي	24
الفصل الثالث: المسكن القروي في منطقة جنوب سورية - حوران -	30
3.1 المشهد الطبيعي	30
3.2 التنظيم القروي	30
٣.٢.١ بنية القرية وتنظيمها الحيّزي	٣٠
٣.٢.٢ شبكة الطرق	٣٢

٣٤	٣.٢.٣ المياه
٣٤	3.3 المسكن القروي
36	3.3.1 أنواع المساكن
37	3.3.2 تقنيات البناء والتنظيم
٤٣	3.3.3 وحدة بناء معمارية
٤٥	3.3.4 التنظيم الحيزي ومنظومة التنقل
٤٥	3.3.4.1 الفناء
٤٦	3.3.4.2 مباني منظمة ضمن طابقين
٤٦	3.3.4.3 الأروقة
٤٨	3.3.4.4 الممرات
٤٨	3.4 وظيفة وتقسيم الحيّز
٤٨	3.4.1 الحيّزات المتعلقة بالانشاطات الزراعية والرعية
٥١	3.4.2 حيّزات الاستقبال والسكن
56	3.4.3 ترتيبات خاصة
٥٩	3.4.4 أنواع مختلفة من المساكن
٦٣	3.3.5 مسألة التسلسل الزمني
٦٦	3.3.6 الزخارف المعمارية
٦٦	3.3.6.1 الزخرفة المعمارية في مساكن البثنية
٦٨	3.3.6.1.1 أماكن توضع الزخرفة
٧٩	3.3.6.1.2 المواضيع الزخرفية
٨٩	3.3.6.1.3 دلالات الزخرفة
٩٢	3.3.6.1.4 مشاكل التأريخ
٩٦	الفصل الرابع: دراسة حالات خاصة

4.1	بيت عمّر في قرية عمرة	٩٦
4.1.1	وصف الصرح	٩٧
٤.١.١.١	المسكن عمّر	٩٧
٤.١.١.٢	وظيفة بيت عمّر	١٠١
٤.١.١.٢.١	تحديد ميليكور دو فوغي للحيزّات المختلفة	١٠١
٤.١.١.٢.٢	اقتراحات جديدة للتفسير	١٠٢
٤.١.١.٢.٣	مقارنات مع ما نشره ميليكور دو فوغي	١٠٨
4.2	دار مجرش في قرية محجة	١١٠
4.2.1	دراسة التنظيمات الحيزية والأنظمة المتبعة في البناء	١١٠
4.2.1.1	وصف المكان	١١٠
4.2.1.2	تقنيات البناء	١١٥
4.2.1.2.1	أقسام البناء الأساسية	١١٥
4.2.1.2.2	أقسام البناء الثانوية	١٢١
4.2.1.2.3	الزخرفة	١٢٣
4.2.1.2.4	معيّار البناء الأصلي والتكيف	١٢٣
4.2.1.2.5	صور ثلاثية الأبعاد لدار مجرش	١٣٠
	الخاتمة	١٤٠
	ملحق الأشكال واللوحات	١٤٣
	أولاً: الأشكال	١٤٣
	ثانياً: اللوحات	١٦٦
	قائمة الأشكال واللوحات	231
	أولاً: قائمة الأشكال	231
	ثانياً: قائمة اللوحات	233

247		قائمة المراجع العربية والأجنبية
260		ملخص البحث باللغة العربية
261		ملخص البحث باللغة الإنكليزية

المقدمة:

تأتي أهمية دراسة الإرث الحضاري ومعالمة كونه شاهداً حياً على تقاليد الشعوب المتأصلة وعراقة عمرانها وارتباطه الوثيق بالبيئة والعادات المتوارثة. إنه يمثل هوية الأمة وذاكرتها بكل ما فيها من أحداث على مر التاريخ، وحتى ولو تواجد في بقعة محددة من الأرض، فإنه ملكاً للبشرية جمعاء تستنبط منه معايير يقاس عليها في كل المجالات.

يعتبر الشرق الأدنى واحداً من أغنى مناطق العالم بالإرث الحضاري، فأرضه شهدت بدقة ودون انقطاع الانقلاب الجذري للإنسان من ساكن كهوف إلى مواطن مديني حضري بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى. لم يكن هناك أفضل من فن العمارة لتسجيل أصغر تفاصيل هذه التغيرات، فالأبنية معقدة بمفاهيمها واستخداماتها ومستمرة بعد إنجازها وبطيئة في تطورها، وهي، ونتيجة لاستجاباتها لحاجات أساسية، تعكس جيداً نمط حياة أو حالة اجتماعية وما يطرأ عليهما من تطورات متتالية، أما عن أبسط أشكال هذه العمارة على امتداد العصور وأكثرها قدماً فهو المسكن القروي.

في الحقيقة، يتشابه المسكن القروي ببساطته في كل الحضارات تقريباً، وما يميز مساكن منطقة عن منطقة أخرى هو المواد المستخدمة في بنائها ومخططها وهي أمور يفرضها المحيط، وإذا ما تجاوزت المساكن القروية حدود البساطة فهي تعكس بذلك غنى الحقبة الزمنية التي شيدت فيها. هذا هو حال المسكن القروي في منطقة جنوب سورية (حوران) الذي بلغ أوج تطوره في العصر الكلاسيكي عاكساً بفخامته الظاهرة ما شهدته تلك الحقبة من تطور اقتصادي لا سابق له¹. إلا أن هذا الإرث الذي قاوم عبر قرونٍ طويلةٍ بات اليوم مهدداً بالانهيار بسبب اجتياح المدن من جهة وبسبب عمليات النهب والتخريب العشوائي الذي يتعرض له من جهة أخرى. أمام هذا الواقع، يتوجب علينا الإسراع في إنقاذ هذا الإرث والحفاظ عليه باستخدام أحدث ما توصل إليه العلم من تقانات وطرق وعلى رأسها الحاسوب سيما بعد التغيرات الجذرية التي أحدثتها ثورته الرقمية في دراسة كل العلوم بما فيها علم الآثار. لا تسهّل تقانات المعلوماتية على عالم الآثار مهمة إعداد قاعدة بيانات شاملة لتوثيق الموقع (أو المبنى الأثري) بكل عناصره ومفرداته فحسب بل تضمن تتبع تاريخي كامل لجميع العوامل البيئية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي تعرض لها الموقع وما طرأ عليه من تعديلات وترميمات، هذا بالإضافة إلى دراسة الوضع الراهن وتحليل جميع المشاكل ومظاهر

¹ Pascale Clause, B et autres: L'habitat dans les campagnes de Syrie du sud, **Hauran3**, Beyrouth, 2008 P. 1.

التدهور. كل ذلك تمهيداً لوضع الحلول وطرق العلاج واختيار وتحديد أساليب الترميم بهدف إعادة توظيفه واستغلاله مرة أخرى بما يعود بالمنافع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية للسكان المحليين والأجانب مع مراعاة الحفاظ على القيم الجمالية والأثرية للموقع الأثري المدروس.

لقد تم البدء فعلياً باستخدام تقانات الحاسوب في دراسة الآثار في سورية، إلا أن هذا الاستخدام مازال في بداياته ويحتاج إلى الصقل وإلى الاستفادة من التجارب الدولية الناجحة في هذا المجال وقبل كل شيء إلى خبراء يدركون أهمية الإسراع في إنقاذه ما يمكن إنقاذه من إرثنا الحضاري المهدد قبل فوات الأوان.

إشكالية البحث:

كما ذكرت في المقدمة تم البدء بإنشاء قواعد بيانات لتوثيق بعض المواقع الأثرية في سورية وهي عمليات تقوم بها في أكثر الأحيان بعثات أجنبية حصلت على بياناتها بالطرق التقليدية للدراسات الأثرية أمام التكلفة الباهظة للطرق التكنولوجية الحديثة، وهي طرق تعتمد على التحليل والمقارنة والتخمين في حال غياب الدليل القاطع، وبالتالي وأمام غياب المصادقية الكاملة هل نستطيع فعلاً أن ندعو هذه العمليات عمليات توثيق؟

على الرغم من أن الكثير من الأبنية المعنية في موضوع الدراسة محفوظ بشكل جيد نتيجة كون الحجر البازلتي المقاوم عبر الزمن هو مادة البناء الأساسية، فإن العديد من هذه الأبنية أعيد شغلها بدءاً من نهاية القرن السابع عشر. لم يحترم السكان الجدد النظام العقلائي لمساكنهم، هذا بالإضافة إلى ما أجروه من إصلاحات وترميمات وإضافات أو ربما هدم بطرق عشوائية غير منهجية أو حتى استخدام أحجارها لبناء مساكن جديدة لهم، مشوهين بذلك ودرجة كبيرة أحياناً، ملامح هذه الأبنية وخالفين سلسلة من الالتباسات أمام التحليل الأثري، وبات السؤال المطروح هنا: ما هي النماذج المتبقية التي تعطي صورة واضحة وحقيقية عن العمارة السكنية خلال العصرين الروماني والبيزنطي؟ وهل السمات التي تميز المساكن المدروسة هي فعلاً سمات العمارة السكنية خلال هذين العصرين؟

بالإضافة إلى ذلك، ذكرنا أن هذا الإرث الحضاري يتدهور شيئاً فشيئاً، فما استطاع أن يصمد أمام عواصف الزمن وأمام الزلازل العنيفة التي هزت المنطقة من حين لآخر، أخذ بالانهيار أمام الآليات الضخمة المستخدمة لتأهيل القرى الحديثة وإمدادها بالبنى التحتية الضرورية لحياة سكانها وزراعتهم التي تشكل مصدر عيشهم. في ظل هذه الظروف وفي ظل الغياب شبه الكامل للوعي السكاني لأهمية هذا الإرث هل سيكون بالإمكان توثيق هذا الإرث قبل زواله حتى ولو استخدمنا أحدث التقانات والطرق؟

أخيراً، تحقيق مثل هذه الدراسات المعتمدة على التقانات الحديثة ومثل هذه القواعد للبيانات بحاجة لتمويل ولتنسيق متكامل بين علوم مختلفة (آثار- جيولوجية - عمارة- خبراء حاسوب) فهل سيكون بالإمكان تحقيق مثل هذه المتطلبات؟

أهمية وأهداف البحث:

أمام الازدياد الكبير لعدد المعطيات الأثرية وتدفقها من جهة، وأمام المخاطر والمهددات الطبيعية والبشرية التي يتعرض لها الإرث الحضاري من جهة أخرى، شكّل الحاسوب أداة مثالية لحماية هذا الإرث وحفظه وذلك لقدرته على تسجيل كم هائل من المعلومات الرقمية ضمن بنوك معلوماتية يمكن الإضافة إليها أو تعديلها حسب تطورات البحث.

بالإضافة إلى دور بنوك المعلومات في تسهيل التوثيق، يتوقع منها أيضاً أن يكون لها دور فعال في إحصاء متعدد الأبعاد لعدد كبير جداً من الصفات المميزة (تصنيف لقي أثرية، مصدرها، مكان تواجدها، عدد أبنية، تسلسل زمني إلخ...) التي تتواجد في عدد لا متناه من وثائق يمكن الولوج إليها بسهولة وعلى نطاق واسع بحيث تسمح بإجراء بحث توثيقي أثري بالاعتماد على مقارنة الأشياء المتماثلة التي يمكن لهذه الأداة أن تجدها في الحال حتى ولو كانت بأشكالها الأكثر تعقيداً.

إذاً، يتوجب على المعلوماتية أن تسمح بالاستغناء عن عمليات المراجعة والفرز الشخصية اللامتناهية ليحل محلها الحصول الفوري على معلومة يمكن الاعتماد عليها في البحث والتحليل ووضع نظريات والتدريس آخذين بعين الاعتبار أن هذه المعلومة لا يوثقها شخص عادي مهمته التوثيق فقط وإنما باحث مختص يستطيع استردادها أو تبادلها بهدف الحصول على توثيق مشترك غني جداً ومفتوح أمام الجميع بما فيهم الأجيال القادمة التي من حقها أن تتعرف على الإرث الذي نقله أجدادنا إلينا.

أما عن سبب اختياري للمساكن القروية في منطقة جنوب سورية (حوران) لتكون محوراً أساسياً في بحثي فهو كما ذكرت أن فن العمارة هو من أهم العناصر التي تعكس مرحلة تاريخية ما. ومنطقة سورية الجنوبية هي من بين المناطق القليلة التي عثر فيها على مساكن قروية تعود للعصرين الروماني والبيزنطي وتكون محفوظة بشكل جيد كونها مبنية فقط من الحجارة البازلتية مع الاستغناء الكلي تقريباً عن الخشب.

سبب البحث أيضاً كيف تكيف سكان المنطقة الجنوبية مع قلة الأمطار وضيق المساحة القابلة للزراعة في الفترة المدروسة باختيار أماكن سكنهم في المنحدرات والسفوح الجرداء لتوفير الأراضي القابلة للاستصلاح ما أمكن وللتمكن من جمع مياه الأمطار، وكيف لجؤوا إلى اختصار المساحة

المبنية برفع البناء عمودياً بدلاً من توسيعه أفقياً لتكون وظيفة غرف الطابق الأرضي تربية المواشي وإدارة الأعمال ولتخصص الطوابق العلوية لغرف المعيشة والمنامة.

منهجية البحث:

تقوم منهجية هذا البحث على عرض وشرح مجموعة من المبادئ الأساسية للتقنيات الرقمية الحديثة وكيفية الاستفادة من هذه التقنيات في دراسة علم الآثار وتوثيق المادة الأثرية . هذا فيما يخص الشق المعلوماتي، أما فيما يخص الشق الأثري فسيكون الاعتماد على المنهجين الوصفي والتحليلي:

المنهج الوصفي ويتم من خلاله وصف ما تم معاينته ميدانياً وكذلك محاولة الاستفادة من ما قرأ من وصوف لرحالة أو لعلماء آثار زاروا المنطقة، أما المنهج التحليلي فسنعرض من خلاله آخر ما توصلت إليه حملات التنقيب الوطنية والأجنبية من اكتشافات وتحليلات واستنتاجات عبر استخلاص ما تم نشره من مواد متعلقة بموضوع البحث.

قُسم البحث إلى أربعة فصول بالإضافة إلى المقدمة والخاتمة، وهي كالتالي:

الفصل الأول: دراسة الموقع الأثري والتوثيق المعماري الأثري وأهم الخيارات التكنولوجية المستخدمة في هذا المجال:

سنتحدث في هذا الفصل عن الموقع الأثري وكيف تطورت دراسته لتشمل ليس فقط المساحة المقتصرة عليه بكل ما تحتويه من عمران ولقى وإنما البيئة المحيطة وغير ذلك من ظروف بيئية ومناخية وتأثيرها عليه، كما سنتحدث عن التوثيق وأهميته في الحفاظ على الإرث العمراني خاصة وكيف يتم بناء قاعدة البيانات (Data base) التي تعتبر حجر الأساس للتوثيق اليوم، لنتناول أخيراً أهم الخيارات التكنولوجية التي تبناها الآثاريون في دراسة المواقع الأثرية المكتشفة وتوثيقها.

الفصل الثاني: منطقة جنوب سورية -حوران- الإطار الجغرافي والتاريخي:

سنتناول في هذا الفصل جيولوجية حوران وأهميتها الجغرافية المتمثلة بموقعها الحساس والمميز كبوابة جنوبية لبلاد الشام على شبه الجزيرة العربية، كما سنتحدث عن تاريخ حوران في العصرين الروماني والبيزنطي.

الفصل الثالث: المسكن القروي في منطقة جنوب سورية -حوران-:

سنُخصص هذا الفصل للحديث عن التنظيم القروي الحوراني خلال العصرين الروماني والبيزنطي. سنتحدث في البداية عن تنوع القرى وتطورها وعن الحيز القروي وتنظيمه لننتقل فيما بعد إلى وصف المسكن القروي بما تميز به من سمات عامة وتقنيات بنائه وتنظيمه وتقسيماته وزخرفته وما حملته هذه الزخرفة من مواضيع مختلفة.

الفصل الرابع: دراسة حالات خاصة:

سنتحدث في هذا الفصل بالتفصيل عن بيت عقل عمر في قرية عمرة باعتباره واحداً من مساكن الطبقة الغنية لسكان المنطقة في الحقبة الكلاسيكية، كما سنتحدث عن دار مجرش في قرية محجة وسنعرض صور ثلاثية الأبعاد للدار حصلنا عليها انطلاقاً من صور ثنائية الأبعاد من خلال معالجتها ضمن برامج حاسوبية (Photoshop / 3D Max / AutoCAD).

الخاتمة: سنتحدث فيها عن النتائج العلمية التي تم التوصل إليها في هذا البحث.

الفصل الأول: دراسة الموقع الأثري والتوثيق المعماري الأثري وأهم الخيارات التكنولوجية المستخدمة في هذا المجال:

1.1 الموقع الأثري والتوثيق:

1.1.1 الموقع الأثري:

لم يعد معنى الموقع الأثري يقتصر اليوم على ذلك الحيز المكاني الضيق أو الواسع الذي شغله الإنسان في حقبة ما في الماضي وإنما امتد ليشمل البيئة المحيطة بهذا الموقع بكل عواملها الجغرافية والاجتماعية والثقافية وبكل ما تحمله من آثار وحتى أكثرها بساطة، لأنه وبمجرد وجودها في هذا المحيط ومهما كان عددها فإن لكل ذلك معنى ما يمكن له أن يساعد في معرفة الحياة اليومية والاقتصادية بدقة لا نجدها في النصوص المكتوبة عادة. إذًا، أصبحنا أمام ما يسمى علم آثار المشهد الطبيعي الذي يذهب إلى أبعد من الاعتبار المناطقي البسيط للعلاقة بين المنشأة والوسط، أي أصبحت الممارسات التي تدور في هذه الأماكن هي أساس التحليل وليس التوضعات الحيزية بحد ذاتها². إنه مسعى لإدراك العقل البشري من خلال أعماله، أو بمعنى آخر هو دراسة كيفية إدراك الإنسان للمشاهد الطبيعية المحيطة به وتفاعله معها في الماضي لفهم كيف تطور شكل الإنسان وما الذي أثر في هذا التطور وإلى معرفة العوالم التي عاش فيها -والتي تكون بطبيعة الحال ملبية لاحتياجاته- ونماذج استقراره التي كانت تتغير وفقاً لتغير استخدامه للمحيط وكيف كان يتنقل وما هي الأشياء التي كان بإمكانه رؤيتها. ينتج عن هذه الدراسة ذات الطبيعة التاريخية والبيئية كم هائل جداً من البيانات المتغايرة الخواص (نصوص، رسومات، صور، أفلام، خرائط...) التي يصعب تخزينها واستخدامها. يكون استخدام التقنيات الرقمية الحديثة في هذه الحالة مفيداً جداً إذا تمكن المصممون من تحويل هذه البيانات المتواجدة أصلاً إلى بيانات رقمية ومن معرفة التاريخ الذي تعود إليه اللقى الأثرية³. ليس هذا فحسب فعلماء الآثار وغيرهم من المعنيين بحاجة إلى مساعدة هذه التقنيات أكثر من أي وقت مضى، سيما أن الكثير من المواقع الأثرية معرضة لخطر التخريب أو حتى الاندثار نتيجة عوامل الحت والكوارث الطبيعية من زلازل وحرائق وغيرها من جهة والزحف المدني غير المخطط كفاية في كثير من الأحيان، والسلب وإهمال المواطنين المحليين المتعمد وغير المتعمد وقلة وعيهم تجاه قيمة ما يملكون من إرث حضاري غني من جهة أخرى.

² درويش، إبراهيم: التنمية الإدارية، القاهرة، 1982، ص. 77.

³ Clark, J: *Computer applications and quantitative methodes in archeology*, United States, 2006, P. 40.

أما عن أهم الخطوات المتبعة في حفظ هذا الإرث فهي توثيقه بأسرع وقت ممكن، إذ يمكن للتوثيق أن يصبح الدليل الوحيد على مادة أثرية كانت موجودة يوماً ما.

1.1.2 التوثيق:

التوثيق بشكل عام هو عملية ينتج عنها مادة مكتوبة أو مطبوعة أو غيرها من مواد وبيانات ومعلومات ورسوم تصويرية عن الموضوع المستقاة منه (الإرث الثقافي) والذي يشكل بحد ذاته أساس عملية الحفظ والإدارة.

- التوثيق المعماري:

هو تسجيل معماري كامل لكل البيانات المعمارية -التصويرية وغير التصويرية- المتوفرة عن المادة الأثرية المعمارية وكل ما يحيط بها في فترة محددة من الزمن وفهرستها وتخزينها واستردادها وإدارتها، وهو لا يشكل هدفاً أو مرحلة نهائية، بل هو خطوة أولى لمراحل هامة لاحقة كإدارة هذا الإرث المعماري ودراسة وتحليل ما يتعلق به من بيانات لفهمه ولمراقبته عبر الزمن ولحمايته وحفظه وللوصول إلى أمثل طريقة لترميمه أو حتى إعادة بنائه إذا لزم الأمر⁴. بالإضافة إلى ما سبق يمثل هذا التوثيق مراجع ثقافية لها أهميتها البارزة على المستوى الحضاري والعلمي والاقتصادي فمن الناحية الحضارية يجسد التراث العمراني حضارة الأمة وهويتها، وعلى المستوى العلمي يضم هذا التراث بين ثناياه الكثير من الأسس والمبادئ العمرانية التي يمكن القياس عليها للمساعدة في تطوير البيئة العمرانية المعاصرة والمستقبلية فيما يخص المدن والتخطيط العمراني وحتى الأبنية المفردة، أما على المستوى الاقتصادي يلقي التوثيق الضوء على هذا التراث كعنصر جذب سياحي مهم يعود بالمنافع الاقتصادية والاجتماعية على السكان المحليين خاصة. لعل أهم مراحل توثيق الإرث الثقافي هو خلق بنك معلومات أيقوني رقمي يضم كل البيانات المتعلقة به⁵.

1.1.3 بنوك المعلومات وقاعدة البيانات:

الهدف من اللجوء إلى الحاسوب هو وضع المجموعات الأثرية المؤلفة من عناصر مختلفة إلى جانب بعضها البعض بحسب الروابط التي تربطها وذلك بعد أتمتة كل هذه العناصر للتمكن من تخزينها حاسوبياً بشكل تكون فيه في متناول الجميع وجاهزة ليتم استخدامها وفق برامج ملائمة

⁴ شحاتة، أحمد/حمدي، إسلام: استخدام الوسائط المتعددة في تسجيل وتوثيق المباني ذات القيمة التراثية، ندوة التراث العمراني في المدن بين المحافظة والمعاصرة، المعهد العربي لإنماء المدن، منطقة المدن العربية، حمص، 2001، ص. 15.

⁵ Orton, C: *Mathematics and informatic in Archaeology*, Cambridge, 1980, P. 50-51.

بحسب الأسئلة التي يمكن أن يطرحها متصفح محتمل. هذا هو في الحقيقة مبدأ بنك المعلومات الذي هو حجر الأساس لقاعدة البيانات، دون أن ننسى طبعاً وجوب كون المعطيات المدخلة إلى الحاسوب صحيحة ودقيقة وكون قوائم الصفات المتعلقة بالمجموعات الأثرية قصيرة وذات معنى. إذاً، تسجل مجمل الصفات التي يستفيد منها علماء الآثار في براهينهم التأويلية بعد تصنيفها لتشكّل ما يسمى البنك الوثائقي بالإضافة إلى تسجيل صفات تسمح فقط بأخذ فكرة أكثر دقة عن الوثيقة أو أنها تجيب عن سؤال بسيط فقط وهذه تشكل ما يسمى بنك الفهارس. بمعنى آخر تلحق بنوك دقيقة أعدها مختصين وفق منظور خاص ببنوك كبيرة جداً معلوماتها قليلة وعامة.

يتمثل دور الحاسوب باختصار في احتواء ذاكرته على عناصر الحقائق، وأن يسترد منه عند الطلب قوائم مصنفة حسب المعايير المختارة.

عندما يتعلق الأمر بالإرث المعماري يكون الهدف من بنك المعلومات ما يلي:

- 1 - وضع الإرث المعماري تماماً في مكانه بتسليط الضوء على العلاقات القائمة بين الأبنية المفهومة والمحيط المتواجدة فيه.
- 2 - تحديد وفحص مصادر التوثيق المتعلقة بهذه الأبنية.
- 3 - الوصول إلى أرشفة نوعية تساعد في إنجاز التحاليل المدنية وتنظيم تخطيط المدن والحدود⁶ إلخ....

أما أهم البيانات التي سيجملها هذا البنك فهي كالآتي:

- 1 - التعريف الرسمي: أي مكان تواجد البناء والرقم المساحي والتصنيف.
- 2 - التعريف التاريخي المتمثل باسم البناء ووظيفته وتاريخه ومتعديه وأسماء المعمارين.
- 3 - المحجامة أو العلاقة ثلاثية الأبعاد التي يحددها عدد المنافذ والمستويات -الأصلية والحالية- وهذا ما توضحه المخططات والمقاطع ومساقط البناء.
- 4 - اندماج البناء مع محيطه أو العلاقة التي تربطه به وما ينجم عن ذلك من نتائج طبولوجية بالإضافة إلى الحيزات الداخلية وما يربطها من علاقات.
- 5 - المناهج المتبعة في البناء أو التأثيرات المنهجية المختلفة والنقوش الموجودة وأنواعها.
- 6 - مواد البناء: هل هي مواد طبيعية أم مصنعة، هل هي محلية أم مستوردة.

⁶ قنديلجي، عامر/فاضل، إيمان: تكنولوجيا المعلومات وتطبيقاتها، عمان، 2002، ص. 30.

- 7 - الواجهات: تركيبها وترتيبها وأسسها.
- 8 - المنافذ: مواضع الأبواب والنوافذ وطبولوجيتها.
- 9 - التغييرات الطارئة على البناء مع الزمن سواء تعلق الأمر بوظيفته أو بشكله أو حتى بمواد البناء المستخدمة والعناصر الداخلية وغيرها.
- 10 - التخمين الأولي لأهمية البناء.
- 11 - حالة حفظه الحالية وما لحق بأقسامه من أضرار.
- 12 - يضاف إلى كل ذلك التاريخ الذي جمعت فيه المعلومات.

1.2 الخيارات التكنولوجية المناسبة لدراسة الموقع الأثري والتوثيق المعماري:

لابتكار صورة واقعية للموقع لا بد من الحصول على خرائط دقيقة له أي لا بد من تنقيبه لجمع كافة المعلومات الحيزية المتعلقة به، وبما أن التنقيب مكلف وقد يؤدي في حالات عديدة إلى تدمير المادة المدروسة، لذلك يجب أن تتقدم عملية التنقيب هذه دراسة تمهيدية تكون أهم خطوة فيها بعد جمع كل المعلومات والخرائط والصور القديمة المتعلقة بالموقع هي مسحه مسحاً سريعاً ودقيقاً ورخيصاً ما أمكن.

تستخدم عادة طرق تقليدية في المسح تعتمد على العين المجردة وتحديد مكان النقاط بالقياس المباشر للمسافة باستخدام أدوات بسيطة مثل شريط القياس (المتر) والمسطرة المثنية والذراع الثلاثية الأبعاد وأدوات أخرى مثل أقلام وأوراق وأشرطة تسجيل وغيرها⁷. هذه الطريقة فعّالة في حال كان الدخول إلى الموقع ميسراً ومعاينته سهلة إلا أنها تستغرق وقتاً طويلاً، لكن ما هي الحلول المبتكرة أمام المواقع الصعبة الدخول أو تلك الآيلة للندثار؟⁸.

1.2.1 الاستشعار عن بعد:

إنه الطريقة الأكثر فعالية لمسح مساحات واسعة من الأرض لمعرفة التغيرات البنيوية في التربة والنبات والأرض والتي يمكن أن تكون ناتجة عن النشاط البشري أو عمليات السلب، كما تعتبر الطريقة الأسرع لمسح الأراضي غير الآمنة أو المواقع التي لا يسمح بدخول علماء الآثار إليها لأسباب مختلفة.

⁷ Camara, A\Raper, J: *Spatial multimedia and virtual reality*, London, 1999, P. 42.

⁸ أبو بكر، فاتن: نظم الإدارة المفتوحة في مجال الآثار، القاهرة، 2001، ص. 101.

وهو يعتمد بالدرجة الأولى على المعطيات التي يتم الحصول عليها من الأقمار الصناعية التي تدور حول الأرض أو من المركبات الجوية كالمطائرات والمناطيد وغيرها باستخدام تقنيات متعددة أهمها: التصوير متعدد الأطياف باستخدام طيف محدد من الأشعة المرئية والتصوير الانعكاسي باستخدام الأشعة تحت الحمراء (IRR) والرادار الخارق للأرض (GPR) ونظام تحديد المواقع الشامل (GPS)(Global Position System) والتصوير المساحي الضوئي وسنشرح عنه قليلاً لأهميته الأثرية:

التصوير المساحي الضوئي هو عبارة عن تقنية تحاكي نظرة العين البشرية، الهدف منها قياس مواد أثرية ثنائية وثلاثية الأبعاد انطلاقاً من صور ضوئية تلتقطها آلات تصوير رقمية معقولة الكلفة أو ماسحات ليزيرية. إن أهم ما يميز هذه التقنية هي حقيقة أنه يمكن قياس المواد الأثرية دون لمسها أي دون التسبب في تخريبها المحتمل، وهي لا تعتبر تقنية مسح أثري فحسب وإنما هي أيضاً جزء من العديد من طرق توثيق الإرث الثقافي، إذ أنها واحدة من تقنيات الحصول على البيانات والقياسات الطبوغرافية التي أثبتت نجاحها في صيانة الآثار خلال المائة عام الأخيرة، إنها الطريقة الوحيدة التي تضمن مصداقية ودقة الوضع الحالي بالإضافة إلى سهولتها وسرعتها وأهميتها الكبيرة في التفسير الأثري.

إن الفكرة الأساسية للتصوير المساحي الضوئي فيما يتعلق بالإرث المعماري هي الحصول على وصف هندسي دقيق لكل معلم وعناصره البنيوية وكشف التصدعات والتغيرات المكانية للعناصر المعمارية المكونة له للقيام بتحليل بنيوي موثوق ودقيق جداً الهدف منه اتخاذ القرارات المتعلقة بتدخلات الترميم، وللحصول على معلومات نوعية عن مواد البناء وتقنياته وللمساعدة في إعداد نماذج بنيوية على أساس صور حقيقية يمكن استخدامها في بناء واقع افتراضي.

يستخدم ماسحو التصوير الضوئي بعض الطرق مثل الطائرات الورقية والمناطيد والرافعات وطائرات الهليكوبتر العادية أو الصغيرة الموجهة لاسلكياً وغيرها من الطرق لالتقاط عدد كبير من الصور الرقمية التي تُدمج داخل الحاسوب باستخدام تقنية رسم المخططات والتصميم (CAD) للحصول على مخططات أساسية للمادة المعمارية وعلى رسوم عالية الدقة والتفاصيل يمكن انطلاقاً منها ابتكار نماذج رقمية ثلاثية الأبعاد. في المقابل، يؤمن التصوير المساحي الفضائي* صوراً

* في هذه الحالة يتم الحصول على الصور من آلات التصوير الرقمية والماسحات الإلكترونية المحمولة على المركبات الفضائية.

فضائية واضحة ودقيقة وأكثر شمولية للمواقع الأثرية ومحيطها وفق مقاييس مُعينة تصل نسبتها إلى 50000/1.

بعد هذه الخطوات التمهيدية يباشر بعملية التنقيب وفق الخطوات التالية:

1 - الطريقة الستراتغرافية التي لا تقتصر فقط على استخراج الآثار وإنما تحديد موضعها بدقة في الوحدات الستراتغرافية التي وجدت فيها وفق إحداثيات ثلاثية الأبعاد تُحدّد بدورها نسبة إلى إحداثيات جغرافية⁹.

2 - فهم الأرض تدريجياً وذلك من خلال تحديد وتسجيل وكشف كل ما تحتويه من بنى أو مواد بناء أو لقى أثرية.

تُخزّن الصور الفضائية والجوية والرفوع الأثرية والمشاهدات وكل البيانات الناتجة عن التنقيب في الحواسيب على شكل ملفات مؤتمتة ومخططة ضمن نظام معلومات جغرافي يمكن من خلاله تفسير الوحدات الستراتغرافية وتحديد ماهيتها، هل هي طبقة حشو أم طبقة استيطان أم طبقة خراب ووضع فرضيات للتأريخ، أي باختصار التمهيد لفهم الموقع.

1.2.2 أنظمة المعلومات الجغرافية (GIS) وابتكار النموذج التنبؤي ثلاثي الأبعاد

(3 dimentional computer modelling) :

لا تأتي أهمية أنظمة المعلومات الجغرافية من كونها أداة فورية لصنع الخرائط فقط، إنها أيضاً أنظمة فعّالة جداً لإدارة قواعد البيانات في مجال التوثيق الأثري. وفقاً لهذه الصفة فهي تسمح بالحصول على المميزات التي تصف المادة الأثرية ومعالجتها وتحليلها وإدارتها وعرضها. تكمن خاصية هذه الأنظمة في نوع المعطيات التي يمكن أن تدمج فيها، إذ بإمكانها أن تتعامل مع معطيات حيّزية بالإضافة إلى المعطيات الوصفية، وبالتالي نجد فيها الوصف الواضح والجلي لموضوع اللقطة وشكلها وعلاقتها الحيّزية، أما قوتها التحليلية فتكمن في قدرتها على الربط بين المعطيات الوصفية والحيّزية لفئات مختلفة من المواد الأثرية للتمكن من الحصول على معلومة جديدة تُظهر كل فئة داخل النظام على شكل طبقات خرائطية يمكن الربط بينها من خلال تراكبها ديناميكياً.

إذاً تتوضح العلاقات من خلال التوضعات الحيّزية، ويمكن بالتالي إجراء التحاليل على الموضع الحيّزي لللقى أو على المميزات الوصفية أو على هذين الجانبين بالتناوب¹⁰.

⁹ Kammermans, H/Fennema, K: *Interfacing the Past: Computer applications and quantitative methods in archaeology*, 1994, P. 71-72.

¹⁰ Demers, N: *Fundamentals of Geographic Information Systems*, New York, 1997, P.11.

يمكن تصنيف استخدام الـ GIS في علم الآثار وفق المواضيع الرئيسية التالية:

- 1- إدارة المعطيات المكانية وبشكل رئيسي في سياق إدارة المصادر الإرثية .
- 2- إدارة كم هائل من المعطيات الأثرية البيئية والثقافية والتاريخية والمعاصرة المجموعة من مصادر مختلفة (ملفات وصور ووثائق قديمة مؤتمتة، مسح ليزري، توتال ستیشن، صور جوية استشعار عن بعد، أقمار صناعية، GPS، GPR إلخ...) بما تتضمنه من إمكانية التحديث السريع لهذه البيانات وتصحيحها.
- 3- تحليل المعطيات البيئية وتوضيح علاقتها مع المعطيات الأثرية.
- 4- تحديد التوضع المحتمل لموقع أثري في قطعة محددة من الأرض بتطبيق طرق إحصائية تعتمد على الفرضية القائلة بوجود روابط واضحة (علاقة سببية) بين بعض المعايير البيئية واستراتيجيات التّوضع.
- 5- تجريب فرضيات نظرية مختلفة من خلال إعداد نماذج متوقعة محاكية للواقع أو ما يسمى بالواقع الافتراضي الذي يساعد على فهم منطقة البحث حتى مع عدم التمكن من التواجد فيها شخصياً¹¹.

1.2.2.1 الواقع الافتراضي وعلم الآثار:

وهو كما ذكرنا واحد من أهم تطبيقات أنظمة المعلومات الجغرافية في علم الآثار ويعرّف بأنه تجربة مبتكرة حاسوبياً تفاعلية وذاتية الإدارة متعلقة بعدد من الحواس (رؤية، لمس، سمع...) تسمح بتخيّل المشاركة في بيئة مصطنعة ثلاثية الأبعاد من خلال خلق عالم يحاكي العوالم الحقيقية بمواد تتحرك باستقلالية وإتاحة المجال لأكثر من مستخدم للتجول في مكان ما في نفس الوقت مع وجود صوت مرافق وخلفية لمسية.

من البديهي أن الماضي لم يحدث بأبعاد ثنائية، بناء عليه، ولتشجيع الآخرين على الاهتمام بثقافات الماضي وعلى فهم مضامين الأدلة التاريخية ولتشجيع الطلاب على التصور والاهتمام بكل تلك الصخور المحطمة واللقى القديمة التي يملؤها الغبار فهم بحاجة لمقاربة تفاعلية ثلاثية الأبعاد. هذا ما يحققه لهم الواقع الافتراضي التفاعلي الذي لا يعتبر مجرد تقنية تقدم صور توضيحية ووثائق تحيي التاريخ فحسب وإنما هو أيضاً أفضل طريقة لاختبار صحة الفرضيات الحيّزية أو السلوكية أو

¹¹ Kvamme, K: *Geographic Information Systems in Regional Archaeological Research and Data Management*, Arizona, 1989, P. 201.

الزمانية الموضوعة لتفسير الماضي، ولإعادة جمع اللقى المبعثرة ضمن نموذج يحاكي سياقاتها الأصلية، هذا بالإضافة إلى مساعدته على فهم التغيرات الثقافية وما طرأ داخل الموقع من تغيرات وعلى تخزين مجموعة البيانات المعقدة حول الماضي بطريقة بصرية تفاعلية ثلاثية الأبعاد كما هو الحال في الواقع الحقيقي، إذ يمكن للمستخدم أن يزور المواقع ثلاثية الأبعاد والإبحار عبرها والنظر إليها من زوايا مختلفة¹².

هذا فيما يتعلق بالموقع الأثري بشكل عام، أما فيما يخص الإرث المعماري فمن المعروف أنه خلال عمر المادة المعمارية يمكن للعنصر الواحد أن يأخذ أشكال متعددة نتيجة التحولات التي تطرأ عليه خلال قرون. يمكن لهذه التحولات أن تكون ناتجة عن النشاط البشري (تكييفات أو إضافات أو إعادة بناء) أو عن كوارث طبيعية (حريق، فيضان، زلزال) أو عوامل الحت، ويمكن أن تؤدي إلى تغيرات ليس فقط في شكل المواد أو البنية (منهجية بناء) ولكن أيضاً في موضعها في الحيز المكاني وفي وظيفتها وخواصها إلخ.. أي أن هناك ضرورة لتوثيق وعرض كل مرحلة من مراحل تطور البناء هذه. هنا يأتي دور النماذج ثلاثية الأبعاد المتحركة الذي يتلخص على مستويات ثلاث تقنية وتاريخية ومنهجية:

- على المستوى التقني: تدمج النماذج الرقمية بين العديد من المعلومات المبعثرة وبالتالي فهي تسهل أي قرار يمكن أن يتخذ قبل التدخل (للترميم أو إعادة البناء) مع تحديد تقنيات مختلفة للبناء استخدمت في الماضي¹³.

- على المستوى التاريخي: تسمح النماذج في إعادة ترتيب التحول التاريخي لبناء ما أو موقع مديني لنشاهد من خلال وضعه الحالي أوضاعه المختلفة في الماضي مع ما طرأ عليه من تغيرات عبر الزمن وذلك بحسب تتابع التدخلات، مما يمكن المستخدمين أو الزائرين أو الطلاب من فهم الأماكن قبل وأثناء وبعد تحولها غير العكوس.

- أخيراً ومن وجهة نظر منهجية، توفر النماذج عناصر تحليل لدراسة الإرث المعماري وحفظه وللتحقق من مصداقية فرضيات إعادة البناء والتحكم بها. إنها أداة هامة لإعادة إحياء البناء سواء أكان

¹² Gillings, M: *Exploring the potential of VR in experiential landscape studies*, British archeological reports, London, 1997, P. 247-248-249.

¹³ Maldonad, T: *Virtual reality*, Milano, 2005, P.92-93.

قد اختلفى كلياً أو جزئياً أو كان مخفياً ضمن بناء مطابق له. إنها باختصار وسيلة لتوثيق تفسير الباحثين لكيفية تولد الشكل وما طرأ عليه من تغييرات مع الزمن وأطوار البناء والتقنيات المستخدمة. تتلخص الخطوات التقليدية لإعادة البناء التصورية لمادة أثرية كالآتي:

- 1 - جمع بيانات مصدريّة.
 - 2 - تفسير هذه البيانات.
 - 3 - استخدام أمثلة معاصرة ومشابهة.
 - 4 - تطوير هيكل هندسي أساسي خام انطلاقاً من أقل كمية من المعطيات، مثل صور رقمية تتم معاييرها أوتوماتيكياً لتبنى فيما بعد مقارنة قائمة على إسقاط هندسي نحصل انطلاقاً منه بعد تطبيق مقاييس النموذج على إعادة بناء للمشهد.
 - 5 - إضافة التفاصيل إلى هذا الهيكل: مراجع حيّزية، معلومات نصّية عن البناء، ملاحظات تاريخية، حالة الحفظ...
 - 6 - وأخيراً عرضه¹⁴.
- لا ننسى أنه يجب مراعاة الأسس التالية في النموذج المعاد بناؤه باعتبار أن الهدف منه هو تصور المعلومة عن الصرح المعماري وليس تصور الصرح المعماري:
- 1 - نوعية ودقة التوثيق الذي بنيت التحريات على أساسه.
 - 2 - فرز التوثيق: أي توثيق الأبنية بشكل منفصل تماماً عن توثيق كل عنصر من عناصرها بحيث يعطى كل عنصر صفات تسمح للمستخدم بالتحري عنها بشكل مستقل عن كامل المشهد.
 - 3 - مدى مصداقية النظريات المعروضة (هل هي أكيدة أم أكيدة نوعاً ما أم محتملة..).
 - 4 - التمييز بين ما هو ما يزال موجوداً في الواقع وبين ما أعيد بناؤه منطقياً وبين ما هو قائم على التخمين.
 - 5 - تحشية النموذج: أي ربطه بالمعلومات المتعلقة بأجزائه من خلال رموز بيانية.
 - 6 - التمثيل الديناميكي للنموذج بحيث يمكن تحديثه أوتوماتيكياً في كل لحظة يتم إدخال معلومات جديدة¹⁵.

¹⁴ Barcelo, J: *Computational intelligence in archeology*, 2008, P. 234.

¹⁵ Goodrick, T: *Virtual reality and visualisation: the best tool for the job?* London, 1999, P. 11-12.

1.2.3 مزايا وعقبات استخدام الحاسوب في مجال علم الآثار:

كما رأينا، تكمن الحاجة إلى تطوير نظام معلوماتي ليقوم بالمهام الآتية:

- 1 - تخزين الأنواع المختلفة من البيانات (مخططات، صور فوتوغرافية، عناصر معمارية، لقي) وإدارتها واستردادها عند الطلب على شكل قوائم مصنفة حسب المعايير المختارة.
 - 2- مساعدة المختصين في الحصول على بيانات جديدة انطلاقاً من التحليل الإحصائي للبيانات الموجودة أصلاً ومقارنتها. يمكن هذا التحليل أيضاً من توقع أماكن وجود مواقع أثرية لم يعثر عليها بعد، إذ أن هناك علاقة واضحة بين المحيط واستراتيجيات شغل المواقع.
 - 3- معايرة التواريخ الأثرية المحددة باستخدام التقنيات المختلفة (كربون مشع مثلاً).
 - 4- تخمين تأثير عوامل الحت والعوامل الطبيعية على الموقع الأثري .
 - 5- تأمين الدعم الخرائطي للبيانات المرجعية الجغرافية على خرائط للموقع.
 - 6- السماح بالنقل السهل للبيانات والتحقق من التناقضات فيها وتصحيح الأخطاء وسهولة استخدامها من قبل علماء الآثار والمتخصصين ومن قبل المستخدمين العاديين الذين يريدون الحصول على بعض المعلومات عن بعض المواقع مثل الطلاب الذين يحتاجونها لأغراض تعليمية أو السياح الذين يخططون لزيارة هذه المواقع.
 - 7- إحياء هذه البيانات وإعادة بناؤها من خلال تمثيلها ضمن النماذج ثلاثية الأبعاد كعالم افتراضية تسمح للزوار أن يروا بأم أعينهم كيف كانت تبدو المواقع الأثرية يوماً ما وليتمكنوا من استكشاف أماكن لا يمكنهم الوصول إليها، مع حماية المواقع من الآثار التخريبية التي قد يسببها جمهور الزائرين بكل أشكالها (ضجيج، إضاءة، اهتزاز....)¹⁶.
 - 8- إمكانية دراسة بعض اللقى الأثرية أو الصروح الأثرية دون المساس بها مما يجنبها التخريب وحتى الدمار أحياناً.
- على الرغم من كل هذه الميزات التي تتصف بها تقنيات الحاسوب لابد أن نذكر عقبات استخدامها التي تتلخص بما يلي:

- 1 - التكلفة العالية وخاصة عند أتمتة الخرائط والمخططات والصور.

¹⁶ Aspinall, R/Miller, D: *Data Quality and Error Analysis in GIS*, 1993, P. 55-56.

- 2 - مشكلة الوقت والأولوية الهرمية التي تتمثل بالسؤال التالي: هل من الأفضل أن نحصل على معلومات قليلة عن كل شيء أم أن نحصل على معلومات كاملة عن بعض الأشياء؟
- 3 - مشكلة التحديث (Up dating) والحصول على التفاصيل الجديدة (Follow up).
- 4 - مشاكل التدريب على الانتقال من استخدام القلم إلى استخدام الحاسوب وما يرافقه من مشاكل نفسية.
- 5 - مشكلة القدرة على التعامل مع هذه التقنيات إذ أن أعمال الاستكشاف سهلة أما أعمال التخزين فهي أكثر تعقيداً.
- 6 - صعوبة معرفة مدى مصداقية ودقة المعلومات المدخلة إذا لم يتم التنويه إلى ذلك.
- 7 - ستكون نتائج الأبحاث متاحة أمام الجميع سواء العلماء المخضرمين أو المبتدئين أو حتى الطلاب ويمكن أن تكون هذه المساواة جائرة في نظر البعض.
- 8 - لا تتشارك جميع الوسائل الحديثة المستخدمة في تخزين المعلومات صفة إمكانية قراءتها للأبد فبحسب الخبراء أكبر مدة ممكنة للحفاظ على بيانات رقمية دون تحويلها إلى شكل أحدث هي 20 عام فقط.
- 9 - الحاجة إلى التعاون بين جهات مختلفة لتحقيق التوثيق وإعداد الملفات وأنظمة معالجة البيانات لأن خطر الخطأ أو الإخفاق وارد ولا يمكن لمؤسسة مفردة أن تتحمل الخسائر وحدها¹⁷.

¹⁷ Goodchild, F: *Spatial Analysis with GIS: Problems and Prospects*, Georgia, 1991, P. 31-32.

الفصل الثاني: منطقة جنوب سورية - حوران- الإطار الجغرافي والتاريخي:

2.1 الإطار الجغرافي:

عرفت المنطقة البازلتية في سورية الجنوبية شروطاً خاصة ومناسبة ساهمت في الحفاظ ليس فقط على آثار العمارة أو النحت، بل أيضاً على بقايا حية تشكل مجموعات قيمة مثل البنى الزراعية * وطرق المواصلات والقرى المهجورة مع أراضيها المحجرة. تعود الفوارق المتنوعة في المناظر والثروات بشكل خاص إلى عصر التدفقات الحممية التي فرضت شكل التضاريس وأدت إلى تحلل البازلت إلى تربة فخارية هي في الحقيقة أساس لكل حياة نباتية، كما فرضت مع المناخ الأشكال الخاصة للشبكة الهيدروليكية ذات الينابيع والمجاري المائية غير الدائمة¹⁸.

2.1.1 الموقع الجغرافي والحدود: (الشكل. 1)

تعتبر حوران إقليمياً جغرافياً متكاملأ يضم هضبة تقع على الطرف الجنوبي من سورية بين الحوض الدمشقي (الغوطة) في الشمال، ومنخفض وادي اليرموك وجبال عجلون ومنخفض الأزرق ووادي سرحان في الجنوب والجنوب الشرقي، وبين سفوح جبل الشيخ (الحرمون) في الشمال الغربي ومرتفعات الجولان المشرفة على وادي الأردن في الغرب والجنوب الغربي وسلسلة جبل العرب شرقاً.

كانت تسمية حوران تطلق سابقاً على كامل القسم الجنوبي الغربي من سورية والذي يضم اليوم منطقة الجولان ومنطقة حوران ومنطقة جبل العرب ، كما كانت تضم ضمن إطارها الإداري العام حوالي 600 قرية ومدينة. تقتصر حوران اليوم على الحدود الإدارية لمحافظة درعا التي تنقسم بدورها إلى ثلاث مناطق وإحدى عشرة ناحية، وتوزع ما تبقى منها ضمن الحدود الإدارية لمحافظة السويداء والقنيطرة كما دخل قسم آخر ضمن الحدود الإدارية للمملكة الأردنية الهاشمية (الزاوية الشمالية الغربية منها)¹⁹.

تعود الأهمية الجغرافية لحوران إلى موقعها الإستراتيجي الحساس والمميز، إذ أنها البوابة الجنوبية لبلاد الشام على السعودية ودول الخليج العربي بالإضافة إلى كونها طريق الحجيج إلى الأراضي المقدسة، وتتمثل أهميتها الاقتصادية باتساع سهولها وكثرة مياهها وخصوبة أرضها وتنوع

* من جدران وحدود لتقسيم أراض ومساكن زراعية وبرك وخزانات مياه.

¹⁸ دانتزر، جون ماري/مجموعة من الباحثين: سورية الجنوبية، بحوث أثرية في العهدين الهلنستي والروماني، ترجمة: أحمد عبد الكريم وآخرون، دمشق، 1988، ص. 17-18.

¹⁹ عبدالسلام، عادل: الأقاليم الجغرافية السورية، دمشق، 1990، ص. 434.

محاصيلها الزراعية، كما تتميز بمناخها المعتدل وبمناطقها الطبيعية الخلابة وبكثرة ينابيع المياه المعدنية الحارة، بالإضافة إلى غناها بالأوابد التاريخية والشواهد الأثرية الجذابة.

2.1.2 التضاريس:

تشكل منطقة حوران (التي تبلغ مساحتها 400 كم مربع) ميزاباً سهلياً متطاولاً وممرأً طبيعياً بين جبال الجولان غرباً وجبل العرب شرقاً ترتفع فوقه بعض المرتفعات مؤلفة جبلاً أو تلالاً قليلة المساحة ومتفرقة هي مخاريط بركانية متعددة تشكلت بفعل النشاطات البركانية لبراكين جبل العرب وهي تتركز على خطوط الشقوق وتبلغ أعلى نقطة فيها (1137) متمثلة بتل الشعار، من جهة ثانية تشق سطح السهل خيوط من الأودية الحتية ذات الأكواع العديدة والانتساع الكبير نسبياً والعمق القليل. ويمكن أن نقسم هذه الأودية إلى مجموعتين الأولى ذات الاتجاه الشمالي-الجنوبي وتتمثل بشبكة وادي الهرير والثانية ذات الاتجاه الشرقي-الغربي وتمثلها شبكة وادي الزيدي²⁰.

2.1.3 البنية الجيولوجية:

منطقة حوران مغطاة بكاملها تقريباً بغشاء من الصخور الاندفاعية ما عدا مساحات صغيرة من الأراضي التي تظهر فيها الصخور الرسوبية، وذلك قرب الحدود الأردنية في الجنوب، غرب المنطقة وفي شمال المنطقة أيضاً. تتمثل الأراضي الرسوبية بالتوضعات البحرية والنقضية الجافة واللقبة الرباعية التي ترجع في عمرها إلى الرباعي الحديث والأعلى وهي في الواقع امتداد جنوبي للأراضي المشابهة لها في حوض دمشق. وباستثناء ما تقدم تسود الصخور الاندفاعية الناجمة عن التدفقات البركانية البازلتية لبراكين جبل العرب وتل زمار وعريقة وتل شعار التي ترتصف على طول خطوط شقوق ذات محاور شمالية-غربية جنوبية-شرقية، ويرجع أقدم هذه الصخور إلى فترة الميوسين الأوسط*، وأحدثها إلى الهولوسين (الرباعي الحديث)** . ففي الشمال وعلى نطاق الحدود بين منطقة حوران وحوض دمشق تظهر صبات اندفاعية يرجع عمرها إلى النيوجين. ولا تشكل هذه الصبات مساحات مستمرة بل تنتشر على بقاع متفرقة صغية المساحة تفصلها الأراضي الرباعية. أما بقية الأغشية الاندفاعية فيرجع عمرها إلى الرباعي بفترة مختلفة. إذ الأغشية العائدة للرباعي الأدنى والعائدة للرباعي الحديث، خاصة الطفرة الرابعة هي المسيطرة

²⁰ عبدالسلام، عادل: 1990، ص. 447.

* هو القسم الرابع من الحقبة الزمنية الثالثة لتشكل الأرض، أي يعود لحوالي 23 مليون سنة خلت.

** هو القسم الأحدث من الزمن الجيولوجي الرابع الذي بدء منذ 15 ألف سنة ومازال مستمراً حتى اليوم.

وهي التي طبعت المنطقة بطابعها المميز. وتتميز أرض الأودية بغناها بالكتل الحجرية البازلتية المكورة وقليلة التكوير والتي تتركز على أحجار أصغر أو على الصخر البازلتي مباشرة. ما ذكرناه سابقاً من انتشار الصخور الاندفاعية لا يعني أن سطوح الأرض في حوران عبارة عن مساحة صخرية حجرية سوداء مهيمنة إنما تتعاقب فيها الأرض المغطاة بالتربة الزراعية المتفسخة عن الصخور البازلتية والاندفاعية الأخرى مع مساحات صخرية يطلق عليها اسم (رقة) ترتفع فوق مستوى السهل بضعة أمتار وتكون في كثير من الأحيان مغطاة بقشرة الأشنيات أو الكلس. وتقل المساحات الصخرية هذه كلما اتجهنا جنوباً وجنوباً غرباً وفي الأقسام المنخفضة من منطقة حوران. بينما تزداد باتجاه الشمال والشمال الشرقي خاصة حيث تلتحم أخيراً بصبة اللجاة القفرة وشديدة الوعورة. وعندما تكبر مساحة هذه الرقع الصخرية يطلق عليها في المنطقة تسمية (وعر). وفي المساحات الانتقالية بين الوعرات والرقات والمساحات المغطاة بالتربة تمتد أشربة ومساحات من أراض مجللة بالتربة الغنية بالأحجار الاندفاعية التي يقوم الإنسان بتنظيفها من الحقول وتجميعها على شكل رجوم.

2.1.4 المناخ والمياه في حوران:

يتميز مناخ حوران بأنه مناخاً متوسطياً شبه جاف وهو مناخ انتقالي بين النموذج المتوسطي الجبلي القاري والنموذج الجاف الصحراوي. نتجت الخصائص المناخية المختلفة له عن موقعه الجنوبي الأقرب إلى خط الاستواء والمدار ووقوعه بين مرتفعات الجولان في الغرب وكتلة جبل العرب في الشرق وكتلة جبل الشيخ وتفرعات لبنان الشرقية في الشمال الغربي بينما هو مفتوح من جهة الجنوب ولا ننسى الجهة الغربية والجنوبية الغربية ذات التضاريس الأقل ارتفاعاً من الجهتين الشمالية والشرقية نسبياً (فتحة الجولان) وبالتالي فهي تشكل مصدراً للرطوبة التي تخفف من وطأة الجفاف وقارية المناخ. تحوم الفروق الحرارية السنوية حول (45) درجة إذ يكون الجو بارداً شتاءً (تنخفض الحرارة الدنيا المطلقة إلى 3 وأحياناً 7° دون الصفر) وجافاً وحاراً صيفاً (تصل الحرارة القصوى حتى 43°) ومعتدلاً ولطيفاً في فصلي الخريف والربيع القصيران نسبياً²¹.

أما رياح المنطقة فتسود عليها المحصلة الغربية-الجنوبية-الغربية المحملة بالرطوبة من البحر مع محصلة شرقية أضعف أثراً.

يتراوح معدل الأمطار بين 150-460 ملم وهي تتأثر بفتحة الجولان. بناءً عليه، تكون المناطق الغربية من حوران أكثر إمطاراً من المناطق الشرقية، كما يلاحظ ازدياد نسبة الأمطار على سفوح

²¹ عبدالسلام، عادل: 1990، ص. 440.

جبل حوران، وقد تنخفض كمية الأمطار عدة فصول متتالية مما يسبب أزمات زراعية خطيرة كانت سبباً في الهجرة من المنطقة.

تعتبر مياه الأمطار والثلوج (ثلوج حوران وجبل الشيخ وجبل العرب الغربي) المغذي الأساسي لمصادر المياه في حوران المتمثلة بـ :

1- الجريان السطحي: تختلف منطقة حوران عن منطقة الجولان بوجود عدد أكبر من الأودية السيلية التي تشكل الشبكة العليا لنهر اليرموك الذي يسير الحدود الجنوبية للمنطقة وينتهي في وادي الأردن. فحوض تجمع هذا النهر يقع بمعظمه في حوران وجبل العرب وأقله في الأردن ويشكل نهر اليرموك مع روافده الهامة (وادي الرقاد-العلان-نهر الهرير-وادي الزيدي) في سورية منطقة تصريف حوران وجبل العرب الغربي والقسم الأكبر من جنوب الجولان. أهم روافد اليرموك التي تخترق منطقة حوران هو نهر الهرير بروافده اليسارية العديدة التي يمثل وادي الذهب والسماقيات أهمها.

تنتشر إلى جانب المياه السطحية الجارية على شكل أنها أو سيول في حوران مساحات صغيرة على شكل حفر طبيعية أو اصطناعية تملؤها المياه الراكدة تسمى بركاً. وهي عبارة عن منخفضات لجمع مياه الأمطار تستخدم في سقاية الماشية والحيوانات وأحياناً في بعض القرى للشرب.

2-المياه الجوفية والينابيع: كينابيع المزيريب والرقاد والعلان والهرير. إن للمياه الجوفية في حوران أهميتها الخاصة سيما أنها منطقة يسود فيها الجفاف مدة لا تقل عن 7 أشهر في السنة إلا أنها لا تكفي حاجة السكان المتزايدة من المياه، مما يضطر السلطات المعنية إلى تأمين مياه الشرب لكثير من قرى المنطقة بوساطة الصهاريج في صيف بعض السنوات الجافة²².

2.1.5 الحيوانات والنباتات في حوران:

بالإضافة إلى غنى حوران بقطعان الماشية المختلفة من ماعز وخرفان، كانت أراضيها تعج بالحيوانات البرية على مختلف أنواعها حتى الثلاثينيات من هذا القرن. تقلص عدد هذه الحيوانات فيما بعد بسبب نقص كمية الغذاء وقلة المراعي الطبيعية نتيجة لاستخدام المحراث الحديث بالإضافة لتوسع عملية صيد الحيوانات، هذا مما أدى إلى انقراض أنواع عديدة وتعرض أنواع أخرى للانقراض إذا لم يتم اتخاذ بعض الإجراءات اللازمة للحفاظ على التوازن البيئي الطبيعي الحيواني والنباتي²³.

²² عبدالسلام، عادل: 1990، ص.444.

²³ مصطفى، محمود/عبد العزيز، هشام: 1996، ص. 22-23.

بالنسبة للنباتات، كانت سهول حوران في العصور الماضية غنية جداً بإنتاج الحبوب والكرمة ومليئة بأنواع كثيرة من الأشجار (بلوط وسنديان وبطم) والنباتات البرية والشوكية والزهرية، غير أن استخدام الأسمدة الصناعية والمبيدات الحشرية ومبيدات الأعشاب الضارة بالإضافة إلى عملية الرعي الجائر وعملية استصلاح الأراضي الطبيعية، أدى كل ذلك إلى تقلص أعداد وأنواع النباتات البرية*.

* لا ننسى طبعاً الأشجار التي قطعت في العهد العثماني والاحتلال الفرنسي لاستخدامها كوقود للقطارات أو لمطاردة الثوار.

2.2 الإطار التاريخي:

يعتقد أن تسمية حوران جاءت أصلاً من اللغة الآرامية حوريوم، بلد الكهوف أو من اللغة السبئية بمعنى البلد الأسود نتيجة سواد أرضها ومبانيها، أما الآشوريون فسموها حورانو أي النقرة أو الأرض المجوفة وعُرفت عند اليونان باسم أورانيس وعند الرومان باسم عنبر روما أو بلاد السمن والعسل لوفرة خيراتها ومحاصيلها الزراعية*، وورد ذكرها في التوراة باسم باشان (باتان) أي بلد العجول السمينة، أما تسمية بلاد العملاقة فهي نسبة إلى الآراميين الرفائيين العملاقة** وحوران هي التسمية التي أطلقها العرب عليها في الجاهلية باسم جبلها ومعناها الملجأ أو الكهف.

سكن الإنسان أراضي حوران منذ عصور ما قبل التاريخ الأولى متخذاً من الكهوف بيوتاً له وترك أدوات صوانية وفؤوس يدوية يعود تاريخها إلى ما يقارب الـ 150 ألف سنة. بدأت عملية الاستيطان في العصر النيوليتي (6000-4000 ق.م) حيث بنى السكان الأكواخ والقرى الصغيرة وبدؤوا بتربية المواشي وزراعة الأراضي واكتشفوا طريقة صنع الفخار، ولم تهجر حوران إلا لفترات زمنية قصيرة بسبب القحط والجفاف أو بسبب الكوارث الطبيعية كالزلازل.

تشير اللوحات الأثرية*** التي عثر عليها في تل العمارنة في مصر إلى أن العرب الآراميون (بنو آرام آخر بني سام بن نوح) هم أول من سكن منطقة حوران منذ عام 2500 ق.م ودعيت بلادهم عوص نسبة إلى عوص بن آرام.

للأسف لا تتوفر معلومات كافية عن تاريخ سورية قبل القرن الأول الميلادي حتى أننا نجهل تماماً تاريخ المنطقة خلال عدة قرون.

من المرجح أن حوران كانت تحت سيطرة الملوك الباطمة المقدونيين منذ عام 320-319 قبل الميلاد وحتى 200 قبل الميلاد، إذ أن حدود مملكتهم وصلت حتى النهر الكبير الشمالي²⁴. بعد ذلك وابتداءً من العام 200 قبل الميلاد أصبحت سورية كلها تابعة لنفوذ الملوك السلوقيين**** دون استبعاد وجود إمارات محلية ذاتية الحكم نوعاً ما.

* يقول ياقوت في معجم البلدان عن حوران: "كورة واسعة من أعمال دمشق من جهة القبلة، ذات قرى كثيرة ومزارع وحرار، وما زالت منازل العرب، وقصبتها بصرى".

** نسبة إلى جدهم رفا الجبار، يقال أن قاماتهم كانت مثل الأرز وكانوا أقوىاء كالسنديان ولغتهم كنعانية شرقية.

*** وهي عبارة عن رسائل متبادلة بين سكان درعا والمصريين القدماء في زمن امنحوتب الثالث والرابع.

²⁴ Sartre, M: La syrie du sud à l'époque gréco-romaine, dans *Le djebel al-Arab, Paris*, 1991, P.29.

**** ليس هناك أي دليل يثبت وجود لنفوذ أي من الملوك المذكورين سابقاً في حوران.

بدأت وحدة المملكة السلوقية في سورية بالتداعي بدءاً من العام 152 قبل الميلاد وظهرت قوى محلية جديدة وقوى أخرى يقع مركز سلطتها خارج المنطقة المعنية كما هو حال ملوك البتراء الأنباط الذين تقدموا نحو الشمال ليشمل نفوذ سيطرتهم منطقة سهل حوران وجنوبي جبل العرب²⁵.

ازداد ضعف المملكة السلوقية شيئاً فشيئاً وأصبحت عاجزة عن مواجهة أعدائها الخارجيين من فرس ورومان وغيرهم وظلت في حروب مستمرة معهم حتى استطاع الرومان أخيراً حسم الأمر والقضاء على المملكة السلوقية في سورية على يد القائد بومبيوس (Pompée) وحولوها إلى ولاية رومانية في العام 64 قبل الميلاد. إلا أن هذا لم يعني أن كل الأرض السورية أصبحت تدار مباشرة من روما إذ احتفظت الكثير من المدن والإمارات باستقلالها الذاتي وظل الأنباط مستقلين ضمن مملكتهم الخاصة على الرغم من أنهم أصبحوا مواليين لروما.

لم يجلب الغزو الروماني السلام والاستقرار لسورية بل على العكس من ذلك، فقد ظل الوضع مضطرباً فيها وازداد نشاط اللصوص وقطاع الطرق وخاصة الإيتوريين.

كان الإيتوريون يقومون بأعمال السلب انطلافاً من اللجا وكانوا يشنون حملاتهم على القوافل العائدة إلى دمشق وربما كانوا يسلبون أيضاً قروبي المنطقة وخاصة أولئك الذين يقطنون في الجزء الشمالي من الجبل. من الواضح أن السلطات الرومانية لم يكن لها أي وسيلة تدخل فعالة في تلك المنطقة التي تحكمها إلا مع وصول الامبراطور أغسطس (Auguste) إلى سدة الحكم. قام هذا الأخير بإعهاد منطقة جنوب سورية إلى الملك هيرودس (Hérode) نبطي الأم في العام 24 قبل الميلاد. أنشأ الملك هيرودس (Hérode) معسكرات وأوكل إليها مهمة طرد اللصوص والسيطرة على الطرق. وقد ساهم أيضاً في تطور المنطقة بشكل فعال وفي تحسن معبد سيع²⁶.

بعد موت هيرودس (Hérode) في العام 4 قبل الميلاد ورث ابن فيليب (Philippe) أملاكه السورية وبعد موت هذا الأخير ضمت أملاكه إلى الولاية السورية حتى العام 37 ميلادي عندما أعطى الامبراطور الروماني غايوس كاليغول (Caius Caligula) منطقة جنوب سورية لأغريبا الأول (Agrippa1) حفيد الملك هيرودس (Hérode)²⁷. حاول هذا الأخير تغيير نمط الحياة الهمجية في بعض المناطق الجبلية من خلال سن قوانين تلائم هذا الهدف²⁸.

²⁵ Sartre, M: La Syrie à l'époque hellénistique, dans *Archeologie et histoire de la Syrie* 2, Paris, P. 41.

²⁶ Sartre, M: 1991, P. 29.

²⁷ Rey-Coquais, J.P: La Syrie de pompée à Dioclétien, dans *Archeologie et histoire de la Syrie* 2, Paris, P. 52.

²⁸ Villeneuve, F: L'économie et les villages de la fin de l'époque byzantine, dans *Archeologie et histoire de la Syrie* 2, Paris, P.42.

لم تعهد روما بعد موت أغريبا الأول (Agrripa1) المنطقة إلى ابنه الشاب أغريبا الثاني (Agrripa 2) إلا في العام 54 ميلادي وكان هو آخر ملوك إقطاعيات الشرق وبموته في العام 92 ميلادي توقفت روما عن طلب مساعدة أي أمير إقطاعي لفرض النظام في منطقة جنوب سورية. بقيت منطقة جنوبي الجبل في هذه الأثناء خاضعة لسلطة ملوك البتراء حتى العام 106 ميلادي وهو العام الذي توفي فيه الملك النبطي رنبال الثاني (Rabbel 2) الذي كانت تعترف به ملكاً شرعياً لمنطقة موالية لروما. قرر الامبراطور تراجان (Trajanus) في هذا العام ضم المملكة النبطية إلى الولاية العربية التي أصبحت عاصمتها الجديدة بصرى.

اختيرت بصرى لتكون عاصمة الولاية العربية الجديدة ليس فقط بسبب غنى المنطقة الزراعي ولكن أيضاً بسبب موقعها الاستراتيجي الهام كمان لالتقاء الطرق الأساسية القادمة من الشرق الأقصى ومن الخليج العربي.

قام الامبراطور سيبتيموس سيفيروس (Septime-sévère) بضم جزء كبير من حوران (كامل الجبل وجنوبي اللجاة) إلى حدود الولاية العربية وتحققت أخيراً الوحدة الإدارية للمنطقة التي ظلت مقسمة لأكثر من ثلاثة قرون²⁹.

أصبحت سورية بدءاً من القرن الثاني ولاية هامة في الامبراطورية الرومانية فقد كانت غنية وآهلة بالسكان وقوية عسكرياً هذا مما وسع آفاق طموحات حكامها ودفع بعضهم إلى التمرد على الامبراطورية كما حصل مع الحاكم بيسينيوس نيجر (Pescennius Niger) الذي حاول الاستيلاء على الامبراطورية في عهد الامبراطور سيبتيموس سيفيروس (Septime-sévère). هذا مما دفع الامبراطور تيبيريوس (Tibère) إلى ترك الولاية السورية عشر سنوات دون حاكم خوفاً من تكرار ما حدث مع الامبراطور سيبتيموس سيفيروس (Septime-sévère).

وضعت سياسية الدولة الامبراطورية في خططها تطوير البلاد عمرانياً وتحسين المدن. بني في العاصمة بصرى المسرح الكبير الذي كان يتسع لأكثر من خمسة عشر ألف شخص، كما نظمت أمور المياه والسقاية وأقيمت الخزانات الكبرى ونظمت شبكات المجاري ومصارف المياه وشقّت الطرقات العامة التجارية والعسكرية وتلك التي تربط بين المدن والقرى، وبُنيت على جوانب الطرقات أبراج المراقبة كما أقيمت القواعد العسكرية للحفاظ على الأمن ووفرت مراكز للاستراحة

²⁹ Sartre, M: 1991, P. 31.

والنوم وتأمين المياه للمسافرين وبُطّلت الطرق التجارية واستعملت العربات في النقل لكن مع بقاء الجمل كعنصر رئيسي في النقل التجاري حتى العصر البيزنطي.

على الرغم من الأزمات والحروب التي خاضتها روما، ظل ازدهار حوران قائماً حتى القرن الثالث. شهدت المنطقة في هذا القرن نوعاً من الاضطراب بسبب الظروف الدولية، فمع وصول الساسانيين إلى سدة الحكم في بلاد فارس شنوا حروباً عديدة ضد الامبراطورية الرومانية. أثرت هذه الحروب بشكل كبير على سورية الشمالية لكنها لم تشمل سورية الجنوبية. مع ذلك عاودت المدن (درعا وبصرى) بناء أسوارها التي كانت مهمة خلال فترات السلام الطويلة. لكن لا يوجد أي إشارة لحصول هجمات في المنطقة³⁰.

قاد الامبراطور غوردانيوس (Gordien) في العام 244 ميلادي حرباً خاسرة ضد الفرس ولقي حتفه فخلفه قائد جيوشه فيليب العربي (Philippe l'arabe)* الذي أعلن امبراطوراً في أرض المعركة وتوالت الحروب بين الفرس والرومان.

لعب أمراء تدمر في ظل هذه الظروف دوراً بارزاً في سورية وحتى في الامبراطورية الرومانية وأصبح أذينة الملك التدمري في عهد الامبراطور غالانيوس (Gallien) قائداً لجيوش رومانية وتدمرية كانت مهمتها تهدئة الأوضاع في الشرق. منح أذينة سلطة مطلقة وحصل على لقب شاه (ملك الملوك) وقاد جيوشه نحو عاصمة الساسانيين وبفضله عاد السلام إلى سورية وحافظت الامبراطورية الرومانية على وحدتها³¹.

اغتيال أذينة وابنه البكر هيروديان في العام 267 ميلادي فاستلمت زمام السلطة زوجته زنوبيا باسم ولدها الصغير وهب اللات. عملت زنوبيا على الانفصال تدريجياً عن السلطة الرومانية وامتد النفوذ التدمري شيئاً فشيئاً ليشمل كل الأراضي السورية واحتل التدمريون الجزيرة العربية بعد أن هزموا الفرقة العسكرية الثالثة في بصرى (Cyrenaica) كما احتلوا فيما بعد مصر والأناضول ووصلوا حتى آسيا الصغرى.

سيطر أسياذ تدمر بمساندة القبائل العربية على تجارة الحرير والبحارات وبلغت تدمر قوة عسكرية لم يبلغها الأنباط من قبلهم.

³⁰Sartre, M: 1991, P. 32.

*ماركوس يوليوس فيليبوس (Marcus Julius Philippus) الذي ولد عام 200م قرب مدينة بصرى في قرية صغيرة عرفت فيما بعد باسمه فيليبوبوليس والمعروفة حالياً باسم شهباء.

³¹ Rey-Coquais, J.P: P.59.

حاولت زنوبيا أن تشارك الامبراطور أورليان (Aurélien)* السلطة إلا أنه رفض عقد أي اتفاق معها وخاض ضدها حروباً عديدة انتهت بانتصاره عليها وبالقضاء على الامبراطورية العربية الفتية. وهكذا عادت الولاية السورية داخل الامبراطورية المتحدة³².

بدء القرن الرابع بانفتاح جديد وولادة حضارة الامبراطورية البيزنطية التي اتسمت بسمتين تمثلت أولهما بنقل العاصمة من روما إلى القسطنطينية وبالتالي أصبحت الولايات السورية خاضعة بشكل مباشر إلى سلطة الحكومة الامبراطورية، أما السمة الثانية فتمثلت بانتشار الديانة المسيحية بعد أن اعترف بها كل من الامبراطور قسطنطين (Constantin) وليسينيوس (Licinius) رسمياً في العام 313 ميلادي.

اعتبرت سورية بين القرنين الرابع والسادس الميلاديين من بين مناطق الامبراطورية الأكثر غنى فبغض النظر عن ما تخلل الحقبة البيزنطية من اضطرابات تمثلت بحروب قصيرة وعنيفة وبهزات أرضية بالإضافة إلى الطاعون، وصفت هذه الفترة بأنها فترة الازدهار المشرق للاقتصاد في سورية وخاصة في حوران، فقد ازدهرت الزراعة بعد استصلاح الأراضي وتنظيمها ونشأت الصناعة وخاصة صناعة النسيج من حرير وقطن وكتان، وكذلك التجارة فأنشأت الطرق المحلية والدولية العديدة لنقل البضائع الثمينة من بهارات و عطور وعاج ومجوهرات وحرير ومنسوجات وغيرها من الشرق الأقصى باتجاه حوض المتوسط. كانت حوران تُصدّر الخمر وأغلال الحبوب والفاكهة المجففة والماشية إلى باقي الأرجاء السورية والمرافئ المتوسطية وإلى الجزيرة العربية خاصة³³، إذ كان هناك روابط قوية جداً تربط الغساسنة -القادمون أصلاً من اليمن- بأهل الجزيرة وخاصة قریش وكان هناك قوافل تجارية دائمة ومنتظمة بين الجزيرة العربية وبلاد الشام، كانت تمر باستمرار من بصرى مركز الولايات التجارية**. ساعد السلام الكنسي من جهة ثانية على ازدهار البناء الديني حتى أنه لم تخل مدينة أو قرية من كاتدرائية أو كنيسة*** أو دير وكان أقدمها كنيسة القديس سيرج

* لوقيوس دوميتيوس أورليانوس (Aurélien)، امبراطور روماني ساعد على استعادة قوة روما في أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع الميلادي.

³² Degeorge, G: *Syrie*, Paris, 1994, P. 43.

³³ Sartre, M: 1991, P. 33.

** ومن هذه القوافل القافلة التي حضر فيها النبي العربي محمد (ص) عندما كان صبياً وبشر به الراهب بحيرة الذي كان يقيم في بصرى.

*** كانت معظم الكنائس تكرر إلى القديسين الأكثر شعبية لدى العرب مثل القديس سيرج والقديس باخوس والقديس جورج.

في هيت والتي تعود إلى عام 354 م. مع ذلك، بقي الكثير من السكان مرتبطين بالمعتقدات الوثنية التقليدية وعندما قرر الإمبراطور جوليان (Julian) عام 362 إعادة إحياء الوثنية، سارع سكان الجبل إلى إعادة افتتاح المعابد في عدة مناطق مثل عنز وجنية وشهبأ إلا أن هذا الوضع كان مؤقتاً إذ سرعان ما أعيد إقرار المسيحية. مع ذلك، استمر السكان في ممارسة الطقوس الوثنية لفترة طويلة في الأرياف وكذلك في المدن. هجرت المعابد فيما بعد تدريجياً أو أنها حولت إلى كنائس.

لم تطل غزوات السلب التي عاثت فساداً في سيناء وفي وادي الفرات في القرنين الرابع والخامس الميلاديين حوران إذ كانت حينئذ محمية جيداً بفضل التحالفات التي كانت قائمة بين روما والقبائل العربية القوية التي قبلت التمرد على السكان الحضريين مقابل دفعات من القمح والذهب³⁴. يعتقد أن مثل هذا التحالف كان موجوداً بدءاً من منتصف القرن الثالث الميلادي مع الأمراء التتوحيين. وفي بداية القرن الرابع الميلادي لعب الأمير امرؤ القيس هذا الدور. مات " ملك كل العرب" (كما تشير شاهدة قبره) عام 328م ودفن في نيمارا في الصفا واستعاد التتوحيون سلطتهم بعد موته، لكنهم استبدلوا في القرن الخامس بأمراء صالح الذين استبدلوا بدورهم في نهاية القرن الخامس بالقادة الغساسنة. كان أقوى هؤلاء القادة الحارث بن جبلة الذي أصبح قائداً على كل عرب الامبراطورية الرومانية عام 531م. على الرغم من أن مقر إقامة الغساسنة المعتاد كان في الجولان فقد امتد نشاطهم ليشمل كل المنطقة إذ كانوا يبنون الكنائس والأديرة ويحمون القرى في وجه غزوات العرب المواليين للفرس. وبفضل أولئك القادة تحقق السلام شبه التام حتى بداية القرن السابع الميلادي.

ظهرت أول جيوش مسلمة في المنطقة في شهري نيسان وأيار من عام 634م واحتلت بصرى في أيار عام 634م. خسر البيزنطيون حوران كلياً بعد هزيمتهم في معركة اليرموك في تموز عام 636 وبدأ عهد جديد في سورية الجنوبية³⁵ ومنذ ذلك التاريخ وحتى اليوم عادت حوران إلى سكانها الأصليين.

³⁴ Sartre, M: 1991, P. 33.

³⁵ Sartre, M: 1991, P. 34.

الفصل الثالث: المسكن القروي في منطقة جنوب سورية -حوران-:

3.1 المشهد الطبيعي:

ينضوي المسكن القروي ضمن سياق حيزي يعرف، بعد المعاينة الأولى له، بأنه أرض للاستثمار الزراعي أو للاستغلال الرعوي. حتّى تأسيس أرض الاستثمار هذه على إنشاء الأبنية التي هي موضوع الدراسة الأساسية هنا، وهي إما أبنية محفوظة جيداً ومنتصبة وسط المشهد نتيجة أنها متقنة البناء، أو أنها عبارة عن أنقاض بالكاد يمكن تمييزها عن الأحجار. تنتمي هذه الأرض، والتي هي حجر الأساس لنظام اجتماعي اقتصادي، إلى مشهد طبيعي نتج إثر تاريخ طويل من الترتيبات التي أدخلها الإنسان على الوسط الطبيعي، وإلى أراضٍ متشابكة أكثر اتساعاً نُظمت وفق منطق بنيويات مختلفة سياسية وتجارية وعسكرية ومالية وغيرها.

تُبين آثار الزراعة القديمة أنه تم نزع الحجارة من كل الأراضي القابلة للزراعة بدءاً من الحقبة الرومانية وزرعت وفقاً لنسبة الأمطار الهائلة قدر الإمكان، أي امتدت الأراضي المزروعة حتى قمم الجبل تقريباً وبعيداً باتجاه الشرق على المنحدرات الشرقية لتشغل مساحة أوسع بكثير من التي يعيش فيها أناس اليوم. جُمعت الحجارة المنزوعة على شكل جدران صغيرة لتحد الحقول والأماكن الخاصة والمصاطب المنتشرة على امتداد المنحدرات ولتحد أيضاً أقسومات غير منتظمة ذات مخطط مضلع كما هو الحال فوق هضبة سيع³⁶.

3.2 التنظيم القروي:

3.2.1 بنية القرية وتنظيمها الحيزي:

تمتاز منطقة جنوب سورية بمواقعها الأثرية الكبيرة ومعالمها المدهشة بالإضافة إلى العدد الكبير من آثار التنظيمات القديمة (طرق مواصلات، منشآت عسكرية، تجهيزات خاصة بالزراعة) والقرى الكاملة بمساكنها التي تنماهى كلها في هذا السياق معطية على النطاق الإقليمي صورة عن مرحلة طويلة من التطور من ناحية الاستيطان والازدهار والتنظيم عرفت هذه الأرض امتداداً من الفترة الهلنستية وحتى العهد الأموي³⁷.

³⁶ Clause-Balty, P: **Hauran3**, L'habitat dans les campagnes de Syrie du sud, Beyrouth, 2008, P. 7.

³⁷ Sadler, S: Le terroir agricole de Diyateh, dans B.Geyer, **Techniques et pratique hydro-agricole traditionnelles en demaine irrigué**, Paris, 1990, P. 421.

تعتمد الحياة الريفية في حوران وفق مفهوم الأنظمة الزراعية على القرى، وقد سمحت المعلومات المستخلصة من النقوش ومن تحليل السيراميك المعثور عليه في المواقع المنقبة بإعداد أول الخرائط حول الدلائل عن وجود هذه القرى واستمرارها خلال فترتين: تمتد الأولى من القرن الأول قبل الميلاد وحتى القرن الأول الميلادي، وتمتد الثانية من القرن الثاني الميلادي وحتى القرن السابع الميلادي، إلا أن المقارنة حقبة فحقبة بين أماكن توضع المواقع القديمة والمواقع الحديثة التي تشغلها قرى حالياً نسبة إلى أنظمة القنوات تثبت الفرضية القائلة أن طور الازدهار الزراعي وتكثيف شبكة المساكن التي كانت تغذيها المياه المحولة من الوديان لم يبدأ حقيقة إلا بعد القرن الثاني الميلادي³⁸.

يتوافق توزيع القرى في العصور القديمة إجمالاً مع توزيعها الحالي، وهو متعلق بشكل كبير بإمكانيات مجاورة المياه والذي هو شرط من شروط ديمومة معينة لأماكن السكن، يضاف إلى ذلك التيسيرات المتعلقة بإعادة استخدام الأبنية القديمة كمصدر للحجارة عوضاً عن المقالع.

تتوضع كل القرى الحديثة تقريباً اليوم على موقع قديم بل أنها مبنية في غالب الأحيان على آثار قرية قديمة مع تجاوزها على العموم حدود القرى القديمة، إلا أن نسيج الاستيطان القديم أكثر كثافة منه في القرى الحالية، وكان المنهج السائد فيما يخص تمركز القرية هو استخدام الأراضي الصخرية والربوات والتلال ورؤوس الجبال لترك أكبر مساحة ممكنة للأراضي القابلة للاستصلاح الزراعي كما هو حال قرية شعارة في اللجاة التي بنيت على الكتلة البركانية.

هناك بعض المواقع التي لا يتجاوز عدد أبنيتها الخمسة أبنية، هذا مما يطرح حتماً فرضية وجود شبكة من المساكن المبعثرة أو الضيع الصغيرة أو المزارع المعزولة التابعة للنسيج القروي في الفترة الرومانية. تم ربط هذه المساكن المبعثرة ربما في مرحلة توسع الاستغلال الزراعي، وقد سمحت الصفات التي تتميز بها بتعيين الفترة التي تعود إليها وبتوضيح أفضل لدور المجتمع القروي في حوران³⁹.

بشكل عام، وحين توفر المكان كانت المساكن تبنى متباعدة الواحد عن الآخر ويكون هناك أزقة أو أرض فارغة تمكّن من الدوران حولها (ديّانة ومعربا وكفر ناسج)، بينما يبدو أن قرى أخرى (محجة) احتوت على نوعين من نماذج توزيع البناء: المساكن المستقلة والقريبة من بعضها البعض في الأجزاء الشمالية الغربية والجنوبية الغربية (المساكن رقم 11 و 16 و 20 و 6 و 7)، والمساكن

³⁸Clause-Balty, P: 2008, P.9.

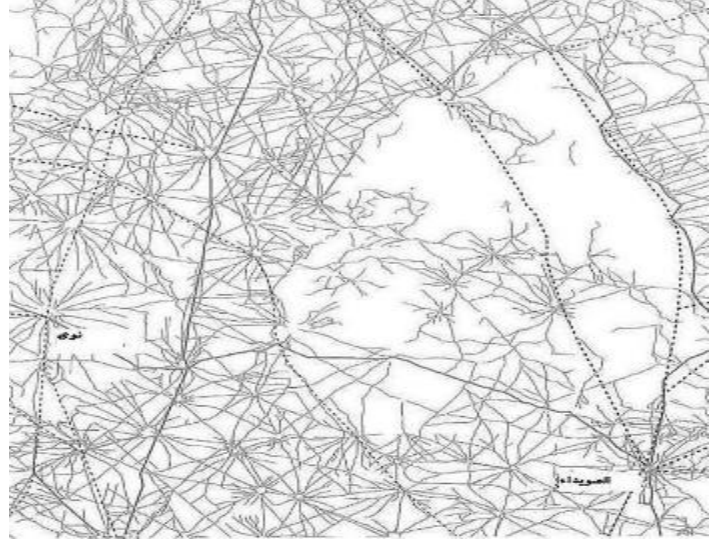
³⁹ Dentzer-Feydy, J: Décor architectural et développement du Hauran, dans **Hauran1**, partie 2, 1986, P. 286.

المتلاصقة التي لا يظهر منها من الخارج إلا جدران لا نوافذ فيها في الربع الشمالي الشرقي (المساكن رقم 1 و2 و3 و4) مع العلم أنه لا يوجد اتصال مباشر بين هذه المساكن. في المقابل، فإن المساكن المحفوظة في خربة غزالة وكفر شمس تستند إلى بعضها البعض أو أنه يفصلها عن بعضها زقاق ضيق على أكثر تقدير مما يشهد على نظام متراس، أي تكون الجدران الخارجية للمساكن المتلاصقة الموجودة في محيط القرية بمثابة سور لها، إذ نادراً ما تواجد سور قائم بحد ذاته يحيط بالقرية*.

يفصل كل قرية عن جارتها منطقة مُحجّرة أو كتلة صخرية واسعة بمثابة الحدود، ومع ذلك كان يوجد حدود إدارية واضحة ثبتتها السلطات الإدارية بصورة رسمية مع وضع إشارة أو شكل ما يتجه نحو كل من القريتين، وفي ما عدا الحدود الطبيعية كالوادي مثلاً يصادف أحياناً طرقات قديمة وواسعة مُحددة بجدران مبنية تكون بمثابة الحدود.

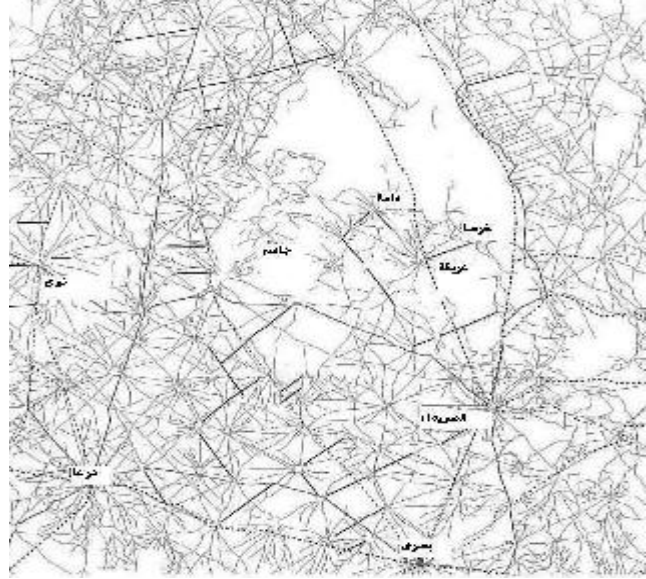
3.2.2 شبكة الطرق:

لم تربط شبكة الطرق الرومانية قرى حوران ببعضها وإنما اقتصر على ربط المدن والنقاط الاستراتيجية، أما القرى فكانت تتصل ببعضها البعض بواسطة شبكة من الطرقات التي فرضت هندستها الحاجة إلى الزراعة والدخول إلى الحقول، وقد اتخذت طبيعياً شكل نجمة مركزها القرية (عريقة، داما، حرّان)، أما نهايات الفروع فتُحدد شكل مضلع يتوافق مع نطاق الوجاهات الاعتيادية لسكانها (الشكل. 2):



* هناك سور يحيط بسبع مبني من الحجارة المضلعة وتتخلله الأبراج.

وهذه الطُرق مستقلة عن طرق الربط بين التجمعات السكنية. يبدو أن الاتجاه العام لطرق الربط هذه يعتمد في أكثر من منطقة على عناصر لمخطط بعض الطرق الرومانية: كمحور بصرى-إزرع في النفرة في المركز والجنوب، ومحور مزيريب-نوى في الغرب في البثنية (الشكل. 3):



يمكن استخدام مساحة الحيز الذي تشغله الطرق للحصول على تخمين أولي وتقريبي لامتداد القرية لكن من الصعب تحديد حدودها ميدانياً لأن هذه الحدود تتغير سريعاً نتيجة لاندثار الطرق إذ أن هذه الطرق تشكلت بشكل رئيسي نتيجة للدوس عليها وهجرها سبب اختفاءها (طرق سهل النفرة). على العكس من ذلك، لم تندثر الطرق التي فرضتها المخططات القديمة وعلمتها المتاريس في المناطق الجبلية والغابات ومناطق طبقات البازلت البارزة إلا بعد الاستخدام الحديث للآلات الضخمة في الأعمال التنظيمية للقرى. تظهر الخارطة (الشكل. 2) وجود قرى تتخذ طرقها أشكال مختلفة فهناك شرقي اللجاة مثلاً بعض الحقول مستطيلة الشكل مما فرض أن تكون الطرق التي تخدمها متوازية يقطعها طرق منحنية لتأمين الربط بين هذه الحقول (خرسا)، أما في السهل الواقع على السفح الغربي لجبل العرب من عتيل وحتى شهباء، فالحقول رباعية الزوايا هي التي فرضت شكل الطرق⁴⁰. إذاً ما هو مؤكد هو وجود أنظمة طرق مختلفة وأن الخارطة الحالية ما هي إلا انعكاس لتاريخ معقد، ولا يوجد حتى اليوم ما يؤكد التسلسل الزمني لتشكل هذه الطرق الشعاعية التي بقيت فعالة حتى الربع الأخير من القرن العشرين.

⁴⁰ Bausou, T: Le réseau routier romain de la Syrie du sud, dans *Hauran* 2, Beyrouth, 2003, P.287-288.

3.2.3 المياه:

كانت القرى القديمة تتوضع بالدرجة الأولى بالقرب من الوديان. كانت المياه تُستجر من تلك الوديان -خاصة المنحدرة من أعالي الجبال- عبر أقبية جر ضخمة تملأ بركاً كبيرة في القرى (قنوات وادي الزيدي أسفل بصرى). كان من الممكن ملئ هذه البرك أيضاً من مياه الأمطار مباشرة بتجميعها على سطوح بازلتية واسعة جرداء، وهذه البرك إما أن تنحت في الصخر وتكون مغطاة ومزودة بفتحة لتغذيتها بالمياه* أو أنها مبنية باستخدام الحجارة المنحوتة جيداً وتكون مكشوفة غالباً. لا يزال العديد من هذه الخزانات والبرك مستعملاً حتى اليوم والبعض منها بحالة جيدة جداً، ويعتقد أنها ظهرت مع نشوء القرى واستمر بناؤها حتى العصر الإسلامي مروراً بالحقبين الرومانية والبيزنطية⁴¹.

ظهر إلى جانب البرك الكبيرة عدد كبير من البرك الصغيرة لتلبية الحاجات اليومية للأهالي ومواشيهم وهي أقل أهمية من سابقتها بسبب أعماقها البسيطة مما يتسبب في تبخرها صيفاً، هذا بالإضافة إلى وجود خزانات خاصة بالمساكن في جوانبها المنخفضة كانت تملأ عن طريق تفرعات من السواقي.

فيما يخص الزراعة فمن المؤكد أن الأمطار كانت تكفي لها، إذ لم يعثر على أية آثار لأقبية واضحة مخصصة للري على نطاق واسع. ربما كان الري سائداً إلا أنه لا يوجد ما يثبت ذلك⁴².

3.3 المسكن القروي:

كانت المساكن وماتزال تلقى الاهتمام الأول بين المباني الأثرية المدروسة في منطقة جنوب سورية، سواء تعلّق الأمر بأبنيتها المتواضعة أو بمجموعاتها الصرحية وقد بقي عدد كبير من هذه الأبنية مشغولاً حتى القرن العشرين بشكل مستمر أو بوجود انقطاعات.

إن ابتكارية الهندسة المعمارية القروية في حوران هي أولاً ابتكارية تقنية، فمادة البناء الوحيدة المستخدمة هي البازلت المتوفر في المنطقة ولم يتم اللجوء إلى المواد المستوردة (الخشب). الجدران

* هناك الكثير من المغر في تل قليب مزودة بمثل هذه الخزانات ذات الأحجام الكبيرة، بسبب شدة الثلوج الشتوية، والتي يمكن الوصول إليها بواسطة درج.

⁴¹ Braemer, F/Davtian, G: l'habitat rural en Syrie du sud, dans *Hauran 3*, Beyrouth, 2008, P. 11-12.

⁴² Gentelle, P: Eléments pour une histoire de paysage et du peuplement du Djebel septentrional, dans *Hauran 1*, parti 1, 1985, P. 22.

حجرية وهي مبنية دون استخدام ملاط إلا التراب في بعض الأحيان، والسقوف عبارة عن بلاطات ترتكز على الأطناف من جهة وترتكز من جهة أخرى إما على دعامة مركزية أو على قوس مستعرض. تستبعد طريقة البناء هذه استخدام الخشب في الهيكل وحتى في الأبواب أحياناً.

إن استخدام البازلت ذي المقاومة الاستثنائية وحده في البناء هو أحد أهم عوامل إنقاذه واستمراريته حتى أن استعاضته بالعناصر الخشبية في الأبنية المهجورة في بعض المناطق الأخرى أدى إلى دمارها السريع دون إمكانية استردادها. إذاً هذا ما يفسر بقاء واستمرار نسبة كبيرة من الأبنية القديمة في منطقة جنوب سورية محافظة على شكلها العام* واستخدامها كمساكن عبر فترة زمنية طويلة. يشاهد في هذه المساكن آثار إصلاحات نُفذت إثر هزات أرضية**، كما لوحظ إلحاق غرف إضافية ضمن نطاق الجزء المركزي للمسكن الأصلي. يبدو أن البنائين راعوا في هذه التوسيعات والإصلاحات الأسلوب المعماري الأصلي بقدر ما كانت تسمح لهم قدراتهم التقنية. لا ننسى هنا ذكر العائلات التي قدمت من لبنان بدءاً من القرن الثامن عشر وخاصة القرن التاسع عشر لتستقر في جبل العرب هرباً من إضهاد الأتراك. فضّل هؤلاء السكان الجدد على ما يبدو في بعض الحالات استرداد المواد القديمة لبناء مساكن جديدة لهم، وفي حالات أخرى استقروا ببساطة في مساكن بحالة جيدة تعود إلى الفترة الرومانية والبيزنطية.

هذا كله يضعنا أمام واقع معقد لا يمكن فهمه بشكل شامل ولملموس إلا انطلاقاً من معلومات متشعبة ومجزئة، خاصة وأن هذا الإرث مهدد للغاية تارة بالهجران وتارة أخرى بتعدي الأبنية الجديدة على حيّزه، فطيلة ما كانت الأبنية مأهولة، كانت تُصان باستمرار باستخدام تقنيات مشابهة لتلك المستخدمة في العهود القديمة. اليوم، وأمام الراحة التي تؤمنها المساكن الحديثة، هجر السكان عدد كبير من مساكنهم ليتركوها مهددة بالانهيار وسط الأراضي التي أصبحت بوراً ومليئة بالحيوانات وبالأنقاض وبالنفائات، أما أولئك الذين لم تسمح لهم أحوالهم المادية بالانتقال إلى مكان آخر، فقد لجؤوا إلى إضافة غرف أو حتى مجموعة من الأبنية الشاذة*** داخل الوحدات القديمة تلبيةً لحاجة العائلات التي يزداد عددها، هذا إذا لم يقوموا بهدم مساكنهم القديمة ليوفروا مكاناً لبناء مساكن جديدة لهم⁴³.

* يصادف في بعض الأحيان ثلاثة بل حتى أربعة مستويات محفوظة مع سقوفها.

** إعادة بناء جزئية لجدران باستخدام حجارة مختلفة عن تلك المستخدمة في البناء الأولي كتزميم سقوف تحمل بلاطات مكسرة.

*** لاحظ في هذه الأبنية الخرق الفظ في مواد البناء المستخدمة (بيتون مسلح، إسمنت) وفي تقنياته.

⁴³ Clause-Balty, P: 2008, P. 20.

3.3.1 أنواع المساكن:

يمكننا تقسيم نماذج السكن في هضبة حوران في العهدين الروماني والبيزنطي إلى خمسة نماذج وهي:

1- المسكن المنفصل: وهو عبارة عن وحدة سكنية مستقلة، وهذا النموذج منتشر في أغلب مناطق الهضبة.

2- المسكن الشريطي: وهو عبارة عن تجمع عدة وحدات مستقلة تتوضع على صف واحد بشكل شريطي.

3- المسكن المفتوح على فناء داخلي: وهو عبارة عن توضع عدة وحدات حول فناء داخلي وهنا نميز عدة أشكال لهذا التوضع:

- الوحدات تتوضع حول الفناء من جهة واحدة.

- الوحدات تتوضع حول الفناء من جهتين.

- الوحدات تتوضع حول الفناء من ثلاث جهات.

- الوحدات تتوضع حول الفناء من الجهات الأربع.

4- المسكن ذو البرج: وهو عبارة عن وحدة سكنية مستقلة توجد فيها غرفة مربعة الشكل ترتفع على هيئة برج مؤلف من أربعة طوابق. تواجد هذا النوع من المساكن في القرى المحيطة بالجبل والمناخمة للبادية، وقد ذكر المستشرق بتلر واحداً منها وهو المنزل الموجود في "سهوة القمح".

5- المسكن ذو الرواق: انتشر في فترة لاحقة من العصر البيزنطي، إذ تم إضافة رواق أمام الوحدات السكنية⁴⁴.

3.3.2 تقنيات البناء والتنظيم:

3.3.2.1 الحجر وطريقة معالجته:

الحجر المستخدم في البناء هو حجر بازلي، صنع إما من بازلت حبتة صغيرة مصدره الطبقات الأكثر عمقاً وبالتالي استخراجها أكثر تكلفة، أو من بازلت أقل كثافة وجوفي مصدره الطبقات السطحية وبالتالي فالحصول عليه أسهل وأقل تكلفة. استخدم هذان النوعان من البازلت في العمارة السكنية بحسب غنى المالك وقرب المقالع ونوع الجدران المبنية، فمن البازلت ذو الحبة الناعمة

⁴⁴ عبود، غسان: تأثير الحجر البازلي في إعادة تأهيل الأبنية السكنية القديمة، مجلة الباسل للعلوم الهندسية، العدد 8، دمشق، 1997

صنعت الكتل الحجرية الداخلة في بناء واجهات الباحات وفي العناصر المعمارية التي تتطلب إتقاناً كبيراً كإطارات الأبواب والنوافذ والمعالف وعضادات ومفاتيح الأقواس والعتبات والأطناف وبلاطات السقف لغرف المعيشة والاستقبال والأعمدة وخرجات الأروقة، بينما استخدمت كتل البازلت الجوفي في بناء الواجهات الثانوية والجدران الداخلية التي يتم إخفاء مظهرها غير المنتظم بطبقة من الطلاء، وفي بناء سقفوف الغرف المخصصة للنشاطات الاقتصادية.

3.3.2.2 مظهر الجدران:

بُنيت الجدران مضاعفة بسبب الحمولة الثقيلة للسقوف وبهدف تقليص حجم الحجر الثقيل جداً، هذا بالإضافة إلى الحد من الوقت المستهلك لنحته ومن تكلفته العالية.

تتألف الجدران من حجارة متساوية الأبعاد تقريباً تبلغ سماكتها بين 0,8 إلى 0,9 م وتجمعها مفاصل حجرية دون وجود ملاط أو مفاصل معدنية. نادراً ما نشاهد العارضات وهي إن وجدت تكون متوضعة داخل مداмик جدران الأسوار.

لم يكن مُمكنًا فحص الأساسات دون تنقيب أو سبر. مكّنت بعض ثقوب الاختلاس في بعض الحالات النادرة من ملاحظة وجود أساسات يصل عمقها حتى 50 سم بالنسبة للجدران الفاصلة المبنية من حجارة الدبش المكدسة داخل الحفرة.

3.3.2.2.1 أنواع الحجارة المستخدمة في البناء:

ميّز بتلر (Butler) في دراسته لفن العمارة في جنوب سورية خمسة أشكال من الحجارة الرباعية في بناء الجدران ألا وهي⁴⁵:

1 - الحجارة الكبيرة الملساء رباعية الزوايا المتقنة النحت والمتراسة جيداً واستخدمت

بشكل رئيسي في بناء المعابد والقبور وأبنية صرحية أخرى تعود للفترتين النبطية والرومانية، كما استخدمت كإطارات للمنافذ والكوى.

2 - الحجارة رباعية الزوايا تقريباً والناثئة: استخدمت في بناء الحصون وأبراج المراقبة

والأسوار وفي بناء المساكن الخاصة في بعض الحالات، كما استخدمت في البثنية وذلك في البرج الذي يستند عليه بيت العلو في انخل (الشكل. 18) وكذلك في البرج الذي أضيف إلى بيت حمدان (1) في كفر شمس (الشكل. 19). يختلف هذان

⁴⁵ Butler, H.C: *Publications of the Princeton university archaeological expeditions to Syria in 1904-1905 and 1909*, part 6, Leiden, 1916, P. 67-68.

البرجان في كون الجدار الخارجي من برج انخل مبني كله من الكتل الحجرية الناتئة، بينما لا تشكل هذه الحجارة في برج كفر شمس سوى ثلاثة أو أربعة مدايميك غير مكتملة في الجزء العلوي من البناء. هذا يدفع للاعتقاد بأنها حجارة معادة الاستخدام جلبت من صرح سابق كما هو حال جدار السور الغربي والشمالي للمسكن رقم (3) في محجة.

3 - الحجارة الملساء رباعية الزوايا تقريباً والمشذبة بإتقان والعائدة إلى الفترة البيزنطية: استخدمت هذه الحجارة في بناء الواجهات المطلّة على أفنية المساكن الكبيرة في البثنية (اللوحة. 65 ب)، وتشاهد أيضاً في الداخل في القسم السفلي من جدران غرف الاستقبال والغرف المتسمة بالفخامة، وهي تعود للفترة البيزنطية أو ربما لفترة أبكر منها*.

4 - الحجارة الملساء رباعية الزوايا تقريباً: وهي حجارة مشابهة للحجارة السابقة إلا أن وجهها الظاهر أقل إتقاناً، وقد استخدمت في البثنية في المساكن الغنية لبناء الواجهات الثانوية وأسوار الفناء وكذلك لبناء الواجهات المطلّة على الأفنية في الأبنية التي لا تحتوي إلا على وحدات لتربية الماشية كما هو حال المسكنين (E) و(D) في معربا (الشكل. 13).

5 - الحجارة الخشنة سيئة النحت والترتيب: وهي حجارة رباعية الزوايا تقريباً وتختلف عن النوعين السابقين بكون نتوءات زواياها غير واضحة كفاية ووجهها الظاهر بالكاد مُشذب. استخدمت هذه الحجارة المقصبة في مساكن البثنية في بناء الجدران الداخلية للغرف والقاعات، ومن الممكن أنها استخدمت أيضاً في الترميمات وفي أبنية متأخرة (اللوحة. 70 ب).

لم يذكر بتلر (Butler) تفصيل تقني يصادف عادة في الواجهات الخارجية لجدران المساكن في البثنية وهو عبارة عن كتل حجرية مُقطعة على شكل عُقب مما يشهد كما هو واضح على حجارة ربط أو قد يتعلق الأمر ربما بحاجة إلى حجارة من نوعية جيدة موجودة في المكان إلا أنها لم تكن بالأبعاد المطلوبة، وبالتالي كان هناك حاجة لإعادة نحتها. يُصادف هذا النوع من الحجارة المنحوتة بشكل عُقب في الجدران المُشذبة بدقة في الواجهات المطلّة على الباحات أكثر بكثير من مصادفتها في مكان آخر (الشكل. 4).

* يتراوح طول حجارة الواجهة الشمالية في دار مجرش بين 0,71 – 2,08 بينما يتراوح عرضها بين 0,35 – 0,75.

يشاهد أيضاً نوع آخر من التقطيع لبعض الكتل الحجرية على شكل لسان ونقرة التعشيق ويمكن لمثل هذه الحجارة أن تتوضع في مداميك كاملة أو متفرقة في البناء. تقوم هذه الكتل الحجرية مقام كلابات وتتواجد غالباً في الجزء العلوي من الجدران وتستخدم في دعم الربط بين حجارتها⁴⁶. لا يمكن تطبيق هذه الطريقة إلا مع حجر البازلت، فهو الحجر الوحيد القادر على مقاومة قوى الجر ومن المحتمل أنها استخدمت في الفترات التي شهدت نشاطات زلزالية عنيفة، والعقبة الأساسية التي يواجهها ناحته الحجر هنا هو أن نحت مثل هذه الكتل الحجرية يحتاج لوقت مضاعف، لهذا السبب بلا شك، لا تشاهد هذه التقنية في العمارة السكنية إنما في العمارة الرسمية والدفاعية، والحالة الوحيدة المشاهدة في مسكن هي تلك المتعلقة بالبرج المضاف إلى المسكن رقم (1) في كفر شمس.

3.3.2.2.2 التليبية:

بحسب بتلر⁴⁷ (Butler) فإن جدران الأبنية العائدة لكل الفترات كانت ملبسة داخلياً وخارجياً وكانت نوعية التليبيس متعلقة بنوعية الدعم الواجب إضفائه، وتكون التليبية :

- إما على شكل طبقة واحدة رقيقة وقاسية على السطوح المجصصة بإتقان لبعض الواجهات وعلى إطارات الأبواب من الخارج وعلى عضادات الأقواس وصنجاتها من الداخل.
- أو على شكل طبقتين وذلك على السطوح ذات التشذيب الأقل إتقاناً نوعاً ما بحيث تكون الطبقة الأولى خشنة وغير متقنة وبسماكة 1 إلى 2 سم وتكون الثانية ناعمة وقاسية.
- أو على شكل ثلاث طبقات وذلك على السطوح سيئة التشذيب داخلياً وخارجياً بحيث تكون الطبقة الأولى غير متجانسة وبسماكة 4 إلى 10 سم وتحتوي على كسر من السيراميك والبازلت ثم الطبقة الثانية الأكثر نعومة وهي من الجص الأبيض وفيها أثلام وأخيراً طبقة التشطيب وهي عبارة عن طلاء.

ما زال هناك آثار تليبيس في منازل البثنية* إذ يشاهد على الجدران الداخلية المشذبة على نحو سيئ تليبيسات مؤلفة من طبقتين (الشكل 5)، طبقة أولى بسماكة 5 إلى 6 مم مؤلفة من مادة ناعمة جداً رمادية ومتماسكة هي على ما يبدو مسحوق البازلت*، أما الطبقة الثانية فهي بسماكة تتراوح من 3

⁴⁶ De vries, B: Umm el-Jimal, a frontier town and its landscape in northern Jordan, Rhode Island, 1998 P.121.

⁴⁷ Butler, H.C: 1919, P.69.

* بالإضافة إلى وجود اللبن الحديث جداً هذا مما يعطي مظهراً مختلفاً قليلاً عن ما وصفه بتلر.
* يتعلق الأمر هنا بمادة مستخدمة لتليبيس السطوح تسمح نعومتها بإخفاء الفواصل غير المتناسقة بسهولة.

إلى 4 مم وهي قاسية وبيضاء وتتألف ظاهرياً من الكلس وحصى البازلت ويمكن لها أن تحمل زخارف ناتئة وطلاء.

يشاهد في القاعة ذات القوس الرئيسي في بيت العلو في انخل في منتصف علو الجدران مدماك بارز مستمر يحمل الطلاء الموجود على نفس سويته زخرفة إفريز ناتئ أو طرف إزار مع حلية شريطية وحلية بارزة ونصف مستديرة وحلية أسنان (الشكل. 6)، كما يشاهد على العضادات وعلى مفاتيح عقود الأقواس وعلى السطوح المبنية من البلاطات المشدبة بإتقان آثار كلاس (وليس تلبيسة) أبيض في الغالب، لكنه ملون أحياناً.

لم تُشاهد تلبيسة "قشرة البيضة" التي وصفها بتلر (Butler) إلا في الزخارف الشكلية البسيطة مثل الأواني الكبيرة على الصنجات السفلية للقوس في المسكن رقم (3) في خربة غزالة أو حتى في الزخارف الهندسية على سطح المسكن رقم (3) في محجة. إن آثار التلبيس أكثر ندرة خارجياً، ولم تُشاهد سوى على إطار باب المسكن رقم (1) في محجة وهي تتألف من طبقة واحدة بسماكة 3 ملم تقريباً مصنوعة من الكلس ومن حصى ناعمة جداً من البازلت. مع ذلك يشاهد استثنائياً في الواجهة المطلة على الفناء للبناء الشمالي لبيت العلو باب بإطارات مزخرفة بزخارف بارزة، وإلى جانب الباب هناك سطح خشن مع كتل حجرية من البازلت المجوف والمنقر قليلاً لتسهيل التصاق التلبيسة التي لم يبقَ لها أي أثر.

هذه التلبيسات والطلاءات الجيرية ليست هي الأصلية طبعاً، ولكنها تماثلها، وهي لا تعود لطور الاستيطان الأخير فيه كان يفضل اللبن، وإنما يمكن أن تعود للفترة العثمانية أو ربما القروسطية⁴⁸.

3.3.2.3 مظهر الأرضيات:

لا يشاهد سوى عدد قليل من الأرضيات الأصلية بسبب الردم واسترداد الحجارة المشدبة سهلة الاقتلاع. قد يصادف وجود بلاط منتظم من البازلت في باحات بعض المساكن في محجة ونوى وكذلك في غرف الطابق الأرضي بما فيها الإصطبلات.

هناك حالة كان من الممكن فيها التعرف على تلبيسة على أرض ممهدة مكونة من نفس تركيبة التلبيسة الحائطية من طبقتين رمادية وبيضاء ولكنها أكثر كثافة، ويبدو أنها تعود لفترة شغل متأخرة لابد أنها معاصرة لتلبيسات جدارية محفوظة، وهي إما أنها تقليد لتنظيم حالة سابقة أو أنها وضعت بسبب اقتلاع البلاط. يفترض أن أرضيات الطابق العلوي كانت تغطيها تلبيسة من نفس النوع ولكن لم يشاهد لها أثر.

⁴⁸ Butler, H.C: 1919, P. 68.

3.3.2.4 الأبواب والنوافذ:

إن إطارات الأبواب والنوافذ ذات سطوح ملساء أو موتدة وتكون مزخرفة أحياناً كما هو الحال في بيت العلو في انخل، وفيها زوايا حجرية واضحة لتسهيل عملية الانطباق.

أبعاد الأبواب والنوافذ واحدة نسبياً مما يدعو للافتراض بوجود معيار موحد لصناعتها. يتراوح عرض الأبواب بين 0,75 إلى 1,30 م وارتفاعها بين 1,20 وأكثر من 2,20 م وتتعلق أبعادها بوضع الغرف المراد تزويدها بها، إذ تكون الأبواب كبيرة في مداخل الأفنية وقاعات الاستقبال والمستودعات، وتكون أبعادها أصغر للاتصالات الداخلية والعرض الأكثر شيوعاً هو +/- 1 م.

السواكف مزودة في سقفها بزعاير وعددها اثنين عادة ويتراوح قطرها بين 6 إلى 10 سم وعمقها بين 4 إلى 8 سم، بالإضافة إلى نقرتي تعشيق مربعتي الزوايا تتوافق مع نظام إغلاق عمودي (الشكل 7). لا يتجاوز شق هاتين الأخيرتين الـ 5 أو 6 سم، مما يشير إلى أن مصاريع الباب الأصلية كانت من الخشب وليس من البازلت كما هو حالها اليوم.

يعلو أكثر الأبواب نافذة صغيرة مستطيلة أو طاقة تفيد في إدخال الضوء إلى الغرفة وفي تخفيف حمولة ساكف المدخل في آن. يوجد على الإطار تجاويف عميقة لتثبيت قضبان خشبية أو حجرية وكذلك زعاير صغيرة لوضع المصاريع الداخلية والتي هي من الخشب أيضاً. في حال غياب الشراعة تزود سواكف الأبواب الأكبر بنظام لتخفيف الحمولة يتكون من كتل حجرية قطعت بشكل خاص تجمع بين الفعالية وبين نوع ما من القيمة الزخرفية⁴⁹.

تزود غرف الاستقبال والمعيشة ذات الأقواس بأبواب كبيرة تطل على الباحات ويعلوها ثلاث نوافذ أو أكثر متفاوتة الحجم والشكل. يحمي سقف الرواق هذه النوافذ من مياه الأمطار، وفي حال عدم وجود الرواق يحميها بشكل عام إفريز حجري صغير يستند على حاملين، أما إضاءة هذه الغرف فتتم عبر نوافذ أخرى عالية تقع في الخلف أو على الجوانب، وهي أيضاً محمية من مياه الأمطار بواسطة إفريز، كما أنها مزودة بمصاريع داخلية من الخشب.

على عكس قاعات القوس المُنارة جيداً فإن غرف الطابق الأرضي ذات الأبعاد الصغيرة، والغرف المعدة لتربية الماشية لا يزودها بالضوء سوى الطاقة في أعلى المدخل، بينما تزود غرف الطوابق العلوية بعدد أكبر من الفتحات المطلّة على الفناء وعلى الخارج. يلاحظ وجود نية واضحة للحد من عدد النوافذ المطلّة إلى الخارج في الطابق الأرضي وهذا يؤدي حتماً إلى إغراق بعض الغرف في

⁴⁹Clause-Balty, P: 2008, P. 55.

الظلام الدامس. في المقابل، تكون النوافذ أكثر عدداً وأكثر اتساعاً في الأماكن البعيدة عن نظرات المتلصصين.

3.3.2.5 السقوف والسطوح:

استخدمت البلاطات البازلتية لبناء السقوف بسبب عدم توفر الخشب في الجوار. لا يمكن لحمولة هذه البلاطات أن تتجاوز الـ 3 م مما يحد اتساع الغرف، ولتجاوز هذه السيئة لجأ المعمارىون إلى إدخال عدة صفوف من الأطناف المائلة على بعضها البعض في قمم جدران الجوانب الطويلة من الغرف لتشكل ما يسمى الخرجة. لهذه الأطناف جزء مرتكز وجزء بارز يبلغ طوله 40 سم وسطياً ونهايتها أعلى من بروزها أما سماكتها فتحسب بعد أخذ مقاومة البازلت للالتواء الذي تفرضه حمولة بلاطات السقف بعين الاعتبار وذلك لتفادي التصدع.

بما أن البلاطات البازلتية لا تغطي سوى 10 سم من الأطناف، يصبح الاتساع المكتسب إذاً 60 سم ولزيادة الاتساع يمكن مراكة حتى ثلاثة صفوف من الأطناف على شكل خرجة مما يسمح بزيادة الاتساع حتى 2,20 م، هذا بالإضافة إلى زيادة الارتفاع بمقدار ارتفاع الأطناف المتركة⁵⁰.

هناك أربعة أنواع مستخدمة من الأطناف وفقاً لحالة الغرفة المراد سقفها وموقعها في الطابق الأرضي أو في الطوابق العليا. يمكن أن نميز في البداية بين الأطناف سيئة النحت والأطناف المتقنة فالأولى مصنوعة من حجارة مقطّعة فقط دون نحت أي أنها خشنة ومنقّرة وتستخدم عادة لدعم سقوف الإصطبلات والهري والمخازن، أما الثانية فيأخذ مقطعها شكل صافرات أو حلية ربع دائرية أو تضليعات مستقيمة وتكون متقنة النحت والتطابق. يقتصر استخدام الطنف ذي التضليعات على غرف الاستقبال والقاعات الفخمة وفي حالات استثنائية غرف المعيشة. تماثل مقاومة هذا الطنف للالتواء مقاومة الطنف الصافري الشكل، ويستخدم كلا النوعين عادة في الطابق الأرضي حيث تكون الحمولة أقل ثقلاً، بينما يتواجد النوع الثالث ذو المقطع ربع الدائري الأقل كثافة وبالتالي الأكثر صلابة في سقوف الطوابق العليا لتحمل ثقل السطح المُثقل بالطين.

تغطي السقوف بطبقة من الطين بسماكة 30 سم تقريباً لضمان كتامتها. تجدد هذه الطبقة دورياً وترص بحيث تُعطى شكلاً محدباً قليلاً حتى تسيل مياه الأمطار على الجوانب ويصبح بالإمكان إفراغها عبر المزاريب الموضوعة لهذا الغرض. تُحفظ هذه الطبقة ببناء حاجز على محيط السطح مما يزيد أيضاً من حمولة أطناف السقف.

⁵⁰ Clause-Balty, P: 2008, P. 57.

3.3.2.6 الأدرج:

تحتوي مساكن البثنية على غرف في الطوابق العلوية، لكن لم يكشف في أي واحد منها حتى الآن درج داخلي. تتواجد الأدرج دائماً في واجهة البناء أو في سور الفناء وتتكون من درجات ذات مقطع مثلي الشكل تدمج في البناء* وتقود إلى قرص الدرج أو إلى ممر أو إلى سطح رواق الواجهة. يمكن للدرج في حالات كثيرة أن يبدأ من على ارتفاع 1 إلى 1,5 م فوق الأرض**، ويفترض أنه كان يتم إكمال القسم الذي لا يحوي درج بمروحة متحركة من الخشب، وهي طريقة متبعة للحماية من المتطفلين.

3.3.2.7 القوس الداعم:

في الوقت الذي سمحت فيه الخرجة بزيادة عرض الغرفة حتى 5 م، كان يتوجب إيجاد طريقة أخرى تسمح ببناء غرف أكثر اتساعاً أيضاً تمثلت أبسطها باستخدام دعامة أو أكثر من دعامة لإسناد السقف. وجدت الأبنية المبنية وفق هذه التقنية في عدد من القرى العائدة للفترة الرومانية والبيزنطية وحتى بعد تلك الفترة، كما هو الحال مثلاً في شقرا على الطرف الشمالي الغربي لهضبة اللجاة⁵¹.

لا تشاهد هذه التقنية في مساكن البثنية إذ استبدلت الدعامة بالقوس التام نصف دائري أو بالقباب. يتألف القوس التام النصف دائري من صنجات منحوتة ومرتصة بإتقان ويستند على عضادات قواعدها وحواملها مشدوفة بشكل بسيط غالباً، وقد مكّن توظيفه من بناء غرف يصل طول ضلعها بسهولة لأكثر من 6 م وكذلك ارتفاعها.

بعكس الأقواس، نادراً ما كانت القباب الداعمة تستخدم في العمارة السكنية بسبب كلفة إنشائها العالية، ولا تشاهد إلا في غرف الحجلة في أكثر المساكن غنى، هذه الغرف التي لها بكل وضوح أهميتها الخاصة***.

3.3.3 وحدة بناء معمارية:

سهّل استخدام القوس وإمكانية بناء غرف واسعة وعالية وضع وحدة بناء معمارية تميز معظم مساكن البثنية بل معظم مساكن منطقة حوران البازلتية في الفترة الرومانية والبيزنطية. تتألف هذه

* يبلغ طول جزئها النائي حوالي 0,80 م.

** في كفر شمس المسكن رقم (2) وفي المربيط وفي بيت العلو في انخل على سبيل المثال.

⁵¹Braemer, F/Echallier, J.C: Khirbet al-Umbashi: villages et campements de pasteurs dans le désert noir à l'age Bronze, Beyrouth, 2004, P. 72-73.

*** الرومان هم الذين أدخلوا القباب الداعمة وهذا العنصر الأساسي في توسيع الحيز المكاني.

الوحدة من قاعة كبيرة وعالية وغرفتين على جانبيها تنتظمان وفق طابقين يعادل ارتفاعهما في أغلب الأحيان ارتفاع الغرفة الرئيسية.

تتميز المساكن الرومانية-البيزنطية في المنطقة بالاعتماد المتكرر لوحدة البناء المعمارية المستقلة هذه وتختلف عن بعضها في عدد الغرف الجانبية فقط، إذ يمكن أن تبنى على جانب واحد أو على جانبيين أو على ثلاثة جوانب من الغرفة الرئيسية التي لا تتصل إلا مع الغرفة التابعة لها مباشرة. يمكن تكرار هذه الوحدة عدة مرات بشكل متجاور (الشكل. 8 أ) ومرتين بشكل متناضد (الشكل. 8 ب)، كما يمكن أن يضاف إليها غرف أخرى أصغر أو أكبر حجماً بحسب الحاجة.

لا توجد هذه الوحدة المعمارية إلا في سورية الجنوبية ولا تُعمر إلا باستخدام البازلت وقد أثبت استخدامهما المنهجي قدرتها على الاضطلاع بالوظائف المتعددة في المسكن من استقبال وسكن وحتى تربية المواشي لكن باستثناء التخزين. إذاً، يمكن لقاعة القوس التي تجاورها الغرفة الجانبية أن تقوم مقام مكان استقبال الزبائن. في هذه الحالة، تحوي الملحقات على غرفة منامة أو ما يعادلها في الطابق الأرضي، أما طابقها العلوي فلا يمكن الوصول إليه من داخل الغرفة ذات القوس وإنما من الفناء فقط عبر درج أو عبر سطح رواق.

يمكن لنفس الوحدة المعمارية أن تحتوي على إصطبلات في الطابق الأرضي للغرف الجانبية التي لا يمكن الدخول إليها إلا عبر الفناء، لكنها تتصل مع الغرفة ذات القوس عبر كوات العلف الموجودة في الحيطان المشتركة (الشكل. 9)، وبالعكس حالة الصورة السابقة، يمكن الدخول إلى طابق الغرف الجانبية العلوي من داخل الغرفة ذات القوس عبر أبواب عالية تتقدمها بلاطة على شكل قرص الدرج يستند عليها سلم. لا بد أن غرف الطابق العلوي كانت تستخدم كمخازن لعلف الحيوانات⁵².

يمكن لهذه الوحدة المعمارية أن تتواجد أيضاً في طابق ثانٍ من الأبنية وتشكل الشقة الخاصة لمالك المسكن ولعائلته. كان يتم الوصول إلى القاعة ذات القوس والغرف الجانبية الأرضية للوحدة العليا عبر سقف رواق الواجهة أو ببساطة أكبر عبر ممر بينما كان يتم الوصول إلى الغرف الجانبية العلوية من داخل القاعة الكبيرة فقط. يوجد أكثر مثال محفوظ عن ذلك في البناء الشمالي لقصر معربا (اللوحة. 1).

ليس من الضروري مشاهدة نفس مبادئ البناء في المناطق المجاورة التي تواجه نفس مشكلة نقص الأخشاب، إذ يجب تمييز المنطقة البازلتية عن المناطق الأخرى. في النقب مثلاً صنعت بلاطات السقف بشكل عام من الكلس بطول لا يتجاوز الـ 1 إلى 1,2 م، نتج عن هذا الطول القصير للبلاطات

⁵² Braemer, F/Echallier, J.C: 2004, P. 90- 100- 101.

بالإضافة إلى غياب الأطناف، بناء غرف تحتوي على أكثر من قوس ملتصقة بشدة وغير ملحقة بغرف جانبية وإنما بممرات ضيقة. هذا هو الحال أيضاً في منطقة الكتلة الكلسية المفتقرة للخشب إذ لا تُشابه مساكنها مساكن جنوبي سورية، وحتى ولو احتوت هذه المساكن القروية على غرف ذات أقواس فإنها أصغر سعة ومغطاة بالاستعانة بسقيفات وبهياكل مصنوعة من الخشب المستورد بالإضافة إلى ندرة الغرف الجانبية فيها، وهي إن وجدت فلا تنتظم إلا ضمن طابق واحد. في المقابل، يبدو أن الجولان البازلتية تظهر نفس صفات حوران المعمارية حتى ولو كان من الصعب إجراء مقارنات فالدراسات الحالية لا تقدم وصف مفصل للمساكن، كذلك نجد في قرية أم الجمال وخربة السمارا في الأردن حلولاً معمارية مماثلة لحلول حوران السورية. بناءً على ما سبق لا يشاهد الترتيب المتمثل بالغرفة ذات القوس والغرف الجانبية المنتظمة ضمن طابقين إلا داخل المناطق البازلتية إذ تسمح مقاومة الحجر بصنع بلاطات سقف يصل طولها حتى 3 م⁵³.

3.3.4 التنظيم الحيزي ومنظومة التنقل:

أكثر المساكن المدروسة هي بأبعاد كبيرة جداً وفخامة ظاهرة تميز المنطقة وتشهد على غنى أصحابها. مع ذلك، ليس فيها ما يشبه الفيلا الرومانية على الرغم من الاستخدام المتكرر لهذا المصطلح للإشارة إلى المساكن الأكثر اتساعاً مثل فيلا جمرين.

سمحت دراسة الوضع الحالي للأبنية باقتراح بعض الترميمات بحسب الحالات. تشكل الأبنية مخططات على شكل حرف (L) أو (U) أو مخططاً مغلقاً بأكمله، وإذا لم تحيط الأبنية بالفناء من كل الجهات فإنه يطوّق بسور عال يقدر ارتفاعه في قصر معرباً على سبيل المثال بـ 4,80 م. المخططات الأكثر شيوعاً هي التي على شكل حرف (L) والأكثر ندرة هي المغلقة تماماً والبناء الرئيسي متجه بشكل عام باتجاه الجنوب أو باتجاه الشرق. تحتوي هذه المساكن في معظم حالاتها على طابق علوي يمكن الوصول إليه من الخارج فقط.

3.3.4.1 الفناء:

يعد الفناء في جميع المساكن المدروسة هنا قلب منظومة التنقل، فانطلاقاً منه يمكن الذهاب إلى أية غرفة من غرف الطابق الأرضي أو الطابق العلوي، إذ تم تقليص الاتصالات الداخلية لأقل حد ممكن.

⁵³ Sodini, J.P, Tate, G: Maisons d'époque romaine et byzantine, *Bilan des recherches archéologiques 1973-1979*, Bruxelles, 19 84. P.377-378.

3.3.4.2 مبانٍ منظمة ضمن طابقين:

عندما تكون المساكن محتفظة بعدد كاف من آثار أقسامها العلوية، يلاحظ فيها تنظيماً مشابهاً لتنظيم أقسام الطابق الأرضي، وخاصة وجود غرف الأقواس وإلى جوارها الغرف الجانبية المنظمة وفق طابقين. يمكن أيضاً مشاهدة تناقض قاعتي أقواس تنتظم ملحقاتها وفق أربعة طوابق مما يجعل ارتفاع البناء الذي يضمها عالياً.

بما أن وجود الدرج الداخلي معدوم، يتم الوصول إلى الغرف العلوية من الخارج وفق ثلاث طرق: إما عن طريق سلم يستند على بلاطة (على شكل قرص الدرج) تتقدم عتبة الباب (اللوحة. 2) وهي تشاهد أيضاً داخل غرف الأقواس خاصة عندما تستخدم الغرف الجانبية العلوية كمخازن لعلف الحيوانات الموضوعة في الإصطبلات الواقعة تحتها، أو عن طريق درج تدمج درجاته في الواجهة ويصل إلى قرص درج أو إلى رواق، أو عن طريق سقف رواق الواجهة. هناك حالة استثنائية واحدة في المسكن رقم (1) في كفر شمس، إذ لم يُبنَ الدرج للوصول إلى غرفة واحدة فقط إنما تم تطويله ليقود إلى سطح الرواق وإلى أماكن في الطابق الثاني (اللوحة. 1).

3.3.4.3 الأروقة:

أدت الهزات الأرضية إلى تحطيم الكثير من الأروقة تحطيماً كاملاً، مع ذلك ظل بعضها مقاوماً ولو جزئياً على الأقل. تشهد الآثار المتبقية* على وجود نوعين من الأروقة، فهي إما أن تكون بسيطة، أي مؤلفة من صف واحد من الركائز، أو مضاعفة بمعنى الارتفاع، وفي هذه الحالة يتكون الرواق من الأعمدة فقط⁵⁴. عندما تكون الأروقة مهدمة بالكامل يمكن استنباط شكلها من صفوف الأطناف المدمجة في الواجهة على مستوى سقف الطابق الأرضي فقط في حالة الأروقة البسيطة أو على مستوى سقف الطابق الثاني عندما يتعلق الأمر بالأروقة المضاعفة.

- أروقة بسيطة:

إن الأروقة البسيطة ذات الأعمدة هي الأكثر عدداً. كانت تبنى في كفر ناسج بوابة على شكل قنطرة نصف أسطوانية تتقدم مدخل القاعة الرئيسية في الطابق الأرضي (الشكل. 10) وذلك لتجنب الحاجة إلى بناء أروقة بارتفاعات عالية مع إضفاء صفة صرائحية على الواجهة. تسمح هذه الطريقة بتخديم الطابق الثاني للغرف الجانبية ولكنها لا تسمح باستمرار التنقل على طول الواجهة. تعتبر

* هناك آثار لأعمدة تسند عتب أو دعائم تستند عليها أقواس.

⁵⁴ Clause-Balty, P: 2008, P.58.

البوابة المقببة عنصراً مميزاً في مساكن كفرناسج، لكنها تتواجد أيضاً في واجهة قصر انخل، ووجود مثل هذه البوابة هو دلالة على غياب الطابق الثاني.

يتألف الترتيب الأكثر شيوعاً من رواق مستقيم يبنى سقفه بين باب غرفة القوس الرئيسية وبين النوافذ العالية التي تنيره (اللوحة 4 أ و 2) وعندما يكون صف الأطناف الداعمة لسقف الرواق مركباً فوق نوافذ قاعة القوس فهذا يعني أن البناء كان يحتوي على طابقٍ ثانٍ (اللوحة 5 ب).

- أروقة مضاعفة:

ليس هناك أي رواق مضاعف محفوظ، إلا أن وجود صف ثانٍ من الأطناف في قمة الواجهة فوق نوافذ الطابق الثاني يؤكد وجوده (الشكل 11). كانت وظيفة هذه الأروقة هي زيادة صرائحية البناء وحماية نوافذ الطابق العلوي من الشمس ومن تقلبات الجو⁵⁵.

هناك العديد من قواعد الأعمدة مضاعفة القاعدة بين الأنقاض والأبنية المرممة، تحمل واحدة من هذه القواعد أحاديدي على وجهين متقابلين وذلك لتنشيت حاجز ربما (الشكل 12). يبدو أن هذه القواعد كانت تستخدم كدعامات للطابق العلوي للرواق. تشاهد هذه العناصر المعمارية في المسكن رقم (11) في محبة وفي المسكن رقم (3) في كفر شمس وفي المسكن رقم (1) في كفر ناسج. يمكن أن يكون رواق المسكن رقم (1) في محبة مضاعفاً، إلا أنه لا يوجد ما يثبت ذلك، أما رواق المسكن رقم (3) في كفر شمس فهو مضاعف حتماً. في المقابل، من الصعب التخمين فيما إذا كان رواق المسكن رقم (1) في كفر شمس مضاعفاً وذلك بسبب وجود البوابة المقببة والأفاريز الحامية للنوافذ العالية لقاعة القوس. مع ذلك، كان يتبع لهذا المسكن جناح شرقي مدمر كلياً اليوم كان يتقدمه ربما رواق بطابقين. إن أعمدة الأروقة دورية* بشكل عام أو أنها ذات طراز مشتق من الطراز الدوري. يوجد أيضاً أروقة أيونية** وأروقة أخرى بطراز مختلط، حيث يتجاوز الطراز الدوري والطراز الأيوني بينما لا يشاهد الطراز الكورنثي*** حتى ولو بشكله المبسط. يصادف في بعض الحالات أن كل تيجان الأعمدة مختلفة عن بعضها البعض كما هو الحال في المسكنين رقم (2) ورقم (3) في كفر شمس أو أنها جميعها متشابهة كما هو حال أروقة المسكنين (1) و(2) في كفر ناسج.

⁵⁵ Clause-Balty, P: 2008, P.60.

* العمود الدوري: أقدم الطرز الإغريقية، ويتميز بخلوه من القاعدة وبتاج خال من الزخرفة، ويزداد نحافة مع الارتفاع والجذع به قنوات.

** العمود الأيوني: انتشر في آسيا الصغرى منذ القرن السادس ق.م ويمتاز بالقنوات وخلو القاعدة من الوسائد والتاج مزين بالزخارف الحلزونية.

*** العمود الكورنثي: ابتدعه الأثينيون في القرن الخامس ق.م ثم استعمله الرومان في عمارتهم، تاجه ناقوسي الشكل ذي البتلات المخددة رأسياً والمنحنية باتجاه الخارج، وهو مزخرف بأوراق الأكائثا.

3.3.4.4 الممرات:

كان يمكن الدخول إلى غرف الطابق الثاني عن طريق الممرات أيضاً، وهي عنصر معماري اقتصادي أكثر من الرواق. ما يزال هناك آثار لمثل هذه الممرات في المسكن رقم (6) في محبة يدل عليها صفوف بلاطات لا تستند على أطناف وإنما هي مدمجة مباشرة داخل البناء وبالتالي فهي تبرز عن الواجهة بمسافة 1 م. لابد أن مثل هذه الممرات كانت موجودة على واجهتي المسكنين رقم (1) ورقم (4) في محبة. بالإضافة إلى ذلك، يسمح وجود الأطناف المشدوفة الأقصر من الأطناف صافرية الشكل بافتراض وجود الممر أكثر من افتراض وجود الرواق، كما هو الحال فوق واجهة البناء الغربي من المسكن رقم (5) في كفر شمس. يمكن أن يكون هناك دليل آخر على وجود الممر ألا وهو الارتفاع الكبير والمبالغ به لصف الأطناف التي يفترض أنها تتوافق مع سقف رواق. هذا هو الحال فوق واجهة البناء الشمالي في قصر معربا حيث يفترض أن يكون ارتفاع الرواق إن وجد فعلاً 6 م بينما يبدو أن أقصى ارتفاع كان يمكن أن تبلغه الأروقة ذات الأعمدة هو أقرب إلى 4 م، وبالتالي تتوافق أطنافه مع ممر ربما.

3.4 وظيفة وتقسيم الحي:

يمكن تمييز ثلاثة أنواع من الحيّزات في عدد لا بأس به من مساكن البثنية ألا وهي: الحيّزات المخصصة للنشاطات الاقتصادية ومن ضمنها تربية المواشي والتخزين، والحيّزات المخصصة للسكن، وتلك التي كان يتوجب أنها مخصصة لاستقبال الزبائن أو لإدارة الحقل. أشار فرانسوا فيلنوف⁵⁶ (François Villeneuve) سابقاً إلى أن أماكن العمل تقع في الطابق السفلي وغرف المعيشة في الطابق العلوي. كان يمكن الدخول إلى الإصطبلات والمستودعات وغرف الاستقبال والاجتماعات بسهولة عبر الفناء، بينما كان يتوجب المرور عبر سقف رواق الواجهة أو ممر الشرفة للوصول إلى الشقق الخاصة بالعائلة، أي أن كل الأجزاء مرتبطة مباشرة بالفناء باستثناء غرف المعيشة التي عُزلت وحُملت بموقعها العالي ولم تكن مفتوحة مباشرة أمام أي زائر.

3.4.1 الحيّزات المتعلقة بالنشاطات الزراعية والرعية:

البثنية هي عبارة عن وادٍ واسع يمارس فيه نشاطان رئيسان ألا وهما زراعة الحبوب وتربية الماشية، مما دعى بشكل منطقي إلى الحاجة لإنشاء الإصطبلات والمخازن التي يمكن تمييزها بسهولة داخل المسكن.

⁵⁶ Villeneuve, F: L'économie rurale et la vie des campagnes, dans *Hauran 1*, Paris, 1985, P. 98.

3.4.1.1 الإصطبلات:

تتواجد الإصطبلات في غرف الطابق الأرضي الجانبية المجاورة لبعض قاعات الأقواس، وبالتالي فإن الجدار المشترك بينها يحتوي على فتحات لتزويد الحيوانات بالعلف. يعلو كل واحد من المعالف التي يرتفع طرفها حوالي 0,95 م عن الأرض، فتحة عرضها 0,70 م وارتفاعها 0,90 م، وتعلو هذه الفتحات عادة في جهتها الكائنة في قاعة القوس كوات مخصصة حتماً لإيداع الأدوات الضرورية لتربية الماشية (الشكل. 13).

يمكن لارتفاع المعالف أن يتوافق مع الأغنام أو الماعز. مع ذلك، لا يتجاوز ارتفاع أبواب الإصطبلات الـ 1,3 م مما يستدعي التفكير بتربية أبقار صغيرة.

تعلو الإصطبلات دائماً غرف لها نفس الأبعاد لا يمكن الدخول إليها في أغلب الحالات كما ذكرنا إلا عبر قاعة القوس بواسطة باب عال تتقدمه بلاطة على شكل قرص الدرج يوضع مقابلها سلم ولا بد أن هذه الغرف كانت مخصصة لتخزين العلف. كانت المعالف تُملأ عبر القاعة الكبيرة التي كان بالإمكان أيضاً استخدامها لحبس الحيوانات خلال فصل الحر أو لإيداع الأدوات. يصعب التخيل أنها كانت مكاناً للنشاطات الحرفية بسبب إضاءتها الضعيفة⁵⁷.

لا يحتوي الإصطبل الواقع إلى جانب البهو الشرقي مباشرة في المسكن رقم (11) في محبة إلا على أربع فتحات لتزويد الحيوانات بالعلف، بينما هي عادة ست فتحات (اللوحة 6. غرفة 003) كما أن هذه الفتحات أكبر ويشاهد على ركانزها في الجانب الواقع في قاعة القوس نقرات تعشيق مستطيلة الشكل قليلة العمق مناسبة لتثبيت حواجز مشبكية يرجح أنها خشبية أكثر من كونها حجرية. هناك أيضاً نقر تعشيق مماثلة على دعائم المعالف الواقعة على الجانب الآخر لهذه القاعة نفسها. يتميز هذا الإصطبل أيضاً بعدم وجود كوة فوق فتحات المعالف فيه ويبدو أنه لم يكن هناك اتصال مباشر بين القاعة وبين مكان وجود الحيوانات، هذا مما يطرح احتمالية أن يكون لهذه القاعة وظيفتها الخاصة. ربما كانت غرفة منامة للسائسين الذين يرافقون الزوار الرفيعي المستوى أو للفلاحين القادمين لمحاسبة سيد الحقل.

إن عدد الإصطبلات ليس واحداً في كل المنطقة، إذ يلاحظ ضمن العينات المدروسة أنها أكثر عدداً في معربا قرب بصرى (يتراوح عددها بين 20 إلى 40 معلف في كل مسكن) (اللوحة 7 و 8) وإذا كان بالإمكان التحدث هنا بدقة عن تربية هامة للمواشي فالأمر لا يتعدى في مكان آخر كونه نشاطاً ثانوياً أو أنه كان يتوجب الاحتفاظ بالخيل والحمير وحيوانات الجر الضرورية لأعمال

⁵⁷ Clause-Balty, P: 2008, P. 82.

الحقول والنقل. ربما كان الإصطبل الواحد الموجود في بعض المساكن كما هو حال المسكن رقم (3) في خربة الغزالة (اللوحة. 9)، مخصصاً لهذا الغرض. في المقابل، يلاحظ أنه لا يوجد إصطبلات في المساكن المحفوظة في كفر شمس بالقرب من الصنمين (اللوحة. 3 و10). يُمكن للمساكن الخالية من الإصطبلات أن تمثل حيّزات مخصصة لنشاط اقتصادي آخر زراعي أو حرفي.

3.4.1.2 المخازن:

كان يتوقع في هذه المنطقة التي تنتشر زراعة الحبوب فيها إيجاد عدد كبير من التجهيزات التي تخص هذه الزراعة مثل أماكن درس الحبوب وتذريتها ومخازن لتخزين القمح، إلا أنه لم يكن ممكناً تعيين سوى ثلاثة من هذه المخازن المحتملة في معربا وفي خربة غزالة أكبرها موجود في المسكن رقم (2) في خربة غزالة (اللوحة. 11). للأسف، فإن المسكن في وضعه الحالي مرمم بشكل كامل تقريباً باستثناء بناء واحد، وهذا الأخير يحتوي على قاعة كبيرة جداً مقسمة إلى قسمين أبعادها 21 م طولاً و9 م عرضاً ومسقوفة بسقف مؤلف من بلاطات من البازلت تستند على صفيين متوازيين مؤلفين من ثلاثة أقواس. يجاور هذه القاعة جنوباً غرفة لها نفس الطول والارتفاع إلا أن عرضها 3 م فقط. لا بد أن هذين المكانين كانا يستخدمان لتخزين مواد غذائية مختلفة والمشكلة تكمن في معرفة ماهية هذه المواد وطريقة تخزينها⁵⁸.

يتألف علف الحيوانات من تبين مفروم يصب في هري عبر فجوات تترك في سقف الهري بعد سد كل الثقوب والفتح باستخدام الدبش واللبن، ويفتح الباب المسدود بانتظام لأخذ العلف الضروري. كان يُستخدم لحفظ الحبوب حتى بضع عشرات من السنين خلت هري تتألف من هيكل من الخشب مغطاة بالدبش واللبن وموضوعة على ركائز، وبعد ملئ هذه الهري تختم وتستخرج الحبوب الضرورية عبر فتحة صغيرة في القاعدة. تسمح هذه الطرق بحماية المواد الغذائية بشكل فعال من القوارض ومن التخمر ومن أخطار الحريق.

اكتُشفت غرفتان فقط يمكن القول أنهما مخزانان في قصر معربا وفي المسكن رقم (3) في خربة غزالة (اللوحة. 9 الغرفة 008 واللوحة. 8 الغرف 017 و016). لكلا الغرفتين مخطط ضيق وطويل (15 م طول × 3,25 عرض في معربا و27,40 م × 3,15 م في غزالة)، ويتميزان بالارتفاع الملحوظ لسقفهما، وهما مشابيهتان للغرفة التي لها شكل شبه المنحرف والمجاورة للمخزن الكبير في المنزل رقم (2) في خربة غزالة، كما أن صغر بابيهما يثير الاستغراب (0,63 إلى 1,30 م كحد أقصى). من الممكن الافتراض هنا أيضاً أن المخازن كانت تملأ عبر السقف الذي يمكن الوصول إليه

⁵⁸ Clause-Balty, P: 2008, P.63.

عبر ممشى منحدر كما يشاهد في بعض مساكن قرية شقرا على الطرف الشمالي الغربي لهضبة اللجاة.

3.4.2 حيّزات الاستقبال والسكن:

كانت الغرف التي يستقبل صاحب المسكن فيها زبائنه أو التي يحتفظ فيها بسجلاته في الطابق الأرضي أيضاً، ويمكن الدخول إليها مباشرة عبر الفناء، وهي تقع في البناء الأكثر رفعة، ذلك الذي يتجه باتجاه الجنوب أو الشرق والذي يتقدمه رواق غالباً. يلاحظ عادة وجود تجمع للحيّزات، إذ تتواجد الإصطبلات في بناء وغرف الاستقبال في بناء آخر وغرف النوم في الطابق الثاني. أكثر الأمثلة وضوحاً على ذلك هي قصر معربا (اللوحة. 8 ب، البناء الغربي) والمسكن رقم (11) في محجة (اللوحة. 6 ب، البناء الشمالي).

صُممت الغرف الفخمة على منوال وحدات البناء المعيارية المؤلفة من القاعة المقوسة التي يحدها من جانبيها غرفتان وفق طابقين. ما يميز هذه القاعة عن غيرها هو إتقان بناؤها ووجود زخرفة معمارية وزخارف منحوتة. تتميز الغرفة الكبيرة بشكل عام بعلوها وبوجود نوافذ للإضاءة (اللوحة. 12)، أما الغرف المجاورة للفناء فهي مستطيلة الشكل بشكل عام وعددها ثلاث ويعلوها في بعض الأحيان كوة⁵⁹.

يوجد أيضاً بعض النماذج الأكثر ابتكاراً، كما هو الحال فوق الواجهة الأساسية في المنزل رقم (1) في محجة حيث يتواجد صفان من النوافذ المستطيلة فوق المدخل الرئيسي مع وجود نافذة مستديرة وسط الصف الأعلى وهي محاطة بزخرفة على شكل كرمة. يظهر المسكنان (1 و 2) في كفر ناسج تنوعاً آخر، فهناك نافذة مستطيلة أو مقوسة تقع مباشرة فوق مدخل غرفة القوس وتحت البوابة المقبية وتتواجد ثلاث نوافذ اثنتان منها مستطيلة والثالثة دائرية فوق سقف الرواق.

غالباً ما يكون القسم السفلي من الجدار ملط بإتقان ويتألف السقف من بلاطات منحوتة ومتراصة بإتقان وترتكز على أطناف على شكل تضليع مستقيم. العناصر المعمارية المبنية من البازلت ذي الحبيبات الناعمة كإطارات الأبواب في الخارج وعضادات الأقواس وصنجاتها والأطناف وبلاطات السقف في الداخل غنية بالزخارف المنقوشة. ترتبط هذه القاعة بغرفة إلى أربع غرف جانبية بواسطة أبواب داخلية. تتميز واحدة من هذه الغرف بغنى زخرفتها وهي غرفة الحجلة أو نظيرتها المزودة

⁵⁹ Clause-Balty, P: 2008, P.64.

دائماً بباب يفضي إلى الفناء⁶⁰. غرفة الحَجلة مستطيلة ومقسمة إلى قسمين بواسطة قوس داعم مؤلف من عقد يحمل زخارف بارزة يستند على عضادتين تحمل زخارف بارزة أيضاً. القسم الأمامي مسقوف أفقياً بواسطة بلاطات تستند على أطناف على شكل تضليع مستقيم ومزينة بزخارف منقوشة في الزوايا، أما القسم الخلفي فمقرب بقنطرة داعمة نصف أسطوانية، جدرانها الداخلية مكسوة بتلييسة حجرية (الشكل. 14). وجود الحَجلة يثبت تميز المكان الذي كانت أرضيته مرتفعة قليلاً دون شك ولابد أنه المكان الذي كان يجلس فيه سيد المسكن أثناء مقابلاته الخاصة.

اكتشفت غرفة حَجلة في المسكن رقم (3) في خربة غزالة (اللوحة. 9، الغرفة 003) وفي المسكن رقم (3) في محجة (اللوحة. 13، الغرف 004 و 007). يوجد في المسكن الثاني غرفتا حَجلة تقعان على جانبي قاعة القوس الكبيرة، وفي كل واحدة منهما مشكاة ربع كروية يتميز جدارها السفلي بغناه بالزخارف.

يشاهد في الكثير من المساكن بدل الحَجلة هذه نموذجاً أكثر بساطة، يتمثل في البناء الغربي لقصر معربا بغرفة صغيرة مربعة الشكل مقسومة إلى قسمين بواسطة قوس ومسقوفة بالكامل بسقف أفقي لكنه مرمم للأسف، وبالتالي فمن غير الممكن معرفة شكل الأطناف الأصلية ولا معرفة فيما إذا كانت هذه الأطناف مزخرفة بزخارف منحوتة (اللوحة. 8 الغرفة 010). يحتوي المسكن رقم (1) في خربة غزالة على غرفتي استقبال، واحدة في الجناح الشمالي حيث قاعة القوس متضررة بشدة (اللوحة. 14 القاعة 007) والثانية في الجناح الغربي حيث قاعة القوس محفوظة جزئياً، وهي تتميز بأبعادها الكبيرة وبالزخرفة المنحوتة على سقفها (القاعة 021). يجاور كلا القاعتين غرفة مربعة مفتوحة على الفناء، تحتوي جدرانها الداخلية على أربع كَوَات بسيطة ويستند سقفها على أطناف على شكل تضليع مستقيم مزخرفة بزخارف منحوتة على الزوايا (الغرف 008 و 019). يوجد غرفة مماثلة في المسكن رقم (1) في كفر ناسج (اللوحة. 15 الغرفة 007).

تحتوي بعض المساكن على غرف استقبال على الرغم من أبعادها الصغيرة المفروضة إلا أنها تفتقد للزخرفة المنحوتة ولغرف الحَجلة. تتميز قاعة القوس في المسكن رقم (1) في محجة بارتفاعها وبغنى زخرفتها على عضادات القوس وعلى أطناف الزوايا وعلى بلاطة في السقف. كان من المتوقع إيجاد غرفة حَجلة إلى جوارها، إلا أن الغرفتين المجاورتين لها والمطلتين على الفناء لا تحملان أي تفصيل خاص ويستند سقفاهما على أطناف ربع دائرية. يلاحظ نفس الشيء بالنسبة

⁶⁰ Villeneuve, F: Les salles à alcove dans les maisons d'époque romaine et byzantine en Syrie, Beyrouth 1997, P. 271-272.

للمسكن رقم (4) لنفس القرية (اللوحة. 21 الغرف 005 و 009)، وبالنسبة لبيت العلو في انخل حيث يحتوي الجناح الشمالي مع ذلك قاعتي قوس زخرفتهما معتنى بها بشكل خاص (اللوحة. 16 الغرف 005 و 007).

لا يوجد بشكل عام سوى غرفة استقبال واحدة، إلا أنه يمكن مصادفة اثنتين منها في بعض الأحيان. يدعو مخطط المسكن رقم (11) في محبة للاستغراب، فهو متناظر بإتقان من جهة ومحوره شمالي-جنوبي من جهة ثانية (اللوحة. 6). يحتوي الجناح الشمالي في طابقه الأرضي على غرفتي استقبال، يقابلها في الجناح الجنوبي قاعتي قوس تجانبها إصطبلات. إن الوحدة المعمارية الأكثر صرحية في البناء الشمالي هي الوحدة الغربية المؤلفة من قاعة تحوي مخدع كبير (016) ومن غرفة جانبية مستطيلة سقفها يستند على أطراف على شكل تضليع مستقيم مزخرفة بزخارف زاوية مميزة (014). لا يوجد ما يميز قاعة القوس الشرقية (018) ولا حتى ملحقاتها، باستثناء عارضة مزخرفة تستند على الضلعين الجانبيين الشمالي والجنوبي، وبلاطات السقف المستندة على أطراف ربع دائرية تستند بدورها على الأضلاع الطويلة (020)⁶¹.

يحتوي المسكن رقم (4) في نفس القرية على قاعتي قوس يفصلهما جدار مملط في جزئه السفلي الداخلي من كل غرفة، وهما مسقوفتان بأسقف تستند على أطراف على شكل تضليع مستقيم (اللوحة. 21 القاعتين 007 و 008). لا يلاحظ وجود أي اختلاف بين هاتين القاعتين، إلا أن الغرفة الملحقة الغربية (005) مسقوفة بسقف يستند على أطراف ربع دائرية بينما يستند سقف الغرفة الملحقة الشرقية على أطراف على شكل تضليع مستقيم وهي طبعاً أكثر تكلفة (009).

في البناء الشمالي لمسكن العلو في انخل (اللوحة. 16 و 17)، الغرفة الغربية (003) هي غرفة القوس ذات الزخرفة الأكثر غنى، فقواعد عضادات الأبواب أتيكية والتيجان أيونية وقوس العقد مزخرف بزخارف ناتئة والأطراف على شكل تضليع مستقيم، وهناك زخارف منحوتة على الأطراف وعلى مفاتح العقد والجدران مطلية والإفريز هندسي الشكل. ليس هناك ما يميز غرفتها الملحقة سوى أطراف على شكل تضليع مستقيم (005). تتميز القاعة الشرقية (006) بعضادات قوسها التي تعلوها تيجان دورية والسقف المرتكز على أطراف على شكل صافرات، أما الغرفة المجاورة فهي مسقوفة بسقف يستند على أطراف على شكل تضليع مستقيم (007)، في طرفها الجنوبي باب له إطار مزخرف بزخارف ناتئة يفضي إلى الرواق المفتوح على الفناء عبر كوة مقوسة (008). ربما كان

⁶¹ Clause-Balty, P: 2008, P.65.

هذا الترتيب أكثر مهابة مما هو عليه الآن ولا بد أنه كان مرتبطاً منطقياً بالقاعة الغربية الأكثر غنى بالزخرفة.

يتوافق وجود غرفتي الاستقبال ربما مع المساكن التي يقطنها أخان أو شريكان، ويكون أحدهما على الأغلب متميزاً عن الآخر وذلك بحكم الاختلاف في غنى الزخرفة بينهما كما هو الحال في المسكن رقم (11) في محجة أو في بيت العلو في انخل، إلا أنه لا بد من التفكير في وظيفة أخرى لهذه الوحدات المعمارية المتماثلة، إذ يمكن لهذه الغرف والقاعات أن تخدم نشاطات أخرى كإدارة الحقل أو حفظ السجلات وما إلى ذلك.

3.4.2.1 شقق خاصة:

احتفظ العديد من مساكن البثنية بآثار لغرف علوية يمكن الوصول إليها عبر رواق أو عبر ممر وتمثل غرف معيشة عائلة مالك المسكن. مع ذلك يجب التمييز بين ثلاث طرق رئيسية لتنظيم هذه الغرف العلوية: فإما أن يحتوي البناء على طابقين فعليين، أي قاعتي قوس متناضدتين مع غرفهما الملحقة، أو أن لا يكون هناك طابق علوي وتكون الغرف العلوية هي القسم العلوي للغرف المجاورة لقاعة القوس في الطابق الأرضي، أو أن يتضمن المسكن مبانٍ ثانوية حاوية فقط على غرف صغيرة منظمة وفق طابقين⁶².

● المباني الحاوية على قاعات قوس متناضدة وفق طابقين:

يشاهد هذا المبدأ في المبنى الشمالي للقصر في معربا وفي المبنى الغربي للمسكن رقم (1) في كفر شمس وفي الجناح الشرقي للمسكن رقم (5) في نفس القرية. يوجد في الحالات الثلاث قاعتي قوس متناضدتين وأربعة طوابق من الغرف الجانبية، وقد تمت قنطرة رواق واجهة المسكن رقم (1) في كفر شمس للوصول إلى طابقه الثاني.

● المباني التي لا تتضمن طابق ثان:

لا تحتوي المباني في مساكن أخرى سوى على طابق واحد مع وجود قاعات بقوس مع غرف جانبية ولا يوصل رواق الواجهة إلا إلى الطابق العلوي لهذه الغرف الملحقة. في هذه الحالة التي أفضل ما يمثلها الجناح الغربي للمسكن رقم (2) والقسم المركزي للمسكن رقم (1) في كفر شمس، لا يمكن للغرف العلوية التي يقتصر عددها على الاثنين، أن تمثل شقق خاصة فعلية. كان الترتيب مشابهاً داخل مساكن أخرى تحتوي على رواق بسيط بأعمدة كما هو حال المبنى الشمالي لبيت العلو

⁶²Clause-Balty, P: 2008, P. 66.

في انخل، وكذلك أيضاً في الأجنحة الشمالية للمسكنين رقم (3) ورقم (1) في محبة. مع ذلك يمكن التفكير بشكل أكثر منطقية بوجود شقق في الطابق العلوي لمبانٍ أخرى من هذه المساكن هي مدمرة كلياً اليوم أو أنها عُدلت كلياً.

● مبانٍ تتألف فقط من غرف صغيرة متوضعة ضمن طابقين:

يحتفظ المسكنان رقم (1) ورقم (3) في كفر شمس بمبانٍ ثانوية لا يوجد فيها قاعات قوس وإنما فقط غرف صغيرة متوضعة ضمن طابقين (اللوحة. 3 و10). يحتوي القسم الشمالي من المسكن رقم (1) غرفتين في الطابق الأرضي وغرفتين علويتين يتم الوصول إليهما عبر درج، بينما يشاهد في المبنى الغربي للمسكن رقم (3) أربع غرف متجاورة في الطابق الأرضي وفي الطابق العلوي. يتم الوصول إلى غرف الطابق العلوي عبر رواق الواجهة المضاعف ذي الأعمدة.

يحتوي المسكن رقم (11) في محبة على جناح شمالي فيه غرفتا استقبال من غير الممكن أن طابقاً ثانٍ كان يعلوهما، أما ارتفاعهما الكلي فقد كان حوالي 8,70 م (اللوحة. 18 أ). بالإضافة إلى هذا الجناح الشمالي يوجد بناءان جانبيان (شرقي وغربي) عُدلاً بشكل كبير، إلا أنهما كانا يحويان في الأصل ثلاث غرف في الطابق الأرضي وأربع في الطابق العلوي. يبدو أن غرف الطابق العلوي كانت تمثل شقق خاصة يكملها طابق ثانٍ فوق إصطبلات الجناح الجنوبي المحفوظ حتى ارتفاع 5,70 م. يشاهد في الطرف الشرقي بقايا قرص درج وبعض الدرجات التي كانت تقود إلى هذا الطابق الثاني (اللوحة. 18 ب)⁶³.

● مبانٍ مختلطة:

المباني المختلطة هي المباني التي تتألف من قسمين: قسم مؤلف من قاعة قوس تشغل كامل ارتفاع المبنى وقسم ثانٍ يتألف من غرف منظمة وفق طابقين. عدد هذه المباني قليل ونذكر كأمثلة عليها الجناح الغربي للمسكن رقم (1) في خربة غزالة (اللوحة. 2) والمبنى الشمالي في المسكن رقم (3) في نفس القرية (اللوحة. 12)، والمبنى الشمالي للمسكن رقم (2) في كفر شمس (اللوحة. 4). تسمح طريقة البناء هذه بالجمع بين قاعة استقبال بارتفاع عالٍ وغرف معيشة عالية بمساحة كافية دون اضطرار اللجوء إلى بناء طابق ثانٍ.

⁶³ Clause-Balty, P: 2008, P. 67.

3.4.3 ترتيبات خاصة:

يشاهد في مساكن البثنية ترتيبات تفصيلية مختلفة مدمجة في البناء وبالتالي فهي مصممة ومرتب لها أثناء التشييد.

3.4.3.1 خزائن برقوق تتوسطها:

عادة ما تحتوي قاعات القوس* في الجهة الداخلية للمدخل وأحياناً في جوانب أخرى منها على خزائن يتوسطها رفوف تتواجد ضمن سماكة الحائط المضاعف. تتألف هذه الخزائن عادة من أربعة إلى خمسة رفوف وتتوضع على صف واحد وعلى ارتفاع 1,3 م عن الأرض. يتراوح عرضها بين 0,50 و 0,80 وارتفاعها بين 0,15 و 0,80 م أما عمقها فيتراوح بين 0,50 و 0,75 م. يحتوي إطارها على شق صغير وعلى زعارير تتلائم مع وضع مصراعين خشبيين يدخلان فيها لإغلاقها. داخل الخزائن مجصص بعناية فائقة، وهناك في منتصفها حز يسمح بإدخال دف (الشكل. 15).

تحتوي قاعات القوس المخصصة للمعيشة في الطابق الثاني على مثل هذه الخزائن وهذا ما يشاهد اليوم في القصر وفي المسكن (E) في معربا، بينما تفتقر الغرف الصغيرة لمثل هذه الخزائن سواء أكانت في الطابق الأرضي أم في الطابق الثاني. ربما كانت هذه الخزائن تستخدم لحفظ الوثائق أو الكمبيالات الشخصية أو الأواني⁶⁴.

3.4.3.2 المشاكي:

مشاك بسيطة:

وهي عبارة عن تجاويف بسيطة في الجدران عددها أكبر بكثير من عدد الخزائن وتُشاهد عادة في كل الغرف الثانوية بما فيها غرف الحجلة، لكنها لا تتواجد في قاعات الاستقبال. لا تحمل هذه المشاكي أي تفاصيل خاصة، وليس لها نظام إغلاق، وكتلها الحجرية مقصبة بلا إتقان مما دعا الحاجة إلى دهنها. لا بد أنها كانت تستخدم لحفظ أغراض قليلة الأهمية.

مشاكي الواجهة المقوسة:

تشاهد مشكاة أو عدة مشاكٍ مقوسة في الواجهات المطلّة على الفناء لمساكن البثنية، وتتواجد عادة بين باب قاعة القوس في وحدة الاستقبال وبين باب غرفة الحجلة أو ما يقابلها (اللوحة. 2). الأبعاد الوسطية لهذه المشاكي هي: 0,90 عرضاً و 1,40 م عمقاً، أما جدرانها الداخلية فمجصصة بإتقان. يمكن التفكير في أنها أماكن لوضع التماثيل، إلا أنها على ارتفاع منخفض عن الأرض. يمكن

* التي يبدو أنها غرف لاستقبال الزبائن.

⁶⁴ Clause-Balty, P: 2008, P.67.

مشاهدتها أيضاً في واجهات وحدات تربية الماشية وفي الطابق العلوي إلى جانب أبواب غرف المعيشة (اللوحة. 18 ب). يجب اعتبارها بالأحرى أماكن لحفظ جرار المياه لغسل الأيدي قبل الدخول إلى غرفة الاستقبال أو المعيشة أو عند الخروج من الإصطبل.

يمكن تعبئة هذه الجرار بشكل منتظم بالمياه المغروفة من الخزانات المفروض تواجدها في الأبنية لكن لم يكن بالإمكان اكتشافها بسبب شدة الردم. على كل حال أكد المالك الحالي للمسكن رقم (2) في خربة غزالة وجود ثلاث فتحات في الفناء، يحيط بها حجر يُثبت حول فوهة البئر، مما يدفع إلى الاعتقاد بأنها فتحات خزان.

3.4.3.3 ركن صغيرة غير واضحة المعالم:

تتضمن بعض المساكن ما يعتقد بتلر (Butler) بأنها مراحيض. يتعلق الأمر بفتحات أكبر حجماً من المشاكي البسيطة تتوضع بشكل عام في زاوية الغرفة وضمن سماكة الجدار ويتقدمها غالباً ممر لتسهيل الدخول إليها. ترتفع عتبة الركنة بمقدار 50 سم عن سطح الأرض وعرضها 0,70 م أما ارتفاعها فيبلغ 1,60 م، وهي مزودة بإطار مستطيل أو مقوس مع ثلم وزعاريير لإدخال مصراع خشبي كما هو الحال في الخزائن ذات الرفوف في الوسط⁶⁵.

احتمال فرضية المرحاض ضعيفة بسبب ضيق المكان من الداخل إذ نادراً ما يتجاوز طول الضلع 1 م أما الارتفاع فيصل حتى 2 م. يمكن أن يتعلق الأمر بخزانة أيضاً حتى ولم يكن هناك أثر رفوف أو مكان لتخزين المياه.

هناك ركنتان من هذا النوع في المسكن رقم (1) في خربة غزالة (اللوحة. 14) تقع الأولى المردومة بشكل كامل تقريباً داخل الزاوية الشمالية الشرقية للغرفة التي تتشارك بالجدار مع ردهة مدخل الفناء (003) والتي يمكن أنها كانت تخص حارس البناء، أما الثانية فتقع في الزاوية الشمالية الشرقية من قاعة القوس الصغيرة الموجودة في الطابق الأرضي للجناح الغربي (018) وفي مدخلها إطار فيه نقر وزعاريير لمصراعين خشبيين. تبلغ أبعاد الحيز الداخلي 0,75 عرضاً × 1,67 طولاً أما ارتفاعه فيبلغ 1,75 م. وهناك فجوة دائرية يبلغ قطرها 0,20 م في الجدار الداخلي الجنوبي لا يمكن أن يكون لها فائدة إلا للتهوية (الشكل. 16). هناك ركنة أخرى من هذا النوع ألحقت بالمخزن الكبير للمسكن رقم (2) في خربة غزالة في الوقت الذي قسمت فيه القاعة إلى قسمين (اللوحة. 11 أ، القاعة 003). يبلغ عرض الركنة الصغيرة 0,44 م وارتفاعها 1,26 م ونقرة الإطار غير متقنة. لا يوجد ممر للركنة والحيز الداخلي ضيق للغاية.

⁶⁵ Butler, H.C: 1919, P.421.

اكتشفت ركنات أخرى مماثلة ألحقت في مساكن في كفر شمس. بنيت الركنة في المسكن رقم (2) ضمن سماكة الحائط المضاعف لغرفة جانبية ملحقة بقاعة القوس الصغيرة (008) (اللوحة. 10). تبلغ أبعاد هذه الركنة 0,58 عرضاً و0,78 ارتفاعاً وهي تفتقر إلى الإطار والنقرة وتوصل إلى غرفة داخلية جدرانها عشوائية للغاية تبلغ أبعادها 1,30 م طولاً و0,56 عرضاً وارتفاعها 1,80 م. ألحقت ركنة في المسكن رقم (3) في الزاوية الجنوبية الشرقية للقاعة المستطيلة ذات القوسين (010)، تبلغ أبعادها 0,68 عرضاً و1,08 م ارتفاعاً، لهذه الركنة إطار وفيها نقرة غير مصقولة وحيزها الداخلي مثلثي الشكل بعمق يصل أقصاه إلى 1,14 م.

ركن المسكن رقم (1) في خربة غزالة هي فقط المنتظمة، ومن المستغرب أن لا يتواجد مثل هذه الركن بشكل أصلي غير ملحق في مساكن كبيرة أخرى⁶⁶.

إذا كانت الأبعاد الكبيرة نسبياً للركنة الأكبر في المسكن رقم (1) في خربة غزالة يمكن أن تتوافق ربما مع كونها مرحاض، فإن الأبعاد الأصغر بكثير للركنات الملحقة تدفع بالأحرى للاعتقاد بأنها خزائن. تشكّل هذا الاعتقاد لأن الركنة لا تسمح بمرور شخص.

تتكرر مشاهدة هذا النوع من الركن بشكل أكبر في شقرا في اللجاة، سواء أكانت أصلية أم ملحقة ويمكن الوقوف بانتصاب داخل الكثير منها. بعضها مشترك بين غرفتين متشاركيتين بالجدار، وتشاهد أيضاً في الطابق العلوي. هناك ركن آخرى تتواجد في أم الجمال. يتواجد إلى جانب ركنة المسكن (8) ما يشبه المغسلة مقارنة مع تلك التي ذكر بتلر (Butler) وجودها في مسكن في اللجاة. يبدو أنه كان لهذه الركن أهمية أكبر في المساكن القروية الصغيرة في شقرا وفي فترات متأخرة.

يشاهد في إحدى غرف الطابق العلوي للمسكن رقم (1) في كفر ناسج عنصر معماري لا يوجد له مثيل في مكان آخر، وهو عبارة عن مشكاة مدموجة في زاوية يبلغ عرضها 0,74 م وعمقها 0,70 م (الشكل. 17)، دعامتها عبارة عن بلاطة سماكتها 0,16 م فيها ثقب قطره 0,48 م يطل على فراغ بعمق 0,60 م (اللوحة. 15 أ، الغرفة 110) لا يتعلق الأمر بمرحاض نظراً لصعوبة الدخول إليها ولتواجد العتبة على ارتفاع 0.60 م فقط. في المقابل، فإن نقرة البلاطة تفيد في وضع جرة بارتفاع 0,70 م مملوءة بالمياه ربما. ما يدهش حقاً لكن ما يسمح في الوقت نفسه بمقاربتها إلى الركنات الصغيرة هو الفراغ الممتد على ارتفاع 1 م داخل سماكة الجدار فوق ساكف المشكاة.

⁶⁶ Clause-Balty, P: 2008, P. 68.

3.4.3.4 ترتيبات خاصة لحفظ المياه أو للتخلص منها:

كما ذكرنا سابقاً، كانت المياه تحفظ في جرار توضع داخل المشاكي. هناك أيضاً أنظمة أكثر تطوراً لحفظ المياه يشاهد أحدها في المسكن رقم (3) في أم الزيتون (اللوحة. 19)، إذ يوجد في الزاوية الجنوبية من الغرفة الرئيسية ذات القنطرة في الطابق الأرضي، وفي الطابق الذي يعلوه، خزانة جدارية أقيمت ممتدة على عرض الجدار بشكل مائل. هكذا يتصل الطابق الأول بالطابق الأرضي وبطابق أدنى لم يكن بالإمكان استقصاء عمقه وهو ليس المثال الوحيد. يعتقد أن ذلك الترتيب كان يتيح عُرف الماء من الطابق الأرضي أو من الطابق الذي يعلوه من داخل خزان وأحد الأمثلة على ذلك هو الخزان الكائن داخل إحدى مساكن بركة. هناك أيضاً النظام المبين في (اللوحة. 20). تظهر الزاوية الشمالية الشرقية من المسكن الكبير في الهياكل الذي يعود تاريخه إلى القرن السادس وجود أخدود عمودي يمتد عبر كل الارتفاع المتبقي من الجدار الخارجي يمكن أن يوضع في داخله شبكة قنوات من المعدن أو من التراب المشوي مخصصة ربما لتصريف المياه القذرة من الطابق الأول أو لجلب المياه حتى أعلى مستوى في المسكن بفضل الضغط⁶⁷. من جهة ثانية هناك مساكن عديدة استخدمت خزانات فردية صغيرة كانت تقام داخل الأرض وبخاصة تحت فناء الدار.

لم يكن بالمقدور تحديد أي مطبخ ولا أي موقد، ولا حتى مدخنة مدفأة أو حمامات خاصة أو مراحيض ولا نظام تدفئة بالمراجل، إذ لم تترافق دراسة هذه المواقع بالتنقيب ولا بالأسبار فالأراضي في أغلب الأحيان مردومة للغاية وغرف الطابق العلوي متضررة بشدة. كان السكان يستخدمون موافد الجمر للتدفئة شتاءً ولابد أن موقد المطبخ كان يتواجد في الفناء، لكن كان يتوجب تحضير المواد الغذائية في الداخل وهذا التحضير يحتاج للماء. يجب تحديد موقع المطابخ ربما في الغرف المزودة بتلك الركناات الصغيرة المثيرة للفضول والتي اعتبرها بتلر (Butler) مراحيض.

3.4.4 أنواع مختلفة من المساكن:

تتراوح مساحة مساكن البثنية بين الـ 400 و الـ 1700 متر مربع، وتتعلق هذه المساحة بأهمية الحيازات الاقتصادية لتربية الماشية والتخزين، ذلك أن قسم الاستقبال يقتصر في أغلب الأحيان على غرفة القوس وغرفها الجانبية بينما تتواجد غرف المعيشة في الطابق العلوي. تحتوي كل القرى على

⁶⁷ فيلينوف، فرانسوا: اقتصاد ومجتمع قرى جبل حوران في العصر الروماني من خلال المعطيات الأثرية، ترجمة: بشير زهدي، مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية، المجلد 41، دمشق، 1997، ص. 171-170.

مساكن كبيرة وصغيرة دون المقدرة على التمييز الفعلي بينها، حتى ولو كانت نسبة المساكن الكبيرة أكبر في قرى الجنوب (معربا، خربة غزالة) وأصغر في التجمعات السكنية الشمالية. سمحت المساكن المدروسة هنا بتحديد ثلاث فئات منها بحسب وظيفة الغرف والقاعات التي تضمها، ألا وهي:

3.4.4.1 وحدات معمارية مكرسة تماماً لتربية الماشية:

يوجد في معربا، القرية الواقعة على بعد بضعة كيلومترات إلى الغرب من بصرى مسكنان في التكتل المتأخر للخان يتألفان في مستويهما الأرضي من مجموعة من الإسطبلات هي عبارة عن قاعات بقوس. للمسكن (D) مخطط على شكل حرف (U) وتحتوي مبانيه على سبع وحدات بناء معيارية مع إسطبلاتها، أي بما مجموعه 41 معلفاً (اللوحة. 7 أ). تشير الأدراج المحفوظة نسبياً في المباني الجانبية إلى وجود طابق علوي لم يبقَ منه أي أثر آخر سوى هذه الأدراج. واجهات الفناء عالية الرتبة لا يميزها سوى صف الأبواب التي يعلوها شراعة، وملاطها ليس بنعومة ملاط القصر المجاور. تنطبق نفس الملاحظات على المسكن (E) وتحتوي إسطبلاته الأربعة المحفوظة على ما مجموعه 22 معلفاً⁶⁸ (اللوحة. 7 ب). يبرهن وجود الدرج المُدمج في واجهة الجناح الغربي هنا أيضاً على وجود طابقٍ ثانٍ وكان هذا الدرج يقود حتماً إلى قاعة القوس الحاوية على خزائن تتوسطها رفوف.

يَشغل المسكن (D) مساحة تبلغ حوالي 1700 متر مربع والمسكن (E) 990 متر مربع وهما يفتقران لحيز استقبال وتقتصر وظيفتهما على تربية الماشية وعلى السكن.

3.4.4.2 وحدات مختلطة:

المساكن ذات الوظائف المختلطة هي الأكثر عدداً لأن القسم الأكبر من المساكن المدروسة يمكن إدراجها ضمن هذه الفئة. يتعلق الأمر بمجموعات سكنية تحتوي في طابقها الأرضي على إسطبلات دون قاعات استقبال مجموعة في واحد من أقسام المسكن سواء في أبنية خاصة كما هو الحال في قصر معربا (اللوحة. 8 ب) وفي المسكنين رقم (3) ورقم (11) في محجة (اللوحة. 13 ب و 6 ب) أو في بناء وحيد كما في المسكن رقم (1) في كفر ناسج حيث كانت تتواجد الإسطبلات بعيداً في الأطراف (اللوحة. 15 ب).

حتى ولو لم تكن هذه المساكن تحتوي على عدد كبير نسبياً من المعالف كما هو حال مساكن الفئة السابقة (1)، فإنها تشهد على اختلاف المكانة الاجتماعية لمالكها الذين كانوا بحاجة إلى غرف

⁶⁸ Butler, H.C: 1919, P.141-142.

استقبال بالإضافة إلى نشاطاتهم الزراعية والرعية. إذاً يوجد في قصر معربا (24) معلقاً محفوظاً لكن كان يفترض احتواؤه على (40) معلقاً بالمجمل مجموعة في الطابق الأرضي للمبنى الشمالي وفي الطرف الجنوبي للمبنى الغربي. لم يكن هذا الأخير يتضمن في الأصل إلا وحدة الاستقبال وكذلك غرف معيشة تتواجد في الطابق العلوي.

ذكرنا سابقاً الحالات التي لا يحتوي فيها المسكن إلا على إصطبل واحد. لا نستطيع أن نتحدث هنا عن نشاط حقيقي لتربية الماشية وإنما بالأحرى الاحتفاظ ببعض حيوانات الجر لاستخدامها في النقل والتنقل وأعمال الحقول وفي بعض الأحيان كان يتم إيواء مطايا العابرين في هذا الإصطبل.

3.4.4.3 أقسام من المسكن (إصطبل، قاعة طعام...) مذكورة في النقوش:

أنت هذه النقوش من جبل العرب ومن قسم حوران الواقع في الأردن، وكان أكثرها إثارة للاهتمام نقشان اكتشفا في المحيط الطبيعي لمجدل عاشور وفي أم القطين، الأول منقوش على مفتاح عقد قوس القاعة الكبيرة في الطابق الثاني لمبنى من مباني مجدل عاشور أرّخ بعام 431 م، ويشير إلى القاعة على أنها تريكلينوس⁶⁹، والثاني في مسكن من مساكن أم القطين فوق نافذة قاعة القوس في الطابق الثاني ووصفها أيضاً بأنها تريكلينوس. يشير هذا المصطلح إلى قاعة الطعام، وهو يدل هنا ربما على القاعة الرئيسية لشقق الطابق الثاني الخاصة.

هناك نقشان آخران اكتشفا في شقّا يشيران إلى قيام ابن صاحب المسكن بإنشاء بناء يضم إصطبل وقاعات طعام وإلى تكلفته.

قاد الجمع بين قاعات الطعام والإصطبلات العديد من علماء الآثار (Walker, Littman...) إلى اعتبار المباني الجامعة لهذه العناصر نُزل قروية، فالدواب توضع في الإصطبل في الطابق الأرضي والمسافرون يأكلون وينامون في قاعة القوس وفي غرف الطابق الثاني الأخرى.

هناك عدة أدلة تؤيد هذه الفرضية فبعض النقوش تحدد أن الأعمال أنجزت تحت رقابة الوالي، كنقش مجدل عاشور الذي يشير إلى أن التريكلينوس جُدد خلال ولاية شخص يدعى أوديمون وليس من المعقول أن يتدخل الولاية في إطار تعمير المساكن الخاصة.

بحسب المخططات التي نشرها بتلر يمكن الدخول إلى مساكن مجدل عاشور وأم القطين مباشرة من الشارع وليس من الفناء الذي يفترق إليه مسكن مجدل وهذا ليس هو حال المساكن الخاصة أبداً.

⁶⁹ Littman, R/Stuart, R: *Publications of the Princeton University archeological expeditions to Syria in 1904, 1905, 1909*, Leiden, 1921, P. 321.

يوجد على نفس المخططات غرف مستطيلة فيها صف مؤلف من ست مشاكٍ. عدد مثل هذه المشاكي عشرين في مسكن وُقِم في اللجاة وتسع عشرة في مسكن قنوات. لا يوجد في أي مسكن من المساكن المدروسة غرفة فيها مثل هذا العدد من المشاكي هذا من جهة ومن جهة أخرى حفر نقش أم القطين فوق نافذة قاعة القوس العلوية وعلى الواجهة المطلّة على الشارع، بينما حفر نقش شقاً على الساكف ربما على ساكف المدخل الرئيسي على شكل الإهداءات الرسمية الموجودة على المباني العامة. مع ذلك ما يدهش حقاً هو غياب وجود الإصطبل في الطابق الأرضي لمسكن أم القطين.

من الصعب التمييز بين النزل والمسكن إذا لم تتواجد بعض التفاصيل الجازمة، كأن يكون المدخل المباشر من الشارع ووجود غرف فيها عدد غير اعتيادي من المشاكي أو وجود نقوش تشير إلى تجاوز إصطبل وعدد من قاعات الطعام وخاصة إذا كان بناؤها قديم وتحت إشراف مأموري القرية وهذا أمر طبيعي إذ كانت تستخدم نفس المعايير المعمارية سواء تعلق الأمر بمبانٍ خاصة أو عامة⁷⁰.

3.4.4.4 وحدات خالية من حيّز اقتصادي واضح المعالم:

المجموعة الثالثة هي مجموعة المساكن التي لا يوجد فيها أي حيّز اقتصادي باستثناء قسم استقبال الزبائن، وهي أيضاً المساكن الأصغر حجماً ضمن سلسلة المساكن المدروسة، وخاصة المسكن رقم (1) ورقم (3) في كفر شمس (480 و 780 متر مربع) والمسكن رقم (4) في محبة (370 متر مربع) (اللوحة. 5 ج و 21 ج).

ربما كانت غرف وقاعات الطابق الأرضي في مساكن كفر شمس التي لم تحدد لها أي وظيفة مخصصة لنشاطات أخرى غير تربية الماشية، نشاطات تخص مثلاً تجار أو حرفيين متخصصين أو ولاية أو موظفين ربما، إذ لا توجد في أي قرية آثار يمكن أن تكون لحوانيت أو ورشات أو مخازن عقاقير.

لا يمكن لأي من هذه المساكن أن يكون مسكناً مشتركاً أو عاماً مثل تلك المذكورة عدة مرات في نقوش حوران وخاصة في معربا عام 336 م. كانت هذه المساكن تبنى بنفقات عامة أو على بعض النفقات الخاصة لكن تحت رقابة ولاية هذه القرى. وفقاً لمخطط مسكن وُقِم في اللجاة والمؤرخ في عام 306 م، ولمخطط مسكن قنوات في الجبل لم تكن هذه المباني تضم سوى قاعة قوس واحدة، وكانت جدرانها الداخلية مزودة بعدد من المشاكي.

⁷⁰ Sarter, M: *Un marchand d'épigrammes à Maaga de Batanée*, 2007, P. 51-52.

3.4.4.5 تفصيل مثير للاهتمام:

يوجد في الزاوية الشمالية الغربية للمسكن رقم (4) في محجة بروز ما مفتوح على جانبيه بأقواس. يحمل الحائط الشمالي نقش يوناني طويل يمثل ثلاث قصائد جنائزية بأسلوب طنان نوعاً ما. مالك هذا المسكن هو شاعر محلي ربما كان يحاول أن يظهر للملأ في الخارج بعض النماذج من ما يستطيع تأليفه كدعاية له، أي أن إحدى وحدات الاستقبال في مسكنه كانت مخصصة لاستقبال زبائنه بينما كانت الأخرى مكتبة له.

المساكن المشاهدة هي مساكن أشخاص ميسورين. يجب تخيل وجود مساكن أشخاص فقراء في جوارها، أشخاص كانوا لا يستطيعون أن يدفعوا أجره بناء وأجرة نحاتي حجر ماهرين. لابد أن تكون مساكنهم أكثر بساطة بكثير وأنه لم يبقَ لها أي أثر اليوم⁷¹.

3.3.5 مسألة التسلسل الزمني:

في ظل غياب التنقيب أو السبر، يتوجب الاختصار على البحث عن أدلة عن تسلسل زمني نسبي قائم على فحص تقنيات البناء وعلى نوعية المواد وحجارة الجدران وربما على اختلاف اتجاهات المباني داخل التجمع السكني الواحد وبشكل خاص على الزخارف المنحوتة التي تتميز مساكن البثنية بغناها.

3.3.5.1 تقنية البناء:

يسمح تحليل المبنى وتجانسه وتناسق موادّه والتقنيات المطبقة في بنائه بتمييز حالات مختلفة يمكن ربطها بأطوار متعاقبة من البناء. نميز ببساطة بين ثلاثة أطوار في المساكن المدروسة: طور أول يتمثل بحالة البناء الأصلي، وطور ثانٍ يتمثل بموجة إصلاحات فرضتها حادثة عنيفة كزلزال مثلاً وطور ثالث يتمثل بإعادة استخدام لاحق بعد هجر للمسكن بشكل عام، مع إضافة عدد من القاعات بعدة صفوف من الأقواس مبنية على غير اتقان.

3.3.5.2 وصف البناء:

يقود الربط بين المشاهدات لمجموعة المساكن المذكورة هنا في البداية إلى افتراض وجود خطط دقيقة للبناء وتقنيات متجانسة ومتشابهة من بناء لآخر، فالجدران مبنية بحجارة متساوية الأبعاد تقريباً وتختلف جودة البناء بحسب موقع الجدران أو أهمية المسكن وتكون أطر الأبواب والنوافذ منحوتة بإتقان مع تزويدها بتثليعات وزعارير وتعشيقات لوضع مصاريع خشبية، أما الأرضيات فهي مبلطة والأسقف مبنية من بلاطات متراسة مستندة على أطناف.

⁷¹ Clause-Balty, P: 2008, P. 72.

أُسندت المساكن في بعض الأحيان على مبانٍ أقدم منها، وجاءت مبانٍ أخرى من جهة ثانية لتستند عليها. يستند الجناحان الشمالي والشرقي لبيت العلو في انخل على برج أبعاد أضلاعه 8×9 م ويظهر بروز أحد جدرانه في جهته الخارجية (الشكل. 18). يضم البيت غرفتين مستطيلتين تُثبت أطنافها المحفوظة الصافرية الشكل وجود طابقين على الأقل، إلا أنه لا يوجد أثر لدرج (اللوحة. 16، الغرفتين 009 و010).

في حالة المسكن رقم (1) في كفر شمس (الشكل. 19) البرج هو الذي أُسند على الطرف الشرقي للمبنى الشمالي (اللوحة. 5 أ). كان يعلو الطابق الثاني طابقان على الأقل يصل إليهما درجان داخليان. يشاهد في الوجه الخارجي للجدار كتل حجرية ناتئة في الجزء العلوي منه، بينما حجارة الجزء السفلي متساوية الأبعاد تقريباً ومملطة. هناك كتل حجرية لها تعشيقات وأسنة تعشيق، كما هو الحال في برج شقرا وفي برج المسكن رقم (17) في أم الجمال. يمكن أن يكون لهذه الأبراج التي هي أبراج مراقبة حتماً، والتي يعود تاريخها إلى نهاية القرن السادس، علاقة بسقوط القبيلة الغسانية المسيطرة في 581 م وبداية فترة من عدم الاستقرار في المنطقة.

3.3.5.2.1 أطوار الإصلاحات:

تعرضت كل هذه المباني سواء تلك الموجودة في القرى الواقعة شمالي أو جنوبي البثنية لانهيارات عنيفة وتشوهت جدرانها ربما نتيجة زلزال أو عدة زلازل.

شهدت المنطقة (سورية وفلسطين والجزيرة العربية ولبنان) في الفترة الممتدة من القرن الثاني إلى القرن الخامس أكثر من ثلاثين زلزالاً إلا أن المصادر المتاحة لم تذكر بشكل عام سوى المواقع الكبيرة المتأثرة* ومن الصعب تحديد أي من هذه الزلازل حطمت قرى جنوبي سورية وبشكل أدق قرى البثنية⁷². يذكر نص ميشيل السوري المتعلق بزلزال 18 كانون الثاني 749 م مدى عنف هذا الزلزال ويؤكد أنه بالإضافة إلى بصرى فقد تهدمت التجمعات السكنية في نوى ودرعا بالكامل، أي يمكن إرجاع طور التهدم الأكبر لهذا الزلزال العائد للقرن الثامن الميلادي. يوجد أيضاً كتابة منقوشة آتية من متان جنوبي جبل العرب تذكر تجديد رواق لجادة تهدمت بسبب زلزال إلا أنها غير مؤرخة لسوء الحظ. ربما كان الهدف من إعادة البناء هو إعادة الاستفادة من المواقع القديمة، إذ كان يتم محاولة الحد قدر المستطاع من توسيع العمل من خلال إعادة استخدام العناصر المتوفرة في المكان ما أمكن. إذًا، كان يتم إعادة رفع الجدران الأصلية جزئياً أو كلياً بشكل يتم فيه تفادي بناء تأسيسات

* القدس والبتراء وجرش والأناضول وصور وصيدا.

⁷² Kallner-Amiran, D.H: A revised earthquake, catalogue of Palestine, *IEJ*, 1950-1951, p. 223-224.

جديدة ويكون إتيان هذه الجدران المعادة البناء مرتبطاً بطبيعة القطع الحجرية المستخدمة في بنائها ولا يتم عادة إعادة رفع الطوابق العلوية ولا حتى الأروقة. كان يعاد استخدام أطر الأبواب وإذا لم تتوافر تكون الفتحات مجردة من الأطر.

هناك مشكلة تخص السقوف أيضاً إذ نادراً ما كان يعاد رفع الأقواس الداعمة، كان يتم استبدالها بأقواس أقل ارتفاعاً ذات صنجات مقطعة بشكل بسيط، ويتم عادةً بناء قوسين أو ثلاثة أقواس غير متقنة مكان القوس الأصلي تقسم الغرفة إلى ثلاث أو أربع بلاطات أقل حجماً وأسهل سقفاً (اللوحة. 13 أ واللوحة 22 ج).

تشهد كل هذه الأبنية المعاد تشييدها على مهارة كبيرة في تلافي النقص الواضح للمعدات فالحجارة لم تعد منحوتة ولم يعد هناك أثلام ولم تعد تستخدم الأقواس الخشبية للعقود. إما أنه لم يعد هناك مهارة في البناء أو أنه لم يكن هناك ما يكفي من الموارد المالية للجوء إلى حرفيين متخصصين⁷³. هناك بعض الأمثلة النادرة التي تشهد على العناية الخاصة كما هو الحال في المسكن رقم (11) في محجة، فقد تم تدعيم عدد من السواكف المهدمة بدعامات جديدة مثلمة (خاصة في مدخل الرواق الشرقي)، أما في المسكن رقم (3) في كفر ناسج، فقد رُفع قوس نصف دائري بعد ترقيم الأصناج الأصلية (الشكل. 20).

في خربة غزالة تم إغلاق باب في المسكن رقم (3) مفتوح على الزقاق بعناية فائقة وذلك باستخدام كتل حجرية مجصصة، وزُين الساكف بتاج مكسّر. يلاحظ في حالات أخرى إعادة تركيب قطع بشكل خاطئ كما هو مثلاً حال أطر أبواب مركبة بالعكس. من الواضح أن كل هذه التصليلات ليست معاصرة، إذ قام السكان أنفسهم ببعضها بعد الزلزال مباشرة، وقام ببعضها الآخر قادمون جدد أتوا بعد قرون.

3.3.5.2.2 طور التوسيع:

تتواجد الأقواس غير المتقنة التي استخدمت لتحل محل الأقواس الأصلية في عدد من القاعات المشيدة في محيط المساكن القديمة أو داخل أفنيئتها (اللوحة. 6 و 9 أ). وفقاً للسكان الحاليين للمسكن رقم (2) في خربة غزالة ولسكان بيت العلو في انخل فقد تم إعادة رفع هذه القاعات الجديدة في نهاية الفترة العثمانية وخلال الانتداب الفرنسي⁷⁴.

⁷³ Sartre-Fauriat, A: Les notables et leur role dans l'urbanisme du Hauran à l'époque romaine, dans *construction, reproduction et representation des patriarcats urbains*, Tours, 1999, P. 224-235.

⁷⁴ Russel, K.W: The earthquake of May 19, A.B 363, *Basor*, 1980, P. 47.

3.3.5.2.3 مسألة الاتجاهات:

من بين القرى المدروسة، فإن مخطط كفر ناسج وحده هو الذي يحمل ربما دليلاً زمنياً يتضح من خلال توجه أبنيته (الشكل. 21). يستنتج بتفحصه أن المساكن تتبع محورين أساسيين يختلفان بـ 140 درجة، هذا مما يتوافق ربما مع فترتين زمنيتين، ويمكن أن يكون الطور الأكثر قدماً والمتوافق مع آثار المسكنين (3) و(4) سابقاً للفترة المسيحية.

يحتفظ المسكن رقم (3) المهدم بشدة بغرفة حَجلة فيها عقد سقف مفتاحه مزين بتمثال نصفي لطفل إيزيسي (الشكل. 22). كذلك لم يبقَ من المسكن رقم (4) سوى باب يعلوه ساكف مزين بزخارف نباتية منحوتة بشكل جميل جداً، بينما يحتوي المسكنان (1) و(2) على رواق مدخله مقبب وأعمدته كلها دورية وتعود ربما للقرنين الخامس والسادس.

3.3.6 الزخارف المعمارية:

مساكن منطقة جنوب سورية هي مساكن قروية بسيطة أو فخمة لا تُشبه المسكن الروماني المديني المعاصر إلا قليلاً، إذ يُبنى هذا الأخير بشكل منتظم وفق مخطط متناظر ومُغلق على أفنية معمّدة وغرفه صغيرة نسبياً وزخرفته تصويرية غالباً، أما مساكن جنوب سورية فهي مثل مساكن شمال سورية مؤلفة من كتلة أبنية ليست على استقامة واحدة دائماً تحيط بفناء يحده رواق مفتوح أحياناً. تفتقر أغلب هذه المساكن، باستثناء المساكن المميزة، إلى الزخرفة المنحوتة وإن وجدت فهي نادرة. الزخارف المشاهدة قليلة البروز تتخذ أشكالاً هندسية وبشكل أخص نباتية، أما التصاویر الحيوانية والبشرية فلم يبقَ منها سوى بعض الأمثلة. تحمل كل هذه الزخارف قيمة رمزية ربما من الصعب حل طلاسمها بالتفصيل، بعضها منحوت بجمالية كبيرة وبعضها الآخر أقل إتقاناً مما يثير السؤال التالي: هذه الاختلافات في جودة الصنع هل هي بسبب الفترات الزمنية المختلفة أم أنها بسبب اختلاف الورشات الصانعة لها؟

3.3.6.1 الزخرفة المعمارية في مساكن البثنية:

تتصف مساكن البثنية بغناها بالعناصر الزخرفية. نستعرض هنا الزخارف الموجودة في المساكن الأكثر تميزاً والأفضل حفظاً علماً أن هناك مساكن أخرى محفوظة في القرى ومأهولة منذ العصور القديمة. تُنحت الزخرفة دائماً على الأجزاء الأفضل بناءً وعلى الجدران الأكثر ملوسة، ويأتي في مقدمة الأجزاء المزخرفة ساكف الباب الرئيسي ثم الأقواس المستعرضة الداخلية في حال وجودها ثم أطراف السقوف فالسقوف فالأبواب الجانبية أو الداخلية، يأتي بعد ذلك النوافذ والمشاكبي وبعدها الأروقة إلخ...

يبدو أن وجود الزخرفة على ساكف الباب الرئيسي أو على صنجات القوس المستعرض أمر محتوم، بينما يكون وجودها اختياريًا على معظم أماكن التوضع المسرودة سابقاً ويرتبط بفخامة البناء وفي حال عدم وجود سوى زخرفة وحيدة في مسكن ما تكون هذه الزخرفة موجودة على ساكف الباب الرئيسي⁷⁵ (الشكل. 23).

تتركز الزخرفة في المساكن الكبيرة على أجزاء محددة من البناء وفي بعض الغرف بينما تفتقر غرف أخرى إليها، و تكون هذه الزخرفة متناظرة في بعض الأحيان. تتركز الزخرفة في هذه الحالة في الغرفة الرئيسية الأكثر علوًا والأكثر اتساعاً بين الغرف ويكون باب هذه الغرفة أكبر وأعلى من باقي الأبواب وتعلوه نافذة مزخرفة عادةً أو نافذتان متناضدتان (الشكل. 24) أو حتى ثلاث نوافذ بجانب بعضها البعض هذا مما يزيد الصرحية وكذلك التهوية والإضاءة.

قد يتقدم القوس المستعرض في بعض الأحيان سقف مُقَبَّب داخل الجزء الخلفي للقاعة. يُضاف إلى هذا الترتيب الحيزي في المباني الأكثر صرحية أو الأكثر إتقاناً معمارياً كَوَات مزخرفة تتواجد في الواجهة أو في الداخل أو في المكانين معاً. تندرج الجبهية* (السورية) ضمن التوجه المعماري الذي يُبرز الكوة المركزية، وفي حال غياب هذه التتويجة، يُشاهد خارجة تنقوس نحو الداخل باتجاه الباب المركزي لتأمين التنقل في الطابق العلوي، أو يلاحظ أن قوس حمولة الباب أصبح أكثر اتساعاً وأكثر علوًا.

تُشكِّل واجهة قصر شقّا (الشكل. 25) واحدة من الواجهات الصرحية في المنطقة. يمكن مقارنة الترتيب المتمثل بتوضع قوس حمولة الباب وقوس القاعة الرئيسية المستعرض وقبة القسم الخلفي لهذه القاعة على نفس المحور (كما هو الحال في قصر انخل) بالترتيب الحيزي لدور العبادة أو المعابد الوثنية المعروفة في منطقة بلاد الرافدين. حتى ولو اختلفت وظيفة هذه المباني، فهناك دون شك رغبة واضحة لمالكها بإظهار غناهم إذ ليس من العيب أن تدعم عناصر البناء هذه هيكل البناء وأن تحمل الزخرفة المنحوتة في نفس الوقت.

يمكن أن ترتبط الزخارف بشكل عام بالعناصر المعمارية أي قواعد وتيجان الأعمدة والعضادات وخرجات وأقواس العقد النائنة وأطر الأبواب والنوافذ والمشاكبي والزخارف البارزة المنحوتة على شرائطها، أو أن تكون منحوتة بعيداً عن العناصر المعمارية سواء تعلق الأمر بالزخارف السطحية أو بالزخارف التصويرية أو النباتية المفردة أو المتشاركة.

⁷⁵ Clause-Balty, P: 2008, P. 183.

* تتويجة مثلثة تعلو مدخل أو نافذة.

3.3.6.1.1 أماكن تواضع الزخرفة:

أ- الأروقة الخارجية: الأعمدة والعضادات والخرجات:

ما زالت بعض أروقة الواجهة محفوظة في مكانها، لكن لا يوجد في أغلب الأحيان سوى بضع كتل حجرية تؤكد وجودها الأصلي.

تُحمل أعمدة الأروقة عادة على قواعد ذات بروفيل بسيط جداً بشكل عام، أما تيجان الأعمدة فتأخذ أشكالاً مختلفة غير مألوفة، بعضها دُورية بسيطة بوسادة محدبة ودون حلقات (اللوحة. 23: 4) وبعضها الآخر يشبه التيجان التوسكانية* ويحمل زخرفة ناتئة، ولهذه التيجان بروفيل مثير للاهتمام مؤلف من عَقب** كبير مع وجود حدّارة*** مجدولة أو دونها أو وجود حلقة لؤلؤية في قاعدتها⁷⁶ (اللوحة. 24: 6 و 7) أو أن بروفيلها مقعر (اللوحة. 24: 8). يوجد أحياناً إلى جانب هذه التيجان شبه الدُورية أو المزخرفة تيجان أيونية (اللوحة. 23: 3 و 5 واللوحة. 24: من 11 إلى 14 واللوحة. 25: 18).

- نادراً ما تكون أجزاء الأروقة العلوية (الخرجات) محفوظة في مكانها، وهي غالباً ذات بروفيل بسيط جداً ولا تحمل أي زخرفة بارزة (اللوحة. 23: 4 و 5).

تنتشر التيجان الدُورية البسيطة دون الحلقات وذات الوسادة المحدبة والقرمة**** غير المزخرفة بكثرة في المنطقة، لكنها غير معروفة الأصل فهي على الأغلب معزولة عن بنائها الأصلي أو معاد استخدامها ومصدرها هو أعمدة صغيرة، مثل أعمدة أروقة المساكن وأحياناً أعمدة أروقة أفنية المعابد العائدة لعصر ما قبل الولايات، ومن الطبيعي أن يعلوها سواكف دون أي زخرفة.

تُشاهد التيجان التوسكانية ذات الأشكال المختلفة في منطقة شمال سورية أكثر من التيجان الدُورية البسيطة، مع ذلك لا يتخذ ولا واحد منها شكل تيجان أروقة كفر شمس ذات العَقب الكبير (اللوحة. 24: 6 و 10). في المقابل، تتواجد التيجان التوسكانية ذات الوسادة الغائرة بوفرة في سورية الجنوبية (اللوحة. 25: 16)، أما التيجان التوسكانية ذات البروفيلات الأكثر تعقيداً مثل تلك الموجودة في المسكن رقم (11) في محبّة (اللوحة. 24: 9)، فهي مُشتقة من التيجان الرومانية المؤلفة من وسادة

* التاج التوسكاني: شكل مبسط عن التاج الدوري.

** عَقب الرمح: حلقة معمارية بانحنائين، محدبة في الأعلى ومقعرة في الأسفل.

*** حلقة معمارية محدبة صغيرة.

⁷⁶Clause-Balty, P: 2008, P. 185.

**** قرمة التاج: وسادة حجرية تعلو تاج العمود.

حاملة لزخرفة البيضة واللسان وحدّارة تفصلها عن الوسادة. يوجد أمثلة متعددة عن هذه التيجان في العالم الروماني، ولكن تواجدها قليل في منطقة جنوب سورية (اللوحة. 25: 17). لتيجان الأروقة الأيونية وجهان باستثناء تلك الموجودة في نوى فهي بأربعة وجوه (البناءان رقم 13 ورقم 10 مع حنية). مع ذلك، تحمل هذه التيجان المختلفة بالمجمل سمات مُشتركة إذ يوجد على الوسادة قليلة البروز حلية بيضة لوزية الشكل ومنمنمة ومُعاد حفرها بشكل بسيط (اللوحة. 24: 11 إلى 14). تم اختصار البيضات الثلاث الجانبية إلى بيضة واحدة على تيجان المسكن رقم (3) في كفر شمس (اللوحة. 24: 12)، كما يتواجد حلية حلزونية بالتفافات منمنمة أيضاً، أما القرمة فهي قليلة الارتفاع.

هناك أيضاً سمات مشتركة لبعض تيجان الجولان مثل وجود الحلية البيضوية صغيرة الأبعاد على وسادة التاج. يُلاحظ في رواق واجهة المسكن رقم (2) في كفر شمس وجود عمودين بتيجان أيونية متوضعين على مستوى الباب الرئيسي، بينما تُحمل الأعمدة الجانبية تيجان توسكانية (اللوحة. 23: 5)، وهذا التوضع شاذ إذا ما قورن بالترتيبات الكلاسيكية المستخدمة في كل مكان في العالم الروماني⁷⁷.

يُمكن أنه تم تعديل رواق كفر شمس، لكن يلاحظ مع ذلك أن استخدام أروقة مؤلفة من أنواع مختلفة من التيجان كالتيجان التوسكانية والأيونية أو الأيونية والكورنثية أو حتى التوسكانية والأيونية والكورنثية كان دارجاً في سورية الشمالية في الفترة المسيحية القديمة والفترة البيزنطية.

كما هو ملاحظ في المنطقة، كانت الخرجات المقتصرة على السواكف الخالية من الزخرفة هي الأكثر انتشاراً (اللوحة. 25: 18)، اتخذ رباط الأعمدة البارز في المسكن رقم (1) في كفر ناسج (اللوحة. 23: 4) أبسط الأشكال، بينما حمل رباط الأعمدة في رواق مسكن ذكير زخرفة على وجهيه مع تاج بعقب، هذا مما يتوافق مع البروفيل الأكثر رواجاً في المنطقة خلال القرن الثالث الميلادي.

ب- الأقواس الداخلية:

يوجد في معظم المساكن أقواس مُستعرضة لدعم بلاطات السقف. تُستند هذه الأقواس على عضادات تُستند بدورها على جدران الغرف الجانبية. غالباً ما تحمل هذه العضادات زخارف ناتئة بسيطة جداً كما أنها تحمل في بعض الأحيان زخرفة أكثر تعقيداً.

⁷⁷ Bernard, P: Chapiteaux corinthiens hellénistiques d'Asie central découverts à Ai Khanoum, *Syria*, 1968 P. 111.

لا يمكن رؤية قواعد عدد من عضادات الأقواس لأنه لم يتم تنظيف الغرفة من الانقاض، أما المرئية منها فيُشاهد على بعضها زخرفة بارزة أتيكية (اللوحة. 25: 19 و 20). إن لقواعد عضادات قوس الغرفة (A) الرئيسية في قصر انخل التي تتقدم غرفة الحُجلة المقببة بروفيلاً تقليدياً على شكل تضليع بارز.

تكون جذوع قواعد العضادات مزخرفة أحياناً وهذا ما يُشاهد في مسكني انخل الكبيرين حيث تأخذ الزخرفة شكلاً مألوفاً عبارة عن حنية* أو حنيتين بجانب بعضهما البعض (اللوحة. 25: 21)، أما بالنسبة لتيجان العضادات فهي إما أن تكون ذات بروفيـل مشدوف شديفاً بسيطاً وسوياً أو أنها تحمل شرائط مزخرفة. تُظهر معظم هذه التيجان التعاقب الزخرفي التالي: زخرفة شبكية أو المسبحة/حلية البيضة/حلية القعيرات الغائرة/غصينات، ويمكن لهذه النتوءات أن تكون ملساء (اللوحة. 26: 22)، كما يمكن لها أن تمثل عناصر مكملة كما هو حالها في بيت العلو في انخل، حيث يعلو التاج نفسه عَقب وفاصلة وهو تفصيل يشاهد بكثرة⁷⁸.

يمكن أن تكون هذه التيجان مزينة بشرائط زخرفية كما هو الحال في قصر انخل (اللوحة. 26: 24 و 25) وفي بيت طوالبـة وفي بيت مثيرب (2) في نوى، حيث يسبق هذه الشرائط في أعلى جذع العضادة عصابة مزخرفة بزخرفة الصليب المعقوف (اللوحة. 26: 26 و 28) وبغصينة منمنمة (اللوحة. 26: 27).

يتكون هذا التاج المزخرف بزخرفة بارزة في بعض الحالات النادرة من تضليع نُحت عليه أوراق الأكانثا التي يتقدمها، كما هو حال بيت مثيرب رقم (2) في نوى، شريط مزخرف بزخرفة الصليب المعقوف (اللوحة. 34: 29). تتوج هذه العضادات في بعض المساكن بتيجان أيونية فقط (اللوحة. 27: من 30 إلى 33).

عندما تُزخرف العقود تتواجد الزخرفة على واجهتها أو على بطنتيها. تقتصر زخارف بطنيات الأقواس في بعض الأحيان على حنية مركزية داخل التجويف يمكن أن يحدها من الطرفين وبشكل متناظر زخرفة عَقب الرمح وهي زخرفة مألوفة لبطنيات سواكف الأعمدة، أما نقوش واجهة القوس فهي نقوش بسيطة تشبه أيضاً زخارف بروفيـلات سواكف الأعمدة وهي من نوع غصينة/عَقب الرمح/فاصلة أو من نوع غصينة/زخرفة شبكية/حلية البيضة/ حلية قعيرة غائرة/فاصلة

* بروز نصف إسطواني داخل إطار.

⁷⁸ Clause-Balty, P: 2008, P. 188.

(اللوحة. 27: 33). يلاحظ في أمثلة تيجان نوى المذكورة وكذلك في أمثلة أخرى في نفس الموقع أن شريط ساكف العمود منحوت بتعرجات لصلبان معقوفة.

تتشابه قواعد الأعمدة الأتيكية في مسكني انخل الكبيرين بشكل كبير، وتتوافق بروفيلاتهما مع بروفيلات قواعد الأبنية الكبيرة العائدة إلى القرنين الثاني والثالث الميلاديين في المنطقة، وهي تتميز ببعض الخصائص التفصيلية، فالخلخال السفلي بارز بشكل طفيف أما المظلمة* فهي مرتفعة أيضاً وأكثر عمقاً، بينما تتوضع فاصلة المظلمة العليا على سوية الخلخال العلوي غير البارز، وتتوج القاعدة الأتيكية بتقعيرة علوية معكوسة ومزوّاة ويليهما توصيلة معكوسة ومزوّاة أيضاً. تتواجد هذه التنسيقات** في مكان قريب أيضاً على قواعد أعمدة البيلاستر لقبر عتمان الموجود في نفس المنطقة (اللوحة. 28: 34).

هناك خاصية أخرى يميّز بها مسكننا انخل وهو كون جذوع قواعد الأعمدة فيها مزينة بحنيات مسطحة أو محدبة مؤطرة بزخارف صغيرة من عقب الرمح. يشاهد هذا النوع من الزخرفة بكثرة في هندسة العمارة الصرحية الرومانية في الفترة السيفروسية*** (193-235)⁷⁹.

بغض النظر عن الأبنية المدروسة داخل هذه المجموعة، تكون معظم تيجان عضادات الأقواس الداخلية في المنطقة مشدوفة ولها فاصلة. تُشكل بعض تيجان قواعد العضادات التي تحمل زخارف ناتئة أكثر تعقيداً أو زخرفة منحوتة في بعض الأحيان استمرارية للأشكال القديمة مع حصول تطورات واضحة عليها في آن. تُظهر التيجان ثلاثة أنواع من الزخارف البارزة، وفق التتابع حلية البيضة/القعيّرة/فاصلة مع زخارف إضافية أو دونها، أو التتابع حلية البيضة/عقب/فاصلة أو التتابع تضليّع/فاصلة مع زخرفة أخرى أو دونها. المشاركة الأولى هي الأكثر شيوعاً وانتشاراً وهي تتوافق مع التيجان المزخرفة الأكثر استخداماً في المنطقة في الفترة الرومانية. شوهدت البروفيلات ذات الترتيب زخرفة شبكية/قعيّرة/ زخرفة شبكية في المسكن رقم (1) في كفر ناسج في القاعة (009) وفي المسكن رقم (3) في محبة (غرفة الحلة 007) وفي عدة أبنية عائدة للفترة الرومانية في سورية الجنوبية وبشكل خاص في مواقع مدينية ذات أهمية خاصة وكذلك في المعابد، كما هو الحال أيضاً في المناطق المجاورة.

* حلية مقعرة بين قوسين بارزين.

** مثل تسوية السطوح المحدبة والتتويج بتقعير مزوّى.

*** نسبة للإمبراطور سيبتيموس سيفيروس (Siptimus Sivirus) وسلالته التي حكمت بعده.

⁷⁹ Strocka, V.M: *Das markttor von millet*, Berlin, 1981, P. 110.

ينتمي تاج قاعدة عضادات الغرفة الرئيسية في بيت العلو (اللوحة. 26: 23) إلى نفس النوع ولكنه يتميز بكون ناصيته تتألف من عَقب وفاصلة. شُوهدت طريقة الزخرفة الامبراطورية هذه في المنطقة منذ الفترة الفلافوسية* (96-69 م) ولكنها انتشرت على ما يبدو انطلاقاً من الفترة الهادريانية** (117- 138 م) لتستمر على الأقل حتى الفترة السيفروسية (193-235 م).

تنتمي تيجان عضادات قصر انخل (اللوحة. 26: 24) ومساكن نوى (اللوحة. 26: 26) إلى 26 (28) ذات الزخارف الشريطية المنحوتة إلى نفس نوع التيجان المؤلفة من الترتيب البيضة/قعيّة/فاصلة ولكن مع منمنمات وزخارف إضافية ومع مراحل تطور مختلفة. تتشابه طرق معالجة الزخارف المختلفة في قصر انخل*** بتفاصيلها مع ما يشاهد على تيجان رباط الأعمدة في قبر عتيل (اللوحة. 28: 38) وأيضاً مع معبد الصنمين. يُلاحظ نفس الشيء فيما يخص تاج العمود المتناظر لنفس القوس الموجود في قصر انخل (اللوحة. 26: 25). على الرغم من الاختلاف الضئيل للبروفيل ذي الترتيب حلية البيضة/العقب/الفاصلة**** (اللوحة. 25: 17) وكذلك لطريقة معالجة الزخارف فهي أقرب ما يكون لـزخارف نُضد المنصة الأمامية لمسرح بصرى العائد للحقبة السيفروسية. في المقابل، تُعتبر طريقة نحت زخارف تيجان قواعد عضادات مسكني نوى ذات الزخرفة العائدة لنفس المنهجية الزخرفية مع إضافة زخرفة طوق من زخرفة المتعرجة، تطوراً عن أشكال أكثر تقدماً. ينتشر النوع الثاني من تيجان القواعد ذات البروفيل تضليع/فاصلة بوتيرة أقل في المنطقة ويوجد مثال عنه في المسكن رقم (8) في نوى (اللوحة. 27: 29) مع وجود طوق من زخرفة المتعرجة على القاعدة وأوراق الأكائثا المنتصبة على الكتلة الحجرية ذات التضليع وُغصينة صغيرة على الفاصلة. يمكن مقارنة طريقة نحت أوراق الأكائثا المستوية والمتمددة والمخرّمة مع الطريقة التي نُحتت بها تلك الموجودة في سورية الشمالية على تيجان الكنائس العائدة إلى القرنين الرابع والخامس الميلاديين. أخيراً، هناك بضع عضادات فقط متوجة بتيجان القواعد الأيونية⁸⁰.

* نسبة للامبراطور فلافوس فسباسيان (Plavius Vespasianus) وهو من رباتا، تولى القنصلية عام 51 م.

** نسبة للامبراطور بوبليوس ايلوس هادريانوس (Publius Alius Hadrianus)، ولد عام 76 م.

*** الحبات والفواصل على المسبحة وحلية البيضة والغصينة على القعيّة.

**** كما هو حال بروفيل قواعد الأعمدة في قنوات.

⁸⁰ Butler, H.C: *Publications of the Princeton university archaeological expeditions to Syria in 1904-1905 and 1909*, part 5, Leiden, 1915, P. 70.

تتميز تيجان غرفة بيت العلو الرئيسية (اللوحة. 27: 30) بصفات تُصادف أيضاً في أماكن أخرى في المنطقة، فهي تتألف من حدّارة بجديلة زخرفية تقع تحت طوق طويل أُمس ثم يأتي بعد ذلك حدّارة بزخرفة المسبحة والفتائل، أما الوسادة فتحمل زخرفة البيضة المؤلفة من ثلاث بيوض كاملة تتوسطها أسهم وتغطي الجانبيتين منها جزئياً على الزوايا حلية المروحة النخيلية. هناك زخرفة حلزونية أيضاً في الزاوية مُغطاة بورقة طويلة تستند على طوق العمود أما ناصية التاج فيُزينها عَقب صغير. تسمح كل هذه الصفات وتفاصيل طرق نحت الزخارف بتشبيه هذه التيجان بمجموعة من التيجان الموجودة في سورية الجنوبية وخاصة تيجان أروقة شهباء (اللوحة. 28: 40) المبنية في عهد فيليب العربي (245-249) أو تلك الموجودة في المسمية داخل مسكن قديم (اللوحة. 28: 41). يُلاحظ أن زخارف تيجان بيت العلو أكثر بروزاً من زخارف تيجان أروقة شهباء ومنحوتة ببراعة أكبر من زخارف تيجان المسمية. تنتمي التيجان الأيونية الموجودة في المسكن رقم (8) في نوى إلى مجموعة وفترة مختلفتين (اللوحة. 34: من 31 إلى 33) فمازال طوق العمود في مكانه وهو مزخرف بغصينة منمنمة أما الحدّارة الواقعة تحت وسادة العمود فقد أصبحت منحنية الأضلاع ويمكن أن يحل محلها إكليل غار أو نصف تويج تربطه عقدة هرقل (اللوحة. 27: 32).

تَحمل الوسادة ثلاث بيوض، مركزية كبيرة وجانبيتين صغيرتين، لكن لا يمكن رؤية زخارف المروحيات النخيلية الجانبية، أما زخرفة الزاوية الحلزونية فهي مختصرة جداً وكذلك هو حال الناصية غير متقنة النحت التي اقتصرَت على فاصلة بارزة. يلاحظ ضمور العناصر المكونة للتيجان الأقدم أيضاً. بالنسبة لإكليل الغار أو نصف التويج الذي حلَّ محل الحدّارة تحت الوسادة فهذا شيء دخيل على التيجان الأيونية.

في المقابل، ليس من النادر رؤية التيجان الكورنثية المزخرفة بأكاليل الغار في كنائس سورية الشمالية العائدة للفترة المسيحية المبكرة وكذلك في الرصافة وشمالي بلاد الرافدين. وفقاً لـ ج.ب. سوديني (Sodini, J.P) يعتبر وجود أكاليل الغار على التيجان نموذجاً سورياً⁸¹.

تُشبه أقواس العقود بأشكالها بروفيلات سواكف تيجان مألوفة في المنطقة، لكن مع وجود تنويجة منتظورة جداً إذا ما قورنت مع أهمية الوجوه المقتصرة عادة على عصابة واحدة. يُلاحظ تكرار زخارف تعرجات الصلبان المعقوفة على عصابة قوس العقد في نوى. تتعلق هذه الخاصية المحلية دون شك بتقليد زخرفي لورشات عملت في هذا الموقع لكن من المعروف أن زخرفة الصلبان

⁸¹ Sodini, J.P: Habitat de l'antiquité tardive Arabie et palestine, *Topoi*7, 1997, P. 42.

المعقوفة الموجودة على عصابات السواكف هي نموذج سوري يشاهد في سورية الشمالية وفي تدمر أو في سورية الجنوبية.

ج- أطناف السقوف والقبب:

كانت الأطناف المستمرة على الواجهة والتي تستند عليها بلاطات سقوف الأروقة صافرية البروفيل على الأغلب. ينحني خط الأطناف الأفقي في بعض الواجهات فوق الباب المركزي ليصبح بروفيله على شكل تضليع مستقيم، ويمكن أن يكون هذا التضليع معكوساً ويتوضع على ظاهر العقد. كانت أطناف السقف المستمرة صافرية الشكل كما هو حال أطناف الرواق أما في غرف المساكن الأكثر جمالاً والمزخرفة بزخارف منحوتة فقد كانت بروفيالات أطناف السقوف والقبب على شكل تضليع كبير. تُنحت عادة ورقة نباتية أو ورقة نخيل في كل زاوية في الغرف المزينة بأطناف على شكل تضليع. تُبنى الأطناف الصافرية الشكل أو تلك التي على شكل تضليع وكذلك السقوف من مادة البازلت فقط وتكون شديدة البروز مما يُخفف من حمولة بلاطات سقوف الأروقة وكذلك الغرف. يشاهد في بعض المواقع الهامة كتل منعزلة من أطناف السقوف كما هو الحال في بصرى حيث أعيد استخدام بعضها قديماً كمصاريح للأبواب (بصرى، متحف القلعة). بغض النظر عن مساكن جنوب سورية المحفوظة جيداً فمن النادر وجود سقف قديم مازال قائم داخل بناء غير سكني.

د- أطر الأبواب:

عندما يكون للأبواب أطر مزخرفة بزخرفة ناتئة يكون هذا الإطار من النوع الأيوني الكلاسيكي القريب جداً من سواكف التيجان بشكل عام، وتتخذ زخرفته الترتيب التالي عصابة/عصابة/عقب/فاصلة أو عصابة/عصابة/حلية البيضة/قعرية/فاصلة. يمكن لهذه لأطر أن تأخذ شكلاً خاصاً بها يتمثل بحنية كبيرة مركزية تتوضع بين ترتيبين متناظرين عقب/فاصلة مع نتويجة تأخذ الترتيب الزخرفي شبكة/حلية البيضة/قعرية/فاصلة.

هذا النوع من الأطر تقليدي جداً في المنطقة إذ أن النوع الأول المتمثل بالترتيب عصابة/عصابة/عقب/فاصلة هو الإطار المعياري المستخدم لكل أبواب أروقة بصرى ولباب قبر عتمان، وهي أطر منتشرة جداً إذا لم تكن الأطر الأكثر انتشاراً في الفترة الرومانية في مدن ومعابد لبنان وسورية وفلسطين والضفة الغربية. كذلك فإن الأطر ذات الترتيب الزخرفي عصابة/عصابة/حلية البيضة/قعرية/فاصلة دارجة جداً في المنطقة لكن تترافق في بعض الأحيان مع زخرفة بارزة أو غائرة

إضافية⁸². يُشبه الإطار الموجود على بابي واجهة المسكن رقم (8) في نوى (اللوحة. 29: 48 و 49) والمتمثل بترتيب الزخرف الشبكي أو المسبحة تحت حلقة البيضة وبزخرف شبكي مستقيم بين القعرية والفاصلة، إطار باب الجناح الشمالي الشرقي لمعبد قنوات العائد للحقبة السيفروسية وكذلك إطار باب معبد تل أسود الجنائزي في بصرى وأطر الأبواب الجانبية لحمامات سليم، وطالما أنه لا يوجد مسبحة بين عصابتين كما هو الحال على إطار باب فناء قصر انخل فالأطر هنا تشبه أطر شفا الموجودة على الأبواب الجانبية للقصر وعلى أبواب واجهة الدير الثلاثة (اللوحة. 30: 54). تكمن الخاصية الزخرفية لهذين البابين أيضاً في الزخرفة الشريطية المنحوتة فقط على السواكف. تشبه طريقة معالجة تفاصيل الزخارف وخاصة تعرجات الصليب المنحوتة (اللوحة. 29: 49) طريقة معالجة الزخارف الموجودة داخل نفس المنزل على الأقواس الداخلية (اللوحة. 27: 33).

ينتمي النوع الثالث من الأطر المستمرة ذات الحنية المركزية إلى نوع هام من الأطر المنتشرة في جنوب سورية والتي يمكن متابعة تطورها بدءاً من منتصف القرن الثاني الميلادي وحتى نهاية القرن الثالث الميلادي على الأقل. وُجد هذا النوع من بروفيلات الأطر في الرصافة أيضاً في بداية القرن السادس الميلادي.

تشبه بروفيلات أطر أبواب واجهة قصر انخل (اللوحة. 30: 52 و 53) ذات الحنية المركزية قليلة الأهمية وقليلة البروز والمحاطة بعقبين بروفيل باب رواق شهاب المعاصر لحكم فيليب العربي (245-249) (اللوحة. 30: 55).

يلاحظ أسفل إطار الباب الرئيسي لحمامات سليم (اللوحة. 30: 56)، المشابه لأطر قصر انخل ولكن بزخارف نباتية أغنى، بروز العتبة وارتفاعها ودعمها جانبياً بقوائم أسد وهي زخرفة مألوفة تُشاهد على الأبواب الصرحية في المنطقة وإليها تنتمي الزخارف الجانبية (تمثال نصفي لعقاب ربما) الموجودة أسفل إطار الباب المركزي لقصر انخل (الشكل. 26).

هـ. أطر النوافذ:

عدد كبير من النوافذ مفتوح على الفناء ومعظمها غير مؤطر، أما بعضها فتؤطره أطر مزخرفة. تؤطر النوافذ المستطيلة بأطر مزخرفة بزخرفة ناتئة تستمر على جوانبها الثلاث كما هو حال الأبواب وتأخذ نفس الترتيب، ويمكن أن يقتصر الإطار على ساكف النافذة الأفقي أو على قنطرتها. تكون أطر النوافذ المدورة في بعض الأحيان ناتئة ومزخرفة ويندمج الإطار مع قوس العقد عندما يتعلق الأمر بنافذة قوس الحمولة الذي يعلو باب الواجهة الرئيسي.

⁸² Clause-Balty, P: 2008, P. 191.

وفقاً للأمتلة التي وجدت معزولة عن مكانها، تم بشكل عام سد بعض النوافذ جزئياً باستخدام ألواح حجرية مخرّمة تحمل على الأغلب زخرفة منحوتة، وما زال بالإمكان رؤية عدداً من الكتل المخرّمة في مكانها (الشكل. 27).

كان يوجد أعلى معظم النوافذ إفريز بارز من الحجر لحماية الغرف من المطر المتدفق أو لحجب الضوء الخارجي جزئياً. يمكن أن يمتد هذا الإفريز فوق كل نوافذ الواجهة أو يمكن أن يقتصر على نافذة واحدة، وفي هذه الحالة تدعم نهاياته بأطناف تضليعية⁸³ (الشكل. 28).

تشابه أطر النوافذ الحاملة للزخرفة الناتئة بأشكالها البسيطة نوعاً ما وقليلة الانتشار في المنطقة أطر الأبواب. على العكس من ذلك تنتشر النوافذ غير المؤطرة والمحمية بالإفريز الذي تسنده أطناف تضليعية في المساكن الكبيرة. هناك مثال عنها في المسكن رقم (1) في كفر ناسج حيث نُحتت زخرفة ورقية على أطرافها وهي تشبه ربما نوافذ الأبنية الكنائسية الواقعة شرق كنيسة القديسين سيرج وباخوس وليونس في بصرى. أكثر عناصر النوافذ إثارة للاهتمام هي الكوّات المخرّمة مثل تلك الموجودة في بيت الكرك والتي نُحتت على كتلة حجرية في مدماك متوسط يقع بين نافذتين (الشكل. 27). يصعب للأسف الشديد تحديد البناء الأصلي الذي تعود إليه هذه الكتل إذ غالباً ما تكون منعزلة عن بنائها أو أنه مُعاد استخدامها (اللوحة. 30: 57 إلى 60).

و- أطر المشاكي:

هناك عدد من المشاكي داخل المساكن وكذلك في الواجهات، معظمها وظائفية ولا تحمل زخرفة وهي عادة عميقة كفاية بحيث يمكن ترتيب الأشياء فيها أي أنها عبارة عن خزائن. في المقابل هناك بعض المشاكي ذات أطر غنية بالزخرفة نذكر منها:

- أطر المشاكي ذات المخطط منحنى الأضلاع والمغطاة بقبة ربع كروية مزخرفة بزخرفة الصدفة.
- أطر المشاكي ذات المخطط والشكل المستطيل كالنافذة وهي أطر مزخرفة بزخرفة ناتئة (اللوحة. 31: 66).

تعود المشاكي القليلة ذات المخطط شبه الدائري بأصولها لعدد من الكوّات المعروفة المزيّنة بزخرفة الصدفة والعائدة للفترة الامبراطورية ومن بينها المشاكي ذات الإطار نصف الدائري المستند أفقياً على العضادات. انتشر هذا النوع من المشاكي في المنطقة خلال الفترة الامبراطورية بمخططيها المستطيل والمنحني الأضلاع، وينتمي إلى هذا النوع المشاكي التي يأخذ قعرها شكل الحجلة في المسكن رقم (3) في محجة وفي المسكن رقم (8) في نوى (اللوحة. 31: 65 و64)، نُحت على سقف

⁸³ Butler, H.C: 1915, P. 323.

الدعامة الدائرية للمشكاة في هذين المثالين زخرفة الصدفية وزينت واجهتهما عضادات قصيرة وغليلة تدعم قوساً مزخرفاً بزخرفة ناتئة. هناك أيضاً نوع من المشاكي ذات العضادات البسيطة التي تنعطف أطرافها أفقياً فوق التيجان فقط، وهي تعود إلى الحقبة بين الأنطونيةسيّة* (139-161 م) والسيفروسية. تعود مشاكي واجهة قصر انخل إلى هذا النوع (اللوحة. 31: 62 و 63) مع اقتصار زخرفتها على الإطار بسبب غياب الدعامة والعضادات⁸⁴. يتمثل الاختلاف الثالث في أن الإطار يمتد جانبياً على الجهتين متجاوزاً العضادات وهذا ما يشاهد في مشكاة الواجهة الثالثة لقصر انخل (اللوحة. 31: 61) وفي اثنتين من المشاكي الموجودة في الداخل (الشكل. 29). توحى هذه الأطر بشكل واجهة معقدة وتتويجة مع حنية مركزية في الوسط، وهي مُشتقة ربما من مشاكٍ تُشابه عناصر معمارية مؤلفة من عمودين أو أربعة أعمدة تدعم جبهية مع قنطرة صغيرة مركزية. وجد هذا النوع من المشاكي في المنطقة بدءاً من النصف الثاني من القرن الثاني الميلادي. لا يوجد في مثالي انخل دعامات، أما أنصاف الأعمدة فهي اثنتين فقط على الرغم من أن الإطار يتجاوزها بامتداده، كما ألغيت الجبهية المثلثة. في المقابل، تتميز الأطر بغنى زخرفتها كما هو حال باقي مشاكي الواجهة. أُعيد تشذيب القسم الموجود فوق إطار مشكاة الغرفة الرئيسية (A) كما تم تطريقه (اللوحة. 32) هذا مما يسبب إشكالية في التاريخ، مع ذلك نميز جناحين أفقيين مما يسمح على الأرجح باعتبارهما آلهتي نصر متناظرتين ومبسوطتي الأجنحة نحتاً فوق النضد. يؤكد هذا الافتراض وجود كتلتين حجريّتين مشوهتين أُعيد استخدامهما في حائط جامع انخل (اللوحة. 31: 67 و 68) حيث يشاهد آلهتي نصر ممتدتي الجناح فوق ما يبدو أنه انحناء القوس المغطي للمشكاة. يشاهد هذا النوع من الآلهة المتناظرة على الجانبين على السواكف الحاملة للتصاوير الدينية في المنطقة وعلى كسر عثر عليها في الجولان بأسلوب مشابه لتلك الموجودة في انخل. يلاحظ أيضاً أن أعمدة مشاكي (القصر) الداخلية ملولبة (اللوحة. 32 والشكل. 29) وهو تفصيل لا يوجد في الأمثلة المعروفة للعائدة للقرنين الثاني والثالث الميلاديين. يُوجد أيضاً في قصر انخل ترتيب زخرفي معاد استخدامه مثير للفضول هو عبارة عن

* نسبة للإمبراطور تيتوس أوريليوس أنطونينوس (Titus Aurelius Antonius). كانت فترة حكمه أوج مجد السلام الإمبراطوري طويل الأمد.

⁸⁴ Butler, H.C: *Publications of the Princeton university archaeological expeditions to Syria in 1904-1905 and 1909*, part 4, Leiden, 1914, P. 295.

مشكاة مُضاعفة أو نافذة تترافق مع وجود قنطرتين صغيرتين بجانب بعضهما البعض⁸⁵ (الشكل. 30) .

ز- زخارف السقف:

يوجد في بعض مساكن البثنية بالإضافة إلى الزخارف الغائرة اليونانية الرومانية التقليدية، زخرفة غائرة مؤلفة من زخارف متكررة كما هو الحال في السجاد. تُنحت هذه الزخارف على ألواح حجرية متطولة وتتواجد على:

- بطنية صنجة العقد الأولى، فوق العضادة (اللوحة. 27: 32).
- أطناف السقوف.
- بطنيات القناطر (اللوحة. 33).
- بلاطات السقوف.

هذا النوع من الزخرفة غير مألوف إطلاقاً في المنطقة، ولا يُشاهد اليوم إلا في ثلاثة مواقع قريبة من بعضها نوعاً ما ألا وهي نوى ومحجة وانخل، وهو أيضاً غير مألوف في العالم الإغريقي الروماني حيث تكون زخرفة السقوف المنحوتة أو المطلية بالكلس أو المرسومة بشكل عام عبارة عن قطع مجمعة أي قصب خشبية أو حجرية مجوفة مزينة بالزخارف الناتئة وتعريشات نباتية ونُجود بزخارف مختلفة تُشبه السقوف الحقيقية.

يقتصر وجود هذه الألواح الزخرفية المستطيلة المتطولة والكبيرة في أمثلة البثنية على صُنجات العقود أو على بلاطات السقف. تتألف الزخرفة المتكررة من تتابع شرائط زخرفية من الصلبان المعقوفة وهي زخرفة اختيارية تُستخدم في فن العمارة في مواقع سوربة الداخلية وفي الجولان وفي الجليل. تتناوب الصُّلْبَان المعقوفة بشكل عام مع مربعات أو مستطيلات تحتوي زخارف مختلفة مثل وريادات من كل الأشكال وعقد ومربعات متشابكة وصدفات القديس جاك وسلال ومزهريات وتصاوير مُطرقة. يلاحظ اقتصار وجود الزخرفة في بعض الألواح الحجرية على جانبيين منها فقط أو أنها تكون مؤطرة بالكامل بشرائط زخرفية مثل زخرفة المسبحة أو ضفيرة ثنائية أو ثلاثية أو شرائط مجدولة تتخللها دوائر. تُشبه هذه الزخرفة المؤلفة من عصابات عريضة مستطيلة الشكل لوحات الفسيفساء وخاصة تلك الموجودة في الأبنية ذات الصحن أو الأروقة الجانبية كالكنائس مثلاً. هناك أمثلة محفوظة مختلفة في المنطقة تحمل نفس الترتيب الزخرفي المؤلف من الصلبان المعقوفة

⁸⁵ Clause-Balty, P: 2008, P. 193.

كأساس والتي تتناوب مع مربعات أو مستطيلات تحتوي زخارف أو مشاهد تصويرية (الشكل. 31 و32).

حـ الزخارف النباتية أو التصويرية المفردة أو المجموعة مع بعضها:

تُزين العديد من الزخارف الغائرة المفردة الأماكن الأكثر أهمية باستثناء بعض الأمثلة تقريباً، إذ يوجد في بعض الأحيان زخارف مفردة صغيرة* تزين الجدران غير المطلية، لكن من الواضح أيضاً أن بعضها الآخر نحت لاحقاً داخل الحجر. تُنحت الزخارف بشكل عام فوق حجر أملس أو على إطار (اللوحة. 30: 52). يربط الزخارف في بعض الأحيان شرائط أو غصينات كرمة كما هو حال بعض الأكاليل التي تربطها عقدة هرقل.

عادة ما تكون الزخارف متوضعة إلى جانب بعضها البعض على نفس الكتلة الحجرية دون أن يتواجد أي رابط ملموس بينها ولكنها مرتبة بشكل دقيق⁸⁶.

3.3.6.1.2 المواضيع الزخرفية:

أ- الأكاليل وعقد هرقل وزخرف الشريط وغصينات الكرمة والزخارف المشتقة منها:

يعتبر الإكليل ومنذ عهد بعيد الرمز الأكثر حضوراً على سواكف الأبواب (سُجِّل 71 إكليل) وعلى بطنيات صنجات العقود (هناك 23 مثال) وكذلك على الأطناف والقبب والسقوف، ويحتل عادة موضعاً مركزياً مكان تواجده ضمن شكله الكلاسيكي وتجمع عقدة هرقل بين طرفيه (اللوحة. 26: 24 و 25 واللوحة. 34: 70 إلى 73 واللوحة. 35: 74). طُرِّقت هذه العقدة في كثير من الأحيان بشكل يثير الفضول في أزمنة شيوع تحطيم الأيقونات (اللوحة. 35: 78). تلتف نهايات أطراف الإكليل خارج العقد (اللوحة. 34: 72) أو تتباعد ولكنها تتحول في معظم الحالات إلى غصينات كرمة أو أوراق شجر منمنمة تمتد أو تلتف جانبياً.

غالباً ما تُنحت زخارف داخل الأكاليل وتكون على شكل وريادات عادة (اللوحة. 34: 69 إلى 71 واللوحة. 35: 74 و 77) أو على شكل صدفات القديس جاك (اللوحة. 26: 27) أو رؤوس (اللوحة. 34: 71) أو حتى صلبان مسيحية (اللوحة. 36: 83).

* وريادات أو أوراق صغيرة أو معينات أو عقدة سليمان أو صدفات.

⁸⁶ Dentzer, J.M: Conclusion: development et culture de la Syrie du sud dans la période de préprovinciale dans *Hauran 1*, part 2, 1986, P. 387.

عندما يتواجد الإكليل في مركز الساكف يتواجد على جانبيه وبشكل متناظر سعفات نخيل (اللوحة. 35: 80 واللوحة. 36: 84) أو إكليلين آخرين (اللوحة. 35: 81) أو أعمدة صغيرة (اللوحة. 36: 83) أو خراطيش (اللوحة. 36: 85) أو وريادات (اللوحة. 36: 86 و 87) أو شمعدانات بسبعة فروع. تُشاهد نفس الترتيبات الزخرفية على سواكف مساكن أو قبور في قرى أخرى في المنطقة مع وجود أكاليل جانبية متناظرة (اللوحة. 37: 96) أو وريادات (اللوحة. 36: 91 و 92 و 93 واللوحة. 37: 98 و 101 و 104).

إن الزخرفة الأيقونية المؤلفة من الإكليل وعقدة هرقل وغصينات الكرمة أو الشرائط دارجة جداً في المنطقة إلا أنه من الصعب دراستها أسلوبياً وذلك لسببين، يتمثل الأول بغياب تأريخ الأبنية سواء من خلال النقوش أو أثرياً، أما الثاني فيتمثل بالاختلاف الكبير في طريقة نحت هذه النقوش. هناك مثال وحيد فقط يعود تاريخه للقرن الثاني بشكل مؤكد (124- 125 م) وهي الأكاليل الموجودة على ساكف موجود داخل بناء يعتبر نُزل في قنوات.

هناك أمثلة يعود تاريخها مؤكداً إلى القرن الثالث الميلادي وفقاً لمعايير أسلوبية ومن بينها سواكف المسكن رقم (1) في ذكير (اللوحة. 38: 111) التي يوجد عليها الإكليل ذو الباقات الورقية والكبشونة في المركز وهي هنا واضحة جداً ومفرغة من الداخل، أما الأمثلة الأكثر شبهاً بهذا المثال فهي موجودة في مسكني كفر ناسج رقم (3) ورقم (4) (اللوحة. 34: 72 و 73) ومسكني محجة رقم (11) ورقم (19) (اللوحة. 35: 76)، مع ذلك لم يكن بالإمكان تحديد تاريخها بدقة. هناك أكاليل مشابهة تماماً تتواجد على لوحات الموزاييك كتلك الموجودة في أفاميا في بناء الكاتدرائية السفلي والتي يعود تاريخها إلى الربع الثالث من القرن الرابع الميلادي⁸⁷.

لم تعد الأكاليل الموجودة على سواكف المسكن رقم (2) في محجة (اللوحة. 36: 82) وفي كفر ناسج (اللوحة. 35: 74) مكونة من الباقات الورقية لكن مازالت تحتفظ بعقدة هرقل. ليس من الصعب تحديد الفترة الزمنية التي تعود إليها أمثلة المسكن رقم (1) في محجة (515 م) بسبب وجود صلبان منحوتة داخل الأكاليل (اللوحة. 37: 97). الإكليل منحوت هنا على التاج المشدوف لعضادة القوس وليس على بطنية كتف العقد.

⁸⁷ Tate, G: *Les campagnes de la syrie du nord, un exemple d'expansion démographique et économique à la fin de l'antiquité*, Paris, 1992, P. 378.

ب- الزخارف النباتية:

- غصينات الكرمة:

بالنسبة للزخارف المنحوتة الموجودة في المساكن، غالباً ما تترافق غصينات الكرمة مع زخرفة الإكليل، لكنها تظهر بشكل استثنائي ضمن الزخارف المعمارية البارزة (اللوحة. 31: 61) أو ضمن الزخارف السطحية. تختلف جودة نحت غصينات الكرمة بشكل كبير بين مسكن وآخر وبين قرية وأخرى كما هو حال الأكاليل.

هناك بعض الأمثلة التي تكون الزخرفة فيها واضحة البروز والمعالم كما هو حال غصينات الكرمة الموجودة على باب فناء قصر انخل وتلك الموجودة على صنجات قوس الغرفة الرئيسي (اللوحة. 26: 24) بينما هناك مجموعة ثانية أكبر عدداً، زخارفها أقل بروزاً وسطحها المنحوت مستوٍ تقريباً (اللوحة. 35: 76 واللوحة. 36: 83 و85).

- الأوراق المنتصبة وسعفات النخيل:

تُمثل هذه العناصر بطرق مختلفة تماماً وجمالية عادة، سواء أكان العنصر نباتياً نسبياً (اللوحة. 29: 46) أو أكثر هندسية بوضوح (اللوحة. 29: 44 و45).

تشبه الأوراق الموجودة في المسكن رقم (1) في كفر ناسج المنحوتة بشكل منمنم بحيث تبدو على شكل ريش، تلك الموجودة على سلال التيجان الكورنثية العائدة للفترة المسيحية الأولى .

- الوريدات:

تُطلق تسمية وريدات على كل الزخارف الزهرية المفردة الممتلئة كما نراها مواجهة. على الرغم من قلّة هذه الزخارف فهي أكثر ما تصادف على الأبواب حيث تُوجد بشكل عام على السواكف وتكون جانبية ومتناظرة (اللوحة. 36: من 86 إلى 88) وكذلك تتواجد على صنجات العقود (اللوحة. 27: 31 واللوحة. 35: 77) وعلى أطراف السقوف، وبشكل أكثر ندرة فإنها تزين ساكف عمود كما هو الحال في رواق واجهة المسكن رقم (2) في كفر شمس، أو إطار مشكاة (اللوحة. 31: 65) أو صنجات العقود (اللوحة. 39). هناك عدد من الوريدات المنحوتة داخل الصلبان المعقوفة الموجودة على النضد (اللوحة. 31: 62 والشكل. 30) أو على السقف (الشكل. 33). تترافق الوريدات بشكل رئيسي مع الأكاليل، وكذلك مع زخرفة الغاما الزاوية (اللوحة. 40: 119).

تُحتت الوريدات الموجودة داخل المساكن بدرجات مختلفة من الإتقان الأسلوبي، وقد استخدمت بشكل واضح ضمن الزخرفة المعمارية في المنطقة بشكل شبه هندسي في الأبنية العائدة إلى ما قبل عصر الولايات في الفترة الممتدة بين القرنين الأول قبل الميلاد والقرن الأول الميلادي، وبشكل أكثر

واقعية في الأبنية العامة الكبيرة العائدة للحقتين الأنطونيوسية والسيفروسية. كل الوريدات الموجودة في مساكن البثنية مُشتقة من أشكال موجودة سابقاً، كالوريدة المدومة البسيطة التي انتشرت مع نهاية القرن الأول الميلادي (اللوحة. 36: 91) والوريدات ذات البتلات المتصبعة أو المدورة المحدبة أو القلبية المشتقة من الوريدات ذات البتلات مكفوفة الأطراف والمتواجدة على أبنية المنطقة العامة الكبيرة العائدة للفترة الامبراطورية* وكذلك على مساكن في قرى أخرى (اللوحة. 36: 90 واللوحة. 38: 106) وهي تنتمي إلى المجموعة الزخرفية الرومانية الأكثر انتشاراً⁸⁸. هناك أيضاً الوريدات المنمنمة البسيطة المختصرة على شكل دوائر مقسمة إلى أقسام صغيرة (اللوحة. 36: 86 واللوحة. 38: 108) والتي لا تظهر إلا على أبنية المنطقة ذات النموذج الهلنستي المتأخر (وبشكل مختلف قليلاً) وضمن زخارف المساكن العائدة إلى الفترة الرومانية المتأخرة أو الفترة البيزنطية.

ج- الزخارف الهندسية:

- عقدة سليمان:

هذه الزخرفة منحوتة على الطرف الأيسر لساكف في المسكن رقم (2) في خربة غزالة (اللوحة. 38: 112) وهي موجودة أيضاً على شكل قريب جداً من الصليب على بطنية كتف عقد داخل زخرفة مكونة من الصلبان المعقوفة (اللوحة. 27: 32)، ولا تُشاهد على المباني العامة الدينية العائدة إلى القرون الأولى من فترة حكم الامبراطورية الرومانية**. لهذه العقدة صليبية الشكل التي يترافق وجودها منهجياً مع مكان توضع باب ما، قيمة تعويذية.

- الإكليل المجدول:

هذه الزخرفة المنحوتة حول وريدة في الطرف الأيمن لساكف المسكن رقم (19) في محجة (اللوحة. 40: 114) غير معروفة أيضاً ضمن الزخرفة المعمارية المنحوتة الخاصة بأبنية المنطقة العائدة للقرون الأولى للعهد الامبراطوري، بينما تظهر بأشكال مختلفة على موزاييك الأرضيات (اللوحة. 40: 115) وكذلك ضمن الزخرفة المعمارية العائدة للحقبة المسيحية.

* معابد المشنّف والقنوات والصنمين .

⁸⁸ Clause-Balty, P: 2008, P. 199.

** يذكر ب. دونسيل. فوت (P. Doncel Voute) قائلاً: تتخذ عقدة سليمان وظيفة مشابهة لوظيفة بعض الصلبان التي تشير لوجود مدخل.

- المربعات المترابطة:

انتشر استخدام هذه الزخرفة في العمارة في كل العالم الروماني انطلاقاً من النصف الثاني من القرن الثاني الميلادي وفسرت على أنها رمز الكون، وتشاهد على الطرف اليساري لنفس الساكف الموجود في محبة (اللوحة. 40: 116) حيث نحتت وريدة داخل ثلاثة مربعات مترابطة. هناك شكلاً أكثر تعقيداً يتمثل بمربعين مترابطين يوطران وريدة تتواجد كلها داخل إكليل من الصليب المعقوفة على بطنية كتف العقد (اللوحة. 26: 28).

- الغامات أو زخارف الكوس:

تزين هذه الزخارف التي تأخذ شكل الكوس أطراف السواكف (اللوحة. 40: 119) أو زوايا السقوف، وهي تتوافق عادة مع وريدات أو مع أشكال دائرية. يوجد في المنطقة عدة أمثلة عن الغامات المنحوتة على السواكف، حيث تكون بشكل عام متوضعة على جانبي الإكليل أو صليب معقوف أو زخرفة نصف دائرية من الصعب تحديد ماهيتها (اللوحة. 40: 119 إلى 123) أو حتى خرطوشة منقوشة. ما يزال معنى هذه الزخارف غامضاً ولكن يبدو أنها متعلقة بأمور طقسية.

- الخراطيش:

تستخدم الخراطيش عادة كأطر للنقوش ويُشاهد بعض منها في مساكن البثنية وإحداها موجودة على بطنية صنجة عقد وتحمل نقش مسيحي بمعنى "إله واحد" (الشكل. 34). هناك خرطوشتان دون نقش على ساكف في محبة موجودة على جانبي إكليل (اللوحة. 36: 85) ومن الصعب الجزم إذا ما كان هناك نقوش محفورة على هذا الساكف. في المقابل، نُحت صليب ووريدتان بارزتان داخل خرطوشة على ساكف رواق المسكن رقم (2) في كفر شمس مما يدل على عائدة الزخرفة للحقبة المسيحية وعلى أن الخرطوشة هنا لم تعد مجرد إطار لنقش ما، إنما هي زخرفة بسيطة كما هو حالها في الأمثلة الموجودة في مسكن ذكير الكبير (اللوحة. 38: 111).

د- الأشكال الأخرى المنحوتة:

- أعمدة صغيرة:

تُنحت الأعمدة الصغيرة أحياناً في أطراف السواكف (اللوحة. 36: 83 واللوحة. 41: 127 واللوحة. 42: 151) لكن لا يمكن الجزم فيما إذا كانت لهذه التمثيلات وظيفة أخرى غير الوظيفة الزخرفية. هناك أيضاً أعمدة صغيرة تُزَيّن أطراف سواكف بعض الكنائس في شمالي سورية⁸⁹.

- مذابح منحوتة من كتلة حجرية واحدة:

يُشاهد مذابح منحوتة على سواكف (اللوحة. 41: 128) أو على عضادات أبواب المساكن (اللوحة. 41: 129 و131) وكذلك على بطنيات العقود (اللوحة. 41: 132 أ) وعلى قاعدة عمود (اللوحة. 41: 132 ب)، وهي تذكر حقيقة دور العبادة النبطية الممثلة على بعض عمالات بصرى ودرعا العائدة إلى القرن الثالث الميلادي.

- الشمعدانات ذات الفروع السبعة:

نادراً ما توجد هذه الزخرفة التي تشكل جزءاً من أثاث المعبد في القدس في سورية الجنوبية باستثناء موقع نوى حيث وجد أكثر من مثال وأكثرها تميزاً موجود على ساكف باب الدخول إلى المسكن رقم (2) (بيت طوالبه)، حيث يشاهد شمعدانان متناظران يتميزان بوجود انتفاخات في فروعهما مما يعطيها مظهراً نباتياً أكثر من المظهر المعدني*.

- الصלבان والطغراء المسيحية:

يلاحظ أن عدد الصלבان والطغراء في بعض القرى (محجة، كفر شمس) أكثر من عددها في بعضها الآخر. يجب التمييز هنا بين الصלבان والطغراء المنحوتة بشكل بارز على الجدران الجرداء (اللوحة. 43: 134) والتي تكون أصلية حتماً، وبين تلك المُعاد نحتها والتي تكون غائرة على الأغلب، وقد أضيفت على ما يبدو لبناء المسكن وزخرفته لاحقاً. (اللوحة. 32 والشكل. 29 واللوحة. 37: 85). يبدو أن أكثر الصלבان الزخرفية الموجودة في المنطقة هي رباعية الفروع. هناك أيضاً الصليب سداسي الفروع من بين الرموز المسيحية المركبة وهو يجمع بين الـ (I) والـ (X) (اللوحة. 43: 134) وكذلك الصليب ثماني الفروع الذي يجمع الـ (X) والصليب الرباعي ويكون منقوش دائماً داخل دائرة أو داخل إكليل بشكل رديء جداً بحيث بالكاد يمكن

⁸⁹ Naccache, A: *Le décor des églises de villages d'Antiochène*, Paris, 1992, P. 253-254.

* كما يذكر ر. هاشليبي (R, Hachlili) فإن إضفاء الصفة النباتية على الزخرفة هي تطورات أسلوبية طرأت عليها بدءاً من نهاية القرن الثالث الميلادي.

تمييزه (اللوحة. 43: 140) لكنه يعتبر حتماً من بين الرموز المسيحية. يتواجد الصليب القسطنطيني المؤلف من الـ (X) و (P) بشكل أقل بكثير والأمثلة الموجودة غير دارجة في المنطقة. هناك مثال واضح جداً منحوت على ساكف المسكن رقم (1) في كفر شمس (اللوحة. 38: 110). من النادر أيضاً مشاهدة الصليب المنقوش داخل صدفة القديس جاك. تتواجد الصلبان والطغراء معاً في نفس المساكن وعلى نفس الكتل الحجرية كما هو الحال على ساكف رواق المسكن رقم (2) في كفر شمس (اللوحة. 43: 133 و 134) وكذلك على ساكف المنزل رقم (1) في محبة. من جهة ثانية فإن أماكن توضع الصلبان والطغراء هي نفسها أماكن توضع الأكاليل أي سواكف وبطنيات صنجات الأقواس الداخلية ونضد الأروقة والنوافذ والمشايك وتيجان العضادات وكذلك بلاطات السقف. تعتبر النافذة المدورة ذات التخريعات التي تأخذ شكل صليب مورك والتي تعلو باب المسكن رقم (1) في الكرك (الشكل. 27) مثلاً استثنائياً مميزاً ذو جمالية خاصة.

- مصباح معلق:

نُقش مصباح مُعلق بثلاثة حبال صغيرة على ساكف باب الكرك (الشكل. 27) الذي تم تطريق زخرفته بشكل كبير (اللوحة. 42: 147). تشاهد مثل هذه الزخرفة في أيقونات الكنائس وفي عناصرها المعمارية.

- الأواني:

زخارف الأواني الموجودة في مساكن البثنية عبارة عن شتلة كرمة تخرج من أنية. توجد على المشكاة الخارجية في قصر انخل أنية حفرت أفقياً بشكل مثير للفضول (اللوحة. 42: 148). تتواجد الأمثلة الأخرى على السواكف حيث تتوضع مركزياً (اللوحة. 42: 149 واللوحة. 44: 154) أو جانبياً (اللوحة. 44: 153) وكذلك على أطر النوافذ (اللوحة. 42: 150).

- صدقات القديس جاك:

تتواجد هذه الزخرفة ضمن الزخرفة المعمارية لمساكن خربة غزالة ومحبة ونوى حيث تشغل أماكن متواضعة (اللوحة. 42: 158 و 159)، ويلاحظ ترافقها وقربها من الزخارف المسيحية، هذا هو حالها في المسكن رقم (12) في محبة أو أكثر دقة في المسكن رقم (11) في نفس القرية حيث نقش صليب داخل الصدفة .

- أشكال لها كؤويسات:

يوجد على بطنية ساكف رواق المسكن رقم (2) في كفر شمس (اللوحة. 45: 163 و 164) تمثيلان لشكلين غامضين معاد نحتهما يشبه أحدهما شكل الجرن. يوجد على نفس الكتلة الحجرية الحاملة لهما صليبيان، لكن لا يمكن الجزم إذا ما كانا معاصران لهما بسبب إعادة حفرهما⁹⁰.

- شكل مدور بمقبض:

يوجد على طنفين في المسكن رقم (1) في خربة غزالة داخل إكليل شيء مدور مثقوب في الوسط وله مقبض مجدول (اللوحة. 45: 165).

هـ- التصاوير الحيوانية والبشرية وتصاوير الآلهة:

توجد هذه التصاوير بشكل حصري تقريباً على الأقسام العلوية للأبنية وعلى مفاتيح العقود وفقراتها وأطناف وبلاطات السقوف وعلى سقف المشاكي. مع ذلك يجب الانتباه إلى أنه تم تطريق العديد من السواكف وفقرات العقود وخاصة بالقرب من غصينات الكرمة، أي من المحتمل أنه كان هناك تصاوير حيوانية كالطيور مثلاً تلازم هذه الغصينات.

يشاهد من هذه التصاوير:

- وجه أمامي:

ما زال بالإمكان مشاهدة وجه مطرق ومغيب المعالم (اللوحة. 47: 166) داخل إكليل منقوش على بطنية كتف عقد مسكن في كفرناسج.

- وجهان جانبيان ومواجهان لبعضهما البعض:

يلاحظ داخل إكليل منقوش على بطنية مفتاح عقد في بيت العلو في انخل (اللوحة. 47: 167) وجهان متقابلان مطرقان لكن ما زال بالإمكان تمييزهما. هناك أيضاً رأسان متواجهان (مطرقان) نحتاً داخل الصلبان المعقوفة السطحية لقبة الغرفة الرئيسية في قصر انخل (اللوحة. 33). يشاهد نفس التمثيل ولكن بشكل أوضح بكثير على كتلة حجرية لساكف محفوظ في متحف السويداء (اللوحة. 46: 168). إذا أخذت كثرة استحضر البروج داخل أغلب دور العبادة الوثنية أو المسيحية أو اليهودية في تلك الحقبة بعين الاعتبار، يمكن الافتراض على أن هذه الوجوه المتقابلة تمثل برج الجوزاء كاستور وبولوكس.

⁹⁰ Clause-Balty, P: 2008, P. 203.

- التماثيل النصفية:

نحتت أربعة تماثيل نصفية على أطراف سقف قصر انخل، ثلاثة منها في الغرفة (G) وواحد في الغرفة (C) اثنان منها لنساء والاثنان الآخران لرجال، و لا يبدو أنها تحمل علامات أو صفات مميزة باستثناء تمثال نسائي يعتمر تاج.

- هاربوقراط:

نحت تمثال نصفي لطفل حورس أو هاربوقراط على بطنية مفتاح عقد في المسكن رقم (3) في كفر ناسج*. هناك عدد كبير من التمثيلات لهاربوقراط تكون على الأغلب على شكل تماثيل صغيرة كذلك تتواجد على الأحجار الكريمة والخواتم والعملة، ومن الملفت للانتباه وجوده في كفر ناسج على شكل نقش معماري بارز وهو أمر غير مألوف.

- آلهة النصر:

يوجد على بلاطة في سقف المسكن رقم (1) في محبة شكل أمامي مجنح يحمل بشكل متناظر إكليل في كل يد وذلك داخل صليب معقوف. هذا التمثيل الجبهي والمتناظر لآلهة النصر غير دارج وهو يشبه نوع من التصاوير التي تحمل فوق رأسها رصيعة في داخلها صورة. نقش على جانبي آلهة النصر في محبة الرموز المسيحية ألفا وأوميغا. يسمح فحص تفاصيل الزخرفة (وخاصة غصينات الكرمة) بالافتراض أن زخرفة السقف نفذت بنفس طريقة تنفيذ الزخرفة المنحوتة على واجهة هذا المسكن التي تحمل رموز مسيحية وفي نفس الفترة. يشاهد أيضاً على نفس عارضة السقف وداخل اللوح المتوضع تحت ذلك الذي يحتوي على آلهة النصر صليب بارز تحت حبات العنب.

يمكن الافتراض أن رموز الألفا والأوميغا لم يتم إعادة نقشهما على زخرفة مصورة أكثر قدماً إنما تصاوير آلهة النصر هي التي تعود للحقبة المسيحية⁹¹.

- الطيور:

هناك تصوير مجنح آخر على السقف يتمثل بعقاب (مطرق) نُحت على طنف زاوية في المسكن رقم (11) في محبة (الغرفة 114)، وكذلك على الطرف الأيمن على مستوى العتبة تحت عضادة الباب الجانبي المؤدي إلى الغرفة (2) في قصر انخل (الشكل. 26).

* بحسب ث.م. ويبر (Th.M.Weber) يشهد هذا التمثال الصغير على الثقافة المصرية.

⁹¹ Clause-Balty, P: 2008, P. 206.

تُعتبر الحيوانات (الأسود والثيران والعقبان) الموجودة بالقرب من الأبواب حارسه وكذلك رموز للقوة الإلهية أو البشرية.

و- الزخارف الوثنية المنصرة:

كما ذكرنا، تتواجد الزخرفة بكثافة مع عدد كبير من الرموز المسيحية في المنزل رقم (1) في محجة. لو ميّزنا بين الزخارف المنحوتة عالياً والتي يصعب الوصول إليها وبين تلك التي يسهل الوصول إليها وبالتالي تعديلها، نلاحظ أن الأولى تُصنف بالأحرى ضمن فئة التمثيلات الوثنية * بينما الزخارف الأخرى هي مسيحية**.

تُمثل زخرفة الساكف آيتين تحمل إحداهما صليباً محزراً ويبرز منهما غصنا عنب. تتوضع الآيتان على جانبي إكليل يتواجد في داخله صليب، وبتسليط ضوء قريب يلاحظ وجود مناطق مُطرقة على جانبي الإكليل وتحت نهايات الأغصان. تم إزالة عقدة هرقل من الإكليل، و تم ربما نحت الصليب فوق زخرفة أكثر قدماً. تترك هذه التفاصيل المختلفة انطباعاً واضحاً بأنه تم نحت الزخارف المسيحية فوق زخرفة أكثر قدماً.

تَحمل عضادات القوس في القاعة الرئيسية للمنزل نفسه زخرفة بارزة على جانبها الغربي هي عبارة عن إكليلين أو بالأحرى سوارين مجدولين ومرصعين بالأحجار الكريمة، وقد طرّق مشبكهما. نُحت الإكليلان بشكل جميل وحوى أحدهما وردة بينما احتوى الآخر على صليب على جانبيه حرفي ألفا وأوميغا. يختلف المظهر الخشن لهذا الصليب عن المظهر الخشن للإكليل الذي يؤطره مما يطرح احتمال إعادة نحته فوق زخرفة سابقة. يُزين العضادة الشرقية سوار مجدل واحد فقط يؤطره شجرتان منمنمتان جذعاهما مجدولان أيضاً، ويشاهد في الداخل صليب يوناني وعنقودي عنب. ما يُدهش حقاً هو إتقان نحت الأكاليل بطريقة جميلة جداً وقلة الرموز المسيحية على هاتين العضادتين. حتى ولو أن زخرفة زاوية السقف لا تشهد على أي مرجعية مسيحية خاصة، فإن الزخرفة المنحوتة على البلاطة المتوسطة في المعزبة الجنوبية مثيرة للاهتمام. تتألف هذه الزخرفة من ثلاثة تجاويف غائرة مربعة الزوايا تفصلها تعرجات وتحيط بكل واحد منها جديلة. تحوي التجاويف الجانبية زخارف نباتية، أما المركزية فتحوي تصوير آلهة النصر المذكورة سابقاً والتي تحمل في كل يد إكليلاً يتشابك مع جديلة محيطية.

* غصن كرم، عين الجاموس، زخارف نباتية على طنف زاوية قاعة القوس وآلهة النصر المجنحة على بلاطة السقف الوسطى.

** على ساكف مدخل القاعة وعلى عضادات قوس نفس القاعة.

يبدو أن تنصير هذا الزخرف أكثر وضوحاً من تنصير باقي زخارف المنزل رقم (1) في محبة خاصة بسبب التطريق الجزئي والأخرق للإكليلين (بسبب الارتفاع) والذي يمكن تفسيره بمحاولة لتغيير الزخرف لتصبح آلهة النصر وكأنها تمثل ملاك الأيقونات المسيحية.

3.3.6.1.3 دلالات الزخرفة:

ينطبق تعبير البوتقة الثقافية بشكل كبير على هذه المنطقة في الفترة الممتدة من أيام الوثنية القديمة إلى ما قبل قدوم الإسلام. برزت زخارف المساكن المعمارية داخل هذا المزيج المكثف من الشعوب والثقافات الذي يميز الشرق الأدنى كترجمة لتقاطع الأيقنة ورموز الشرق القديم مع المداخلات الهلنستية من جهة وتلاقي الأديان الشرقية والوثنية اليونانية-الرومانية والمسيحية واليهودية من جهة ثانية.

تعتبر زخارف الكرمة من الزخارف القديمة جداً المستخدمة في الشرق الأدنى والأوسط في الأيقنة والاستعارات، وهي تمثل عادة بشكل واقعي زخرفي أو رمزي في مصر وآشور وفلسطين وتعتبر رمزاً للخصوبة والوفرة والقوة الإلهية وهذا ما يثبت وجودها في كل معابد سورية الجنوبية وتدمر. من جهة ثانية ترتبط الكرمة بشعائر الانبعاث أي أنها ترمز للآلهة الحامية والمنجية وبالتالي فهي تشغل أيضاً مكاناً هاماً في أيقنة الأديان الموحدة المعاصرة لتلك الفترة اليهودية والمسيحية⁹².

كما ذكرنا سابقاً، فإن الوريدات بأشكالها الهندسية المختلفة هي أيضاً زخارف قديمة ومتواجدة بكثرة في الأيقنة في المنطقة. بغض النظر عن الشكل الزخرفي للوريدة والذي يكون أكثر وضوحاً في الأمثلة العائدة للفترة الامبراطورية فهي تعتبر رمزاً شرقياً تعويدياً قديماً استمر حتى نهاية العهد الوثني.

بالإضافة إلى كون الوريدة رمزاً للنجوم والآلهة عند البابليين والآشوريين والفينيقيين ورمزاً ملكياً عند الحثيين فهي أيضاً رمزاً للشمس. تتعلق المربعات المترابطة ربما بهذا النوع من الترميز وكذلك النجمات ثمانية الفروع والوريدات المدومة والصلبان المعقوفة المفردة.

بحسب ر. هاشلي (R. Hachlili) شغلت زخرفة الصدفة ذات المعنى التعويدي مكانة هامة في الشرق الأدنى وفي مصر خلال الألفية الأولى قبل الميلاد، وأضيف إلى هذا المعنى في الحقبة اليونانية-الرومانية دلالتها المذكورة بخلق الكون لارتباطها بأيقونة أفروديت.

استخدمت زخرفة الإكليل المورق منذ القدم في العالم المتوسطي إذ ترافق انتشارها مع الحقبة الهلنستية في المنطقة. كان الإكليل يرافق الأحداث الكبيرة المواكبة للحياة الدينية والحياة العامة

⁹² Clause-Balty, P: 2008, P. 207.

والخاصة من الولادة وحتى الموت وكذلك الأحداث الرياضية والحروب لكونه رمز التضحية إلى الآلهة في العالم الإغريقي. أي أن الإكليل هو رمز للنصر وللقرب من الله مما يعني مرة أخرى الحماية. بقيت هذه الدلالة الرمزية حتى بعد أن أصبح الإكليل جزءاً من الأيقنة الملكية أو الامبراطورية.

على الرغم من استمرار وجود الأكاليل في الأيقنة أو حتى داخل أمثلة البثنية، كان هناك خلاف أيديولوجي بخصوص استخدامها في بداية المسيحية إذ أنها كانت تعتبر رمزاً وثنياً*.

سيطر استخدام زخرفة الإكليل في المساكن في سورية المتوسطية، حيث كان يتواجد على باب الدخول وعلى صنجات العقود ربما كرمز وضمانة للنجاح والسعادة لقاطني المسكن ولكل من يدخله. نُقش على ساكف معاد استخدامه في عتيل (اللوحة. 47: 169) "ادخل مبتهجاً وكن سعيداً" وعلى ساكف مزين بإكليل ووريدتان "ادخل مبتهجاً، شمس الكون، حظاً موفقاً". نُقشت الكلمة الأخيرة داخل الإكليل. بالإضافة إلى مشاهدة أكاليل دون نقوش، يشاهد أيضاً نقوش تحمل نفس المعاني على سواكف دون وجود أكاليل: "حظاً موفقاً، كن سعيداً"، "حظاً موفقاً، أهلاً وسهلاً". إذاً، تحمل السواكف أو أماكن النقوش تمنيات النجاح والتأهيل والتي يبدو أن الإكليل هو رمز لها.

ترتبط الغصينات الدالة على الازدهار بالإكليل بواسطة عقدة هرقل التي ترمز بدورها إلى دوام الزواج الديني وبالتالي إلى الأبدية وكذلك تفسر على أنها تعويضية. يمكن الافتراض أن هذا الرسم المليء بالمعاني قوي بما يكفي حتى يُكرر أكثر من مرة في المسكن، في المدخل وكذلك على الأقواس الحاملة للسقف وعلى الأطناف وبلاطات السقف. تترافق زخارف سعفات النخيل الأقل تواتراً مع الإكليل الذي يرمز إلى النصر أي إلى النجاح والسعادة والسلام⁹³.

إذا نُسبت للوريدات المختلفة الكثيرة هذا الدور التعويضي يكون معنى العبارات الأساسية المجموعة على السواكف وأماكن توضع الزخارف الرئيسية في المسكن، والتي تستقبل المالك كضيف عابر هو جلب السعادة والازدهار وطول العمر والحماية له والتأهيل، وحتى ولو أنكرت القوة الدلالية أو بالأحرى السحرية لهذه الرموز، فلا يمكن إنكار استمرارها، إذ أنها وقفت في وجه التنصير على الرغم من جهود علماء اللاهوت.

* كتب إفرايم (Ephraim) السوري في القرن الرابع: "يجب أن نكلل أبواب الدخول كمسيحيين وليس كاليونانيين الذين يستخدمون الغار والزهور ونباتات أخرى كما هي العادة عندهم وعند اليهود".

⁹³ Walter, C: The apotropaic function of the victorious cross, *revue des etudes Byzantines* 55, 1997, P. 193.

ظلت النقوش واضحة على السواكف حتى بعد انتشار الدين المسيحي. نقش مثلاً على ساكف أحد المساكن: "فليحفظ الرب دخولك وخروجك" وهذه الصيغة تشبه عبارة موجودة في مزمو من سفر المزامير 122، 8: "فليحفظ الرب ذهابك وإيابك من الآن وإلى الأبد". يقول الذي يدخل البيت: "سلام عليك" (المزمور 122، 8) متبعاً بذلك الصيغة المنقوشة داخل إكليل موجود على لوحة فسيفساء في مدخل بناء قديم.

يكفي ذكر الأوامر المسنونة في العهد القديم لإثبات قدم طقوسية نقش الكلام المقدس على الأبواب وعلى دعائم المسكن الداخلية: "أرجو أن تبقى هذه الكلمات التي أمرك بها محفورة في قلبك، عليك أن تكتبها على أعمدة منزلك وعلى أبوابه". يمكن التذكير أيضاً أنه كان على المسيحيين القدامى أن يقوموا بإشارة الصليب عند دخولهم المسكن وعند خروجهم منه. هذه النقوش ما هي إلا لمناشدة الحماية الإلهية والوقاية مما قد يحمله المستقبل من أمور سيئة.

نُقش على ساكف بيت ريفي كبير في دير الميَّاس يعود للحقبة البيزنطية: "فليعينك الرب أيها القارئ اعمل صالحاً ولا تكن حاسداً وليمت الحاسد".

يُمكن الافتراض أن هذه الزخارف المختلفة وذات الدلالات كانت شائعة بين طبقات المجتمع المختلفة. إنها تشكل جزءاً من ما يؤمن به الأفراد من خرافات وسحر وجزءاً من الرموز التي تدير العلاقات الاجتماعية المسالمة. مع ذلك، تمثل بعض هذه الرموز كرقية للحماية وكذلك كرمز ديني لتمييز بيت ما. نجد بين هذه الزخارف التي تعود إلى حقبة تتميز بتحول ديني كبير الرموز الوثنية والمسيحية واليهودية. نذكر من رموز الديانة الوثنية زخارف المذبح البارزة حتماً وكذلك ربما التماثيل النصفية الموجودة على سقف قصر انخل والتي يبدو أنها تخص الآلهة نظراً لمكان توضعها العالي. كذلك هو حال التمثال النصفى لهاربوقراط الذي يأخذ موضع مميز وهام على السقف والعقاب الموجود على السقف في المسكن رقم (11) في محبة والذي هو تذكاري من رسول إله السماوات بعل شمعين الحاضر بقوة في الأيقونات السورية العائدة للحقبة اليونانية-الرومانية. تُسند الرؤوس المتقابلة وجهاً لوجه بلا شك إلى الأساطير اليونانية الإغريقية أكثر من إسنادها إلى الدين وهي من بين تمثيلات البروج التي كانت شائعة في تلك الحقبة بين كل أديان المنطقة. يرمز الشمعدان السباعي الفروع للدين اليهودي بينما ترمز الصلبان وطغراء المسيح وكذلك ربما التصوير المجنح للألفا

وللأوميغا في المسكن رقم (1) في محبة والتي نحتت أيضاً على السقف في مكان أساسي وهام إلى الدين المسيحي⁹⁴.

مازالت دلالات زخارف الغامات غامضة، ولكن وفقاً للأمثلة العائدة للفترة المسيحية الأولى تشير هذه الزخرفة ربما إلى حقيقة اجتماعية أو دينية وجدت في تلك الحقبة. يشكل المصباح الذي ينشر النور والذي يتوافق مع مفهوم الحياة البشرية والحياة الإلهية جزءاً من جعبة الأيقونات الرمزية المسيحية. يمكن تفسير وجود الرموز ذات الدلالات التعويذية للأشخاص أو للأماكن أو التي تشير إلى الديانة التي تدين بها العائلة الشاغلة للمسكن إلى تعايش ثلاث عائلات كبيرة متدينة (وثنية ويهودية ومسيحية) على الأقل في تلك الحقبة.

من الملفت للانتباه وجود عدد من الزخارف الأكثر تكراراً في مساكن البثنية (أعمدة مفردة، أواني بفلك* ومصباح معلق وغصينات تخرج من إناء ووريدات) مصورة على أجزاء من قرآن يعود إلى الفترة الأموية وربما يكون دمشقي الأصل. تشهد استعارة هذه الزخارف من العصور القديمة على حيويتها الدائمة، إذ أن وجودها استمر داخل فن الأيقنة في المنطقة سواء في المحيط المديني والغني أو في المعتقدات والتصوير القروية.

3.3.6.1.4 مشاكل التأريخ:

إن معرفة التاريخ المعماري للأبنية أمر معقد ومشوش عادة إذ لا يوجد أدلة قاطعة تشير إلى التاريخ وإنما يكون الاعتماد هنا على الزخرفة في كثير من الأحيان وعلى المقارنة والتحليل في أحياناً أخرى. نجم هذا التشويش عن أمور عديدة، فالكثير من هذه المساكن تعرض للدمار نتيجة الزلازل كما ذكرنا سابقاً وعمد سكانها إلى ترميمها أو حتى توسيعها باستخدام عناصر معمارية تعود لفترات أقدم من التاريخ الذي تم فيه الترميم أو التوسيع. كما أن هناك مبانٍ أخرى أعيد شغلها بدءاً من نهاية القرن السابع عشر وأجرى سكانها الجدد أيضاً سلسلة ثانية من الإصلاحات والترميمات والإضافات أو أنهم قاموا بهدم المساكن القديمة لاستخدام حجارتها في بناء مساكن جديدة لهم. هذا كله أدى في كثير من الأحيان إلى تشويه ملامح هذه الأبنية وخلق سلسلة من الالتباسات أمام التحليل الأثري

فيما يخص الزخارف، فإن العديد من الزخارف المنحوتة أعيد نحتها ثانية كما هو حال الصلبان الموجودة على مشاكي قصر انخل (اللوحة. 31: 62 و63) (اللوحة. 32) أو أنه تم نحتها بشكل

⁹⁴ Clause-Balty, P: 2008, P. 208.

* جمع فلكة وهي زخرفة تزخرف بها أطراف الأبنية.

غائر داخل الجدار (اللوحة. 38: 110 واللوحة. 44: 152 واللوحة. 45: 158 و160 و163 و164). يعتقد أن هذه الأخيرة نُفذت لاحقاً لتشييد البناء وللزخرفة بحالتها الأولية نظراً لزوال تحدد الحجر إلا أنه مجرد افتراض.

إذا أخذت كل المساكن بعين الاعتبار يلاحظ مايلي:

لم يُلاحظ في خربة غزالة وجود أي زخرفة أصلية أو زخرفة معاد نحتها لصليب. مع ذلك، تذكر الزخارف الموجودة فيها وخاصة طريقة نحت الأوراق المتشابهة الموجودة على أطراف السقف في المسكنين رقم (1) و(3) وكذلك عقدة سُليمان والصدفات بالأشكال الموجودة في الأيقونات المفهرسة العائدة إلى الحقبة المسيحية الأولى.

في انخل، يطرح القصر إشكالية كبيرة، إذ أن البناء غير متجانس أبداً وهذا ما تثبته الزخرفة المعمارية. تشبه طريقة معالجة الزخرفة الموجودة على قواعد عضادات أقواس الغرفة الرئيسية تلك المتعلقة بأبنية المنطقة العائدة إلى الحقبة السيفيروسية وإلى القرن الثالث الميلادي. كذلك الحال بالنسبة لأطر الواجهة المزخرفة بزخارف ناتئة، أما المشاكي الخارجية والداخلية فقد نُفذت بطرق وأساليب مختلفة فمشاكي الواجهة (اللوحة. 31: 61 و62) والمشكاة المضاعفة (أو النافذة) (الشكل. 30) هي دون شك من عمل نفس النحاتين، بينما نفذت المشاكي الداخلية (اللوحة. 32) في وقت لاحق بالتأكيد وربما في نفس وقت بناء السقف المقوس لمشكاة الواجهة (اللوحة. 31: 63). على العكس من ذلك، فإن زخرفة بيت العلو متجانسة ويمكن إرجاعها بلا شك إلى الحقبة السيفيروسية. لوحظ أيضاً أن هناك نوع من الشبه بين زخارف قصر انخل وزخارف بيت العلو العائدة إلى الحقبة السيفيروسية أو إلى القرن الثالث الميلادي.

بناءً عليه، حتى ولو كان من الواضح أن القصر هو بناء معدل بشكل كبير، فلا يعتقد أن عناصره أخذت من أبنية دينية أو جنائزية لأن الأولى مختلفة بمفهومها وزخرفتها والثانية حجوماً صغيرة بشكل طبيعي، أما الأمر الأكثر احتمالاً ربما فهو أنه تم استخدام عناصر معمارية من بناء كبير كان موجود في نفس المكان ويعود للحقبة السيفيروسية أو إلى القرن الثالث الميلادي ولم تحدد وظيفته قطعياً هل هو مسكن أم أنه بناء رسمي⁹⁵.

يعود مسكن الكرك رقم (1) إلى الحقبة المسيحية كما تشير إليه تخريصات النافذة التي تأخذ شكل الصليب (الشكل. 27).

⁹⁵ Clause-Balty, P: 2008, P. 208.

يَحْمِلُ الْمَسْكَنَ رَقْم (1) فِي كَفَرِ نَاسِجٍ زَخْرَفَةً مَقْشُورَةً بِشَدَّةٍ (اللوحة. 23: 4). مَعَ ذَلِكَ تُذَكِّرُ طَرِيقَةَ تَنْفِيزِ الْأَوْرَاقِ عَلَى بَطْنِيَّاتِ الْأَطْنَافِ وَمَا تَبْقَى مِنْ غَصِينَاتِ الْكُرْمَةِ الْمَتْرَافِقَةِ مَعَ إِكْلِيلٍ بِالزَّخَارِفِ الْعَائِدَةِ إِلَى الْفَتْرَةِ الْمَمْتَدَّةِ مَا بَيْنَ الْقَرْنَيْنِ الْخَامِسِ وَالسَّادِسِ الْمِيلَادِيِّينَ، إِذْ يَوْجَدُ لَفَةً فِي قَاعِدَةِ الْوَرَقَةِ "كَاسْلُوبٍ مَنِهْجِيٍّ لِلنَّاحَتِ" (اللوحة. 29: 45). يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الْمَسْكَنَ رَقْم (2) عَائِداً إِلَى نَفْسِ الْحَقْبَةِ (الشكل. 24). إِنْ سَاكَفَ الْمَسْكَنَ رَقْم (4) غَيْرَ مَعْرُوفٍ التَّارِيخِ (اللوحة. 34: 73) إِلَّا أَنْ الْإِكْلِيلَ وَغَصِينَاتِ الْكُرْمَةِ تَشْبَهُ الْأَمْثَلَةَ الْعَائِدَةَ إِلَى الْحَقْبَةِ الْمَسِيحِيَّةِ، أَمَّا الْغُرْفَةُ (002) فِي الْمَسْكَنِ رَقْم (3) فَمِنْ الْمُنْطَقِيِّ أَنْ تَكُونَ عَائِدَةً إِلَى حَقْبَةٍ سَابِقَةٍ (القرن الثالث الميلادي ربما) بِسَبَبِ وَجُودِ تَصْوِيرٍ لِلتَّمَثَالِ النِّصْفِيِّ لِهَارْبُوقَرَاطٍ وَبِسَبَبِ طَرِيقَةِ نَحْتِ الْأَكَالِيلِ (اللوحة. 34: 72 واللوحة. 46: 166) الَّتِي تَشْبَهُ تِلْكَ الْمَوْجُودَةَ فِي مَسَاكِنِ انْخَلِ. رُبَّمَا تَكُونُ طُغْرَاءُ الْمَسِيحِ الْمَوْجُودَةُ عَلَى سَاكَفِ وَاجِهَةِ الْمَسْكَنِ رَقْم (1) فِي كَفَرِ شَمْسٍ (اللوحة. 38: 110) مَنَحُوتَةً ثَانِيَةً لِأَنَّهَا غَائِرَةٌ مُقَارَنَةً مَعَ سَطْحِ السَّاكَفِ وَكَذَلِكَ نَقَشَ "اللَّهُ أَحَدٌ" الْمَوْجُودَ عَلَى بَطْنِيَّةِ الْقَوْسِ الدَّاخِلِيِّ (الشكل. 34).

يَعُودُ الْمَسْكَنَانِ رَقْم (2) وَرَقْم (3) إِلَى الْحَقْبَةِ الْمَسِيحِيَّةِ بَيْنَ الْقَرْنَيْنِ الْخَامِسِ وَالسَّادِسِ الْمِيلَادِيِّينَ ذَلِكَ بِنَاءٍ عَلَى زَخْرَفَةِ الْأُرُوقَةِ (اللوحة. 24: 6 إِلَى 8 وَ11 وَ12).
الْعُنَاصِرُ الزَّخْرَفِيُّ قَلِيلَةٌ جَدًّا وَمَتَشَابِهَةٌ فِي مَسَاكِنٍ مَعْرَبًا وَبَسَاطَتُهَا تَشْكَلُ صُعُوبَةً فِي تَحْدِيدِ تَارِيخِهَا.

يَعُودُ الْمَسْكَنَ رَقْم (1) فِي مَحَبَّةِ الْغَنِيِّ بِالزَّخْرَفَةِ رُبَّمَا لِلْحَقْبَةِ الْمَسِيحِيَّةِ لِلْقَرْنِ الْخَامِسِ أَوْ الْقَرْنِ السَّادِسِ الْمِيلَادِيِّ. يُشَاهَدُ عَلَى زَخَارِفِ غَصِينَاتِ الْكُرْمَةِ الْمَوْجُودَةِ فِيهِ نَفْسَ التَّفَاقَاتِ الْغَصِينَاتِ الْمَوْجُودَةِ فِي الْمَسْكَنِ رَقْم (1) فِي كَفَرِ نَاسِجٍ. إِنْ الْمَسْكَنَ رَقْم (3) غَنِيٌّ أَيْضًا بِزَخَارِفِ تَنْتَمِي إِلَى مَجْمُوعَةٍ تَعُودُ إِلَى الْحَقْبَةِ الْمَسِيحِيَّةِ (القرن الرابع أَوْ القرن الخامس الميلادي). يَوْجَدُ فِي الْمَسَاكِنِ رَقْم (2 وَ7 وَ11 وَ12 وَ14 وَ16 وَ19) صُلْبَانِ بَارِزَةٍ أَوْ زَخَارِفِ بِأَسْلُوبٍ يَعُودُ لِلْحَقْبَةِ الْمَسِيحِيَّةِ الْأُولَى⁹⁶.

فِي نَوَى، كَانَ سَاكَفُ بَابِ وَاجِهَةِ الْقَاعَةِ (005) فِي الْمَسْكَنِ رَقْم (2) مَزَخْرَفًا بِكُرْمَةٍ لَهَا نَفْسُ التَّفَاقَاتِ تِلْكَ الْمَوْجُودَةِ فِي الْمَسْكَنِ رَقْم (1) فِي كَفَرِ نَاسِجٍ وَمَحَبَّةٌ وَتَنْتَمِي الْأَكَالِيلُ لَزَخَارِفِ تَعُودُ لِلْفَتْرَةِ الْمَمْتَدَّةِ بَيْنَ الْقَرْنَيْنِ الرَّابِعِ وَالْخَامِسِ الْمِيلَادِيِّينَ. يُمْكِنُ إِرْجَاعُ تَارِيخِ الْمَسْكَنِ رَقْم (8) إِلَى الْقَرْنِ

⁹⁶ Gregg, R.C/Urman, D: *Pagans and Christians in the Golan Heights*, South Florida studies in the history of Judaism 140, University of south Florida, 1996, P. 120.

الخامس دون شك بسبب المظاهر المختلفة لزخرفته وخاصة المربعات المتراكبة الموجودة داخل إكليل من الصليب المعقوفة (اللوحة. 26: 28) والقريبة جداً من الزخارف الموجودة على واجهة كنيس كانف الموجود في الجولان قريباً من نوى. يمكن تصنيف زخرفة المسكن رقم (9) (بيت الجهماني) ضمن مجموعات متأخرة نظراً إلى طريقة نحت إكليل وغصينات السقف (الشكل. 33). وفقاً لمعايير أسلوبية، يلاحظ أن عدداً قليلاً جداً من المساكن يمكن إرجاعه إلى القرن الثالث الميلادي على الأقل بحالتها الأصلية، بينما لا يحمل أي منها خواص زخرفية سابقة للحقبة السيفريوسية. على العكس من ذلك، يمكن إرجاع الغالبية العظمى منها* إلى الفترة الممتدة بين القرنين الرابع والسادس الميلاديين.

* والتي يحمل بعضها دلالات مسيحية أصلية.

الفصل الرابع: دراسة حالات خاصة:

4.1 بيت عمر في قرية عمرة:

تقع قرية عمرة على سفح جبل العرب في منتصف الطريق القديم الواصل بين أم الزيتون وشقّا (اللوحة. 47 أ)، وعلى الرغم من غنى الموقع بالآثار لم يهتم به سوى قلة قليلة من الرحالة. يضم التجمع السكني الذي تبلغ أبعاده 230×220 م تقريباً خمسة عشر مسكناً وكنيسة مكرسة للقدّيس جورج بالإضافة إلى عدد من الأبنية القديمة كالمعبد المؤلف من قاعة بازليكية* الشكل ومن مشكاة كبيرة ورواق وكذلك المسكن الجميل الواقع على الطرف الشمالي للقرية (اللوحة. 47 ب). يتميز المسكن بحالة حفظه الجيدة وترتيبه وقد ظل مأهولاً دون أن تطرأ عليه تغييرات كثيرة منذ مرور بانك (W.J.Bankes) عليه (1816 م). تشغل الأبنية الغربية والجنوبية منه عائلة من سلالة الشيخ عقل بينما يشغل الجناح الشمالي من المسكن فرع آخر من العائلة. بالإضافة إلى حالة حفظه الجيدة، يتصف المسكن بصفات أخرى فهناك جزء منه يحتوي على برج وعلى حيزات مميزة وعلى إصطبلات مستقلة ونظام تنقل يربط بين الاثنين، أي أننا أمام تنظيم داخلي أكثر تعقيداً من المعتاد⁹⁷. يستحق هذا المسكن أن يُدرس دراسة تفصيلية لمعرفة وظيفته نتيجة خصوصيته بين مساكن سورية الجنوبية الكبيرة، سيّما أن الوثيقة الوحيدة المتوفرة عنه والتي نشرها ميليكور دو فوغي (Melchior de vogué) تتخللها الأخطاء.

يشغل بيت عمر مساحة كلية تقدر بـ 840 متر مربع، وكان يؤلف واحداً من أهم المساكن القديمة في قرية عمرة حيث تتواجد بيوت أخرى لا تتجاوز مساحتها الـ 300 إلى 400 متر مربع (اللوحة. 47 ب). مع ذلك فهو يعتبر مسكناً صغيراً مقارنة مع مساكن البثنية التي تتجاوز مساحتها عادة الـ 1000 متر مربع.

يتألف بيت عقل عمر من قسمين متمايزين بوضوح بعكس الترتيب المعتاد للمساكن القديمة في سورية الجنوبية. كان مألوفاً أن تتوضع الغرف وقاعات الاستقبال المخصصة للحياة الخاصة أو الحيزات المكرّسة للنشاطات الاقتصادية أو للحيوانات حول نفس الفناء. أما هنا فقد انتظمت الأبنية

* قاعة مستطيلة الشكل بأبعاد كبيرة، تنتهي بحنية.

⁹⁷ Bodo, Ph/Clauss-Balty, P: Une maison antique à Amrah de Melchior de vogué à nos jours, *Syria*, 2009 P. 233.

الحاوية على غرف المعيشة والاستقبال حول فناء، في حين فصل البناء المخصص للحيوانات في الخلف وزود بمدخل مستقل (اللوحة. 48 واللوحة. 49).

شُيّد بيت عقل كما هو حال كل أبنية حوران من البازلت بجدران مضاعفة وسقوف من البلاطات الحجرية. تُظهر كل الأقسام القديمة إتقاناً في البناء، فالواجهات مؤلفة من صفوف متجانسة من الحجارة رباعية الزوايا وحجارة الجدران الخارجية ناتئة بينما حجارة أطر الأبواب والنوافذ منحوتة بإتقان أكبر وسطوحها مستدقة. حُسّن المظهر الأكثر خشونة للجدران المبنية من حجارة غير متقنة الصقل في الداخل بإضافة طبقة من طلاء لم يبقَ له أي أثر مرئي.

بلاطات السقف الحجرية مصفوفة إلى جانب بعضها البعض ويتوقف إتقانها على طبيعة الحيز المراد سقفه، فهي غير متقنة في الحيزات المخصصة للعمل أو للتخزين بينما تكون مزخرفة في غرف الاستقبال الفخمة وغرف المعيشة، كما أن بروفيلات الأطناف مختلفة أيضاً فهي على شكل تضليع مستقيم في غرف الاستقبال بينما تكون على شكل صافرة أو على شكل ربع دائرة في الغرف الأخرى.

يتميز بيت عقل عَمَر في قرية عمرة عن الكثير من المساكن جنوب سورية بتجانس تقنيات ومواد بنائه، وهذا دليل على أنه يعود لفترة سابقة للحقبة البيزنطية التي تتميز أبنيتها بالعناصر المعمارية المعاد استخدامها منهجياً⁹⁸.

4.1.1 وصف الصرح:

4.1.1.1 المسكن عَمَر:

يمثل هذا المسكن القسم الشرقي من المجمع السكني ويشغل سطحاً شبه مربع طول ضلعه 24 م ومساحته 576 متر مربع، وهو يتألف من ثلاثة أجنحة متوضعة على شكل حرف (U) حول فناء تبلغ أبعاده أصلاً 10,5×9,5 م، أي أن مساحته تبلغ 100 متر مربع تقريباً وهو مسور بحائط مزود بمدخل في طرفه الشرقي. تَسمح الحجارة المحفوظة فوق واجهة البرج الواقعة على الطرف الشرقي للجناح الشمالي بتقدير ارتفاع هذا الجدار بحوالي 4,60 م (اللوحة. 48 و 49 و 50). تم تكبير الفناء ربما في نفس الوقت الذي تم فيه بناء ردهة (009) شرقي البرج. كان للردهة باب بمصراعين بعرض 1,25 م من جهة الشارع وكانت مفتوحة نحو الداخل بواسطة كوة مقوّسة.

⁹⁸ Bodo, Ph/Clauss-Balty, P: 2009, P. 234.

تبلغ أبعاد البرج الذي ما يزال محفوظاً أيضاً 3,8×4,6 م، وهو لم يحم قط أكثر من ثلاثة طوابق يتم الوصول إليها عبر درج (007،008) يسمح أيضاً بالوصول إلى سقف على شكل تراس في الجناح الشمالي. بطبيعة الحال كان مدخل البرج متواجداً على شكل باب صغير من جهة الفناء عرضه 70 سم فقط وارتفاعه 1,4 م، ويدل النجران* الكبير الذي يبلغ قطره 20 سم على وجود مصراع من البازلت.

كان يتم الدخول إلى غرف وقاعات المسكن الأرضية من نفس المستوى من الفناء المبلط كما هو الحال في الطابق الأرضي للبرج، باستثناء قاعة القوس في الجناح الغربي التي كانت أعلى من غيرها من الغرف بحوالي 1 م وبالتالي كان يتم الدخول إليها عبر درج مؤلف من خمس درجات (اللوحة. 50). هذه القاعة واسعة تبلغ أبعادها 6,70 × 7,20 م وارتفاعها 6,90 م، وتنتيرها ثلاث نوافذ مستطيلة متوضعة فوق المدخل (اللوحة. 51 أ واللوحة. 52 أ)، أما الباب المفضي إليها فهو كبير بشكل ملفت للانتباه (عرضه وارتفاعه 6,9 م). يركز السقف المصنوع من بلاطات مزخرفة ومرتصة بإتقان ومن أطراف بروفيلا على شكل تضليع مستقيم على قوس داعم كبير مزخرف بزخرفة ناتئة على وجهيه. يستند القوس بدوره على أعمدة داعمة بارتفاع 2 م (اللوحة. 52 ب وج). كانت هذه القاعة متصلة بقاعتين إضافيتين شمالاً (019 و 020) وبغرفة جنوباً (003) مستواها أخفض بـ 1,10 م. لا بد أن التنقل من مستوى إلى آخر كان يتم عبر درجات تتقدم الباب وتمتد جزئياً على أرضية قاعة القوس، وهو ترتيب لم يعد مرئياً اليوم إذ سُدَّت الفتحات الثلاثة وأعيد تغطية الأرضية بصبّة من الباطون⁹⁹.

شمالاً، كانت القاعتان 019 و 020 متساويتي الأبعاد لكن بمظهرين مختلفين (اللوحة. 48 و 49) فالقاعة الغربية كان فيها حَجَلَة (اللوحة. 53 ج)، بينما كانت الثانية مسقوفة ببلاطات بازلتية ترتكز بدورها على أطراف بروفيلا على شكل تضليع مستقيم. احتوى الجناح الشمالي على قاعة ثالثة بنفس الحجم (021) لا يمكن الدخول إليها إلا عبر الفناء، إلا أنه لم يبقَ شيئاً من سقفها الأصلي والشيء الوحيد الذي يُميّزها هو وجود ركنة ضمن سماكة الجدار المجاور للمدخل المفضي إلى الفناء كما هو حالها عادة في مساكن سورية الجنوبية.

* مكان مجوف تدخل فيه آلة متحركة.

⁹⁹ Mascle, J: *Le Djebel druze, les lettres françaises*, 1994, Beyrouth, P. 119.

جنوباً ارتبطت قاعة القوس (002) بغرفة صغيرة (003) أخفض منها بأكثر من 1 م كانت ربما حجيرة يمكن الدخول إليها أيضاً من الفناء ولكنها كانت أيضاً ممر إجباري للدخول إلى غرفة الحَجلة (004) وهي في مستوى أعلى كما هو حال القاعة (002) (اللوحة. 54 و55)، هذه الغرفة (003) التي تبلغ أبعادها 2,7×3,5 م مسقوفة ببلاطات مملطة ومتراصفة ترتكز على أطراف على شكل صافرات وتحتوي على ركنة مشابهة لتلك الموجودة في القاعة (021) (اللوحة. 53 د).

لا يعتبر تجاور قاعة القوس وغرفة الحَجلة أمراً مفاجئاً، أما الأمر الغير اعتيادي في هذا المسكن فهو التسلسل الهرمي لأبعاد الحيزات وعدم وجود مداخل لبعض الغرف عبر الفناء وعلو بعض الغرف عن مستوى بعضها الآخر.

تُشكل قاعة القوس (002) والغرف الملحقة بها الوحدة الأساسية في المسكن، ألحق بها مجمع آخر يقع في الطابق الأرضي للجناح المتوسط يتألف من غرفة حَجلة (005) وقاعة قوس (006) متصلتان مع بعضهما ويمكن الدخول إليهما من الفناء وفق مستوى واحد (اللوحة. 48 و49). بُنيت غرفة الحَجلة بشكل منحرف قليلاً لأن بيت عمر أسند إلى بناء أكثر قدماً. قاعة القوس مضررة بشدة نتيجة توسيع سبب هدم جدارها الشرقي أما أبعادها الأصلية فكانت تعادل حوالي 4,8×4,6 م وارتفاعها 4,3 م أي أنها أصغر من القاعة (002). تشير بعض التفاصيل الأخرى إلى قلة أهمية المكان، فالمدخل صغير لا يتجاوز عرضه الـ 1,17 م وارتفاعه الـ 1,76 م ولا يوجد نوافذ باستثناء شِراعة ضيقة فوق الباب والقوس غير مزخرف وبلاطات السقف مستندة على أطراف منحوتة على شكل صافرات. في الجهة الغربية، كان هناك باب يفضي إلى غرفة حَجلة (005) أصغر حجماً من الغرفة (004) ولكنها مشابهة لها بترتيبها باستثناء المشكاة المتوضعة فوق الحائط الأساسي والتي هي هنا على شكل قبة ربع كروية (اللوحة. 53 أ و ب).

البناء الجنوبي هو الوحيد فقط الذي كان فيه طابق ثانٍ وقد بقي من عناصره ما يكفي لإعادة ترتيبه كما كان (اللوحة. 56 أ). يحتوي هذا الطابق على ثلاث غرف (الغرف 206 و205 و217) تأخذ نفس ترتيب الطابق الأرضي وتقع أبوابها في الواجهة ويمكن الوصول إلى هذه الغرف عبر رواق¹⁰⁰. لابد أن الحيز (217) الذي لا يتجاوز عرضه الـ 1,8 م كان عبارة عن ردهة تخدم غرفة أكثر اتساعاً متوضعة فوق الغرف (003) و(004) و(117 أ). كان سقف هذه الأخيرة مسنود على قوس يستند بدوره على جدار من جدران الطابق الأدنى، كما أنها تحتوي على نافذة محفوظة في الواجهة للإنارة.

¹⁰⁰ Bodo, Ph/Clauss-Balty, P: 2009, P. 237.

كل ما تبقى من الرواق الذي كان يخدم هذا الطابق العلوي هو عبارة عن مدماك مستمر من البلاطات المكسورة في الواجهة. لابد أن الدخول إلى ذلك الطابق كان يتم عبر درج أدمجت درجاته ضمن جدار سور الفناء. يُشاهد في واجهة الجناحين الغربي والشمالي على ارتفاع الممر الجنوبي تقريباً صفوف من الأطناف على شكل صافرات (اللوحة. 58 أ و ب) تتوافق مع سقف رواق بأعمدة لم تكن وظيفته تأمين الوصول إلى الطابق العلوي وإنما حماية مداخل قاعات الطابق الأرضي من الشمس ومن الأحوال الجوية السيئة.

- الإصطبلات الملحقة:

يضم الجناح المتوسط بالإضافة إلى غرفة الحَجلة وقاعة القوس رواق على شكل حرف (L) (017) يوجد مدخله الذي يبلغ عرضه 1,05 م في الزاوية الجنوبية الغربية من الفناء (اللوحة. 48 و 56). يوجد فوق الجدار الأساسي درج صغير يصل عرضه إلى 54 سم يخدم غرفتين في طابق علوي صغير (117 أ و 117 ب). كان يوجد عند منعطف الرواق باب بعرض 0,82 م يفصل جزئيه عن بعضهما وبإغلاقه يتم عزل المسكن عن ملحقاته، إذ يوجد في نهاية الرواق ردهة صغيرة (016) (أبعادها 3×2,3 م) يمكن الدخول عبرها إلى ملحقات بيت عَمَر التي كان من الممكن اعتبارها غير تابعة له لو لم يكن هذا الرواق يربطها مباشرة بالمسكن. كانت الردهة الصغيرة (016) مزودة بفتحات تتواجد على ثلاثة جوانب وهي عبارة عن باب بعرض 0,92 م كان مفتوحاً غرباً على الإصطبل (013) وكوة مستطيلة بعرض 1,37 م في الجهة الشرقية تتوافق مع بداية الرواق (017) وكوة مقوسة بعرض 2,6 م في الجهة الجنوبية كانت تطل على خارج المسكن وما يثير الغرابة أنه لم يكن لها أي نظام للإغلاق وهي مسدودة اليوم¹⁰¹.

كان ملحق بيت عَمَر يضم وحدة بناء كاملة تتميز ببن العمارة السكنية للمنطقة وتتألف من قاعة واسعة وعالية يجاورها من ثلاثة جوانب غرف منظمة ضمن طابقين يتقدمها على الأرجح فناء (اللوحة. 49). هناك باب كبير بعرض 2,22 م وارتفاع يتجاوز الـ 2,6 م بقليل مؤطر بركائز (اللوحة. 56 ب) يفضي إلى حيّز واسع تبلغ أبعاده 7,7×5,8 م ولا بد أن ارتفاعه كان يتجاوز الـ 5 م (011). كان السقف المصنوع من البلاطات مرتكزاً على أطناف ربع دائرية وعلى قوسين مستعرضين، كما أن هناك أبواب دون أطر بعرض 1 م تفضي من القاعة الكبيرة إلى ثلاثة إصطبلات مزودة بمجملها بـ 13 معلف (012 و 013 و 014). يوجد في الزاوية الجنوبية الغربية باب مؤطر بعرض 83 سم يفضي إلى ركنة. لم يكن أي من تلك الإصطبلات مفتوحاً إلى الخارج

¹⁰¹ Bodo, Ph/Clauss-Balty, P: 2009, P. 236.

باستثناء الجنوبي (013) الذي يحوي باباً بعرض 95 سم يفضي إلى الشارع وباباً آخر يفضي إلى الردهة (016) (اللوحة. 57)، أما الدخول إلى طابق الإصطبلات العلوي فكان يتم عبر أبواب عالية مؤطرة بإطارات مثلمة ويتقدمها صحن أدراج.

4.1.1.2 وظيفة بيت عمر:

يسمح تجانس تقنيات البناء والمواد والتركيب البنيوي في اعتبار بيت عمر كبيت من الحقبة الامبراطورية (14-193 م) تقل مساحته عن 1000 متر مربع (290+550 متر مربع)، وما يميزه هو ترتيبه غير الاعتيادي الذي يفصل بوضوح الأقسام المخصصة للحيوانات عن غرف المعيشة والاستقبال وكذلك برفع القاعات ذات الأهمية الخاصة عن المستوى العادي وبوجود ثلاث غرف حجلة وبرج. كل هذه الصفات تدفع للاعتقاد بأنه مسكن مزارع غني ويبقى أن نفهم ما هي وظيفة هذا المسكن وما طبيعة مالكه

4.1.1.2.1 تحديد ميليكور دو فوغي (Melchior de vogué) للحيّزات المختلفة:

ميليكور دو فوغي (Melchior de vogué) الذي زار الموقع في عام 1862 هو الوحيد الذي درس بيت عمر دراسة تفصيلية إذ كان يعتبره بيتاً من بيوت الطبقة الراقية للسكان المعاصرين للامبراطورية الرومانية، كما حاول أن يحدد وظيفة الأقسام المختلفة المرسومة على المخطط المرمم الذي نشره (اللوحة. 58). وفق هذا المخطط وبعد اجتياز مدخل الفناء كان يفترض أن يوجد في طابق البرج الأرضي حجرة البواب (007)، أما الطابق الأرضي فمن المفترض أن يضم ثلاث شقق تحتوي كل واحدة منها على غرفة نوم مع غرفة محاطة بخزائن (019+020 و 002+004 و 005+006). حدّد الكاتب أيضاً القاعة (021) المجاورة للبرج على أنها هوسبيتيوم أي غرفة مخصصة دون شك لاستقبال الغرباء. فُسِّرَت الغرفة المستطيلة التي أضافها ميليكور على مخطظه دون أن تكون موجودة في الواقع بين وحدة السكن والإصطبلات على أنها رواق مرتبط بردهة مفتوحة (016) ومزود بباب (كان يسمح بإدخال الرزم والخدم والموردين للمؤن). يفترض لهذا الرواق أن يخدم غرف هي دون شك مخصصة للطبخ والخدمات الداخلية المختلفة. كان يعلو الإصطبلات طابق ثانٍ مع غرف صغيرة للخدم والعبيد. الشقق الأخرى التي كان يتم الدخول إليها بواسطة درج الرواق (017 ب)، والتي يفترض أن يكون معتنى بها بشكل أكبر، هي دون شك مخصصة للنساء (حسب فوغي)، أما القاعة الكبيرة (002) فهي تتوافق مع الأوكوس.*

* غرفة مشتركة حيث تُعقد الاجتماعات العائلية والولائم وحيث تمارس واجبات الضيافة.

هذا التفسير غير خاطئ مع ذلك فهو لا يخلو من التخمين والتعميم الذي لا يؤكد وظيفة بيت عمر.

4.1.1.2.2 اقتراحات جديدة للتفسير:

أ- المدخل والفناء:

مخطط البيت الكلي وترتيبه أقرب إلى المسكن اليوناني (Oikia) منه إلى المسكن الروماني (Domus) مع أبنية منتظمة حول فناء وحيد مربع عملياً¹⁰².

معظم الغرف في مساكن سورية الجنوبية التقليدية لها مدخل من الفناء وهو تنظيم يفسر أبعاد الفناء الكبيرة مقارنة مع البناء المحيط به. الفناء هو عنصر أساسي في المسكن الريفي الحوراني وفي كثير من مساكن مناطق العالم المتوسطي فهو مكان مرور إجباري ومصدر وحيد للضوء. يبدو أن مدخل فناء بيت عمر كان في الأصل بسيط ومحوري والبرج ثلاثي الطوابق المطل عليه موجود سابقاً حُسّن بعد ذلك بإضافة ردهة لينتج ترتيب على شكل الحربة، وهو ترتيب يوناني أكثر منه روماني. كانت هذا الردهة مفتوحة على الداخل ومفتقرة إلى حجرة البواب إذ أن مكان الحراسة كان قريباً جداً منها في الطابق الأرضي من البرج. كان بإمكان الحارس المتمركز في الغرفة (008) مراقبة أولئك الذين يدخلون إلى الردهة (009) عبر فتحة صغيرة على شكل معّين على مستوى ارتفاع الوجه، وبصعوده درج البرج الداخلي كان بإمكانه الدخول إلى تراس الجناح الشمالي للمراقبة بعيداً أو لمراقبة منافذ المسكن المباشرة.

لابد من أن نظام المراقبة هذا له علاقة بموقع المسكن في محيط القرية على جانب الطريق الواصل بين أم الزيتون وشقاً وكذلك ربما مع طبيعة عمل مالكة الذي كان عليه أن يستقبل عدد كبير من الزوار وهو حتماً المكان الذي كان البواب يمارس عمله فيه كما اقترح ميليكور دو فوغي. كان يحد الفناء من الطرفين أروقة متوضعة على نفس الارتفاع لحماية مداخل غرف وقاعات الجناح الشمالي والغربي من الشمس والمطر. لم يكن الجانب الشرقي بحاجة لرواق لأنه بني بالاعتماد على جدار سور الفناء، واحتوى البناء الجنوبي على ممر للدخول إلى غرف الطابق العلوي. يشير توزيع الأروقة دون شك إلى اختلاف مكانة الأبنية الشمالية والغربية والأبنية الجنوبية. كان يمكن الدخول إلى ثمان غرف وقاعات مختلفة مباشرة عبر الفناء ثلاث منها مفتوحة على حيزات ثانوية وغرف حجلة وممر.

¹⁰² Chamonard, J: *Exploration archéologique de Délols*, Paris, 1922, P. 174.

ب- القاعة الرئيسية وملحقاتها:

يشير المخطط والترتيب العام للحيزّات إلى وجود تجمعين أساسيين للغرف، تلك المنتظمة حول القاعة الكبيرة (002)، وتلك الموجودة داخل المبنى الجنوبي. بالإضافة إلى مستواها المرتفع عن باقي الغرف كما ذكرنا تتميز القاعة (002) بأنها قاعة محورية تقع قُبالة مدخل الفناء هذا بالإضافة إلى غناها بالزخرفة.

تشابه الغرفتان (003) و(020) فكل منهما باب يصلها بالقاعة (002)، وباب مفتوح على الفناء، وباب آخر يقود إلى غرفة الحَجلة، أما الاختلاف الرئيسي بينهما فهو الأبعاد، فالغرفة (020) هي غرفة كبيرة نوعاً ما يمكن الدخول منها إلى قاعة الحَجلة (019) أما القاعة (003) فهي غرفة صغيرة تتقدم غرفة الحَجلة الصغيرة أيضاً (004). من جهة أخرى، فإن الغرفة (004) مرتفعة مثل القاعة (002) دون أن تكون متصلة بها مباشرة، وربما ليس لهذا الارتفاع أي معنى وإنما نتج ببساطة لأنه لم يكن بالإمكان بناء هذه الغرفة إلا فوق الممر (017)¹⁰³.

يُصادف هذا الجمع بين قاعة كبيرة وغرفة أو غرفتين مجانبتين لها في دورا أوروبوس منذ القرن الثالث ق.م على ما يبدو، على الرغم من صعوبة تمييز الوضع الذي كانت عليه المدينة السلوقية بين أبنية تعود إلى استيطان امتد عبر عدة قرون (الوحة. 59 ج).

تدعى القاعة الرئيسية التي تكون غالباً مستطيلة وحاوية على مقاعد على ثلاث من جوانبها تقليدياً باسم الديوان في اللغة المعمارية وهي تماثل الأندرون، ويبدو أن مصطلح الأندرون لم يكن يشير بالضرورة إلى تقسيم الحيز السكني وفقاً للجنس (الفصل بين الرجال والنساء)، ويمكن أنه كان ينطبق ليس فقط على القاعة الرئيسية ذات المقاعد وإنما أيضاً على مجمع يضم غرفة أو غرفتين إضافيتين. تُشبه القاعة (002) في مسكن عَمَر بموقعها المهيمن الديوان في مساكن دورا أوروبوس والأندرون المدمجة في مساكن أبدير أو بريين أو الأوكوس ماجور للمساكن الديلوسية حيث يعتبر إلحاقها بغرفة أو غرفتين من المعايير المحددة للقاعة الرئيسية. شكّلت القاعة (002) في مسكن عَمَر القاعة الفخمة التي كانت تستخدم ربما بحسب الحاجة للاستقبال أو للاجتماعات أو للولائم¹⁰⁴.

¹⁰³ Hoepfner, W/Schwandner, E.L.: *Haus und stadtim klassischen griechen land neubearbeitung*, Berlin 1994, P. 277-279.

¹⁰⁴ Saliou, C: *lois des bâtiments*, Byrouth, 1994, P. 94.

ج- القاعات الصغيرة:

على العكس مما سبق، فمن الصعب تحديد استخدام الغرف المشتركة، فالأبواب الثلاثة الموجودة في الغرف الملحقة (003) و(020) تجعل منها حيّزات للتنقل تماماً بعكس الغرف البعيدة (004) و(019) المزودتين بحِجْلَة. لا يبدو أن هذه الغرف هي غرف نوم كما اقترح ميليكور دو فوغي بسبب موقعها القريب جداً من قاعة الاستقبال الرئيسية، إنها بالأحرى غرف استقبال خاصة لم يكن بالإمكان الدخول إليها من دون دعوة أصحاب المسكن.

يمكن لهذه القاعات التي تتميز بزخرفتها وموقعها فوق الرواق المعمد مقارنة مع القاعة الرئيسية أو مع مدخل المسكن وبعده الأبواب والنوافذ أو بوجود المشاكي وبالمعايير المميّزة نسبة إلى السياق الخاص بكل مسكن، أن تكون بهو أو حجرات استقبال صغيرة أو مكاتب عمل ويمكن لصاحب المسكن أن يستقبل فيها أصدقاءه أو أن يستريح هو نفسه فيها.

بالإضافة إلى تواجد مبدأ القاعة التي يجاورها غرف جانبية في مساكن ديلوس وبريين وأبدير الهلنستية، فهو موجود أيضاً في مساكن تدمر وأفاميا وشهباء (اللوحة 60 ج ود وهـ) ومساكن إيطاليا الشمالية منذ القرن الأول الميلادي. مع ذلك لا يتقدم الغرف الجانبية في المساكن الرومانية أي بهو وهي مفتوحة مباشرة على الفناء.

يمكن تفسير مضاعفة هذا الزوج المؤلف من غرفة يتقدمها بهو بمستوى أقل وعزل غرفة الحِجْلَة الصغيرة (004) مقارنة مع القاعة (002) بأنه فصل محتمل بين الرجال والنساء في المجتمع الحوراني القديم ولكن ليس هناك أي دليل يثبت ذلك، وإن تحقق الأمر فعلياً فهو يدل على المكانة الهامة للمرأة، فقد خُصص لها مثل زوجها غرفة اجتماع وبهو صغير أو مكتب يتقدمه بهو، وهذا افتراض ولكن لن نجد ربما الدليل على صحته. تشكل القاعة (002) وغرفها الملحقة الجنوبية وحدة البناء المعمارية المميزة لعمارة جنوب سورية السكنية التي تحدثنا عنها تفصيلاً سابقاً. مع ذلك ومن وجهة نظر وظيفية فإن الغرف الوسطى (003) و(004) صغيرة بمقاييس مختلفة عن مقاييس القاعات الصغيرة الشمالية (019 و 020) ويجب أن تكون بالأحرى ملحقة بالجناح الجنوبي.

بالإضافة إلى قاعة القوس (021) الموجودة في المبنى الشمالي، يوجد في بيت عَمَر قاعة صغيرة ملحقة تشبه كثيراً بأبعادها القاعات (019) و(020)، وعلى الرغم من أنها متضررة بشدة فهي تحمل ميزة هامة إذ أنها لا تتصل بأي غرفة مجاورة لها وكان لها باب وحيد مفتوح على الفناء يحميهِ رواق الواجهة هذا مما يضفي عليها أهمية خاصة.

في مساكن دورا أوروبوس، من المفترض أن الغرفة الكبيرة الثانية المستطيلة المتعامدة مع الديوان كانت عبارة عن غرفة معيشة مخصصة للنساء¹⁰⁵ (اللوحة. 59 ج). بالانتقال إلى بيت عمر يمكن لهذه الغرفة المخصصة للنساء أن تتوافق مع القاعة (021)، وبما أنها لا تتصل بالحيّزات المجاورة لها، فهذا يعني أنه كان بإمكانها أن تضمن العزلة الضرورية لو لم تتواجد بهذا القرب من مدخل الفناء في مكان مرور بالضرورة.

في ديلوس، من الواضح أنه كان يتم تخصيص غرفة من الغرف التي توجد في مثل هذا المكان لسيّد المنزل (اللوحة. 59 د)، وهي هنا ربما ليست مضافة كما كان يعتقد ميليكور دو فوغي، إنها بالأحرى غرافيون أي مكتب للعمل. يُذكر موقعها القريب من مقر الحارس بترتيب المسكن المعروف باسم ديولاك (dulac) في ديلوس، وهي ملائمة لممارسة النشاطات المهنية أو المدنية بالإضافة إلى الحد من تنقل الغرباء في باقي أرجاء المسكن.

د- الوحدات العائلية:

يتميز الجناح الجنوبي عن باقي أقسام المسكن بأنه الوحيد الذي كان فيه طابق ثانٍ والذي لم يكن له رواق إذ كان يتم الدخول إلى غرف الطابق العلوي عبر ممر، وهو أيضاً المبنى الأبعد عن مدخل الفناء بمعزل قليلاً عن حيّزات الاستقبال التي يميزها الرواق المعمد.

يضم الطابق الأرضي في هذا الجناح الممر (017 أ وب) المذكور سابقاً وقاعة قوس (006) وغرفة الحجلة (005) الملحقة بها بالإضافة إلى الغرف (003) و(004). أما طابقه العلوي فيضم وحدة معمارية مؤلفة من قاعة قوس (206) مع غرفة ملحقة (205) وكذلك الممر (217) المفضي إلى قاعة قوس ثانية. يشبه هذا الجناح الثانوي الجناح المشاهد داخل بعض مساكن دورا أوروبوس وذلك بخلاف الجناح الرئيسي الموجود في المبنيين الغربي والشمالي. لا بد أن هذه الحيّزات متعلقة بالخدمة وبالحياة الخاصة وقد عرّفها شامونارد في مساكن ديلوس على أنها حيّزات عائلية.

يوجد في الطابق الأرضي للقسم الجنوبي من بيت عمر غرفة مخصصة للتخزين (018) وغرف مخصصة للخدم (117 أ وب) ومطبخ، ولا يعرف حتى اليوم وظيفة الغرف الحاوية على حجلة. من المعتاد رؤية مثل هذه الغرف داخل مساكن حوران الغنية ويتراوح عددها من غرفة إلى غرفتين وحتى ثلاث غرف بشكل أندر كما هو الحال في بيت عمر. أبعادها بشكل عام قريبة من أبعاد الغرف (004) و(005) وتتواجد في أغلب الأحيان بالقرب من قاعة القوس، ويمكن الدخول إليها مباشرة من

¹⁰⁵ Bodo, Ph/Clauss-Balty, P: 2009, P. 239.

الفناء. تُشكل قاعة الحَجلة (019) حالة استثنائية بسبب حجمها وموقعها وكذلك الغرفة (004) لكن فقط بسبب موقعها بينما تتبع الغرفة (005) الترتيبات المعتادة¹⁰⁶.

ناقش فرانسوا فيلنوف وظيفة هذه الغرف واقترح اعتبار الغرف الكبيرة والمتوسطة ذات الحَجلة كمكان للاستقبال بل مكان اجتماع، حيث كان يجلس سيّد المنزل مقابل القسم الأمامي للقاعة وحيث تكون حركة التنقل أكبر. بينما يمكن أن تكون غرفة الحَجلة الصغيرة غرفة نوم فخمة، ويمكن أنه تم اقتباس نموذجها من المدينة، إلا أن وجود طابق علوي يدعو إلى الافتراض أن غرف النوم كانت موجودة فيه وأن الغرف (004) و(005) ما هي إلا حجرات صغيرة خاصة.

يصل الرواق (017) فناء بيت عَمَر بمدخل ثانٍ وبإسطبلات. يتألف هذا الرواق من كوع وباب ضيق ومن ثم ممر يفتقر إلى نظام إغلاق لينتهي بردهة (016) يتواجد في جهتها الجنوبية كوة مقوسة بعرض 2,62 م لا باب لها تفضي إلى الخارج. بما أنه لم يكن بالإمكان إغلاق المدخل إلا على مستوى كوع الرواق (017) فهذا يدعو إلى التفكير في سبب وجود باحة صغيرة يحصرها حائط عالٍ مازال بالإمكان مشاهدة آثار انتزاعه على واجهة الإسطبل الخلفية. لا بد أن هذا المدخل الثانوي كان مخصصاً للخدم كما أن سبق واقترح ميلكيور دو فوغي.

يوجد في بيت عَمَر تجهيز خاص يتكرر وجوده في ثلاثة أماكن مختلفة ألا وهي: القاعة (021) والغرفة (003) وغرفة الحَجلة (005)، وهو عبارة عن ركنة أبعادها متماثلة تقريباً موجودة ضمن سماكة الجدار بالقرب من المدخل ولها باب. تبلغ أبعاد ركنة الغرفة 003 (اللوحة. 60 د) 1,01×1,16 م وارتفاعها 1,80 م، بينما يبلغ عرض الفتحة ذات التلم (المرتفعة 30 سم فوق الأرض) 49 سم وارتفاعها 1,09 م. يوجد ضمن واحدة من دعائم الفتحة في مساكن أخرى في المنطقة وحتى في مساكن عَمرة ما يشبه الآنية الصغيرة المقعرة قليلاً في الأعلى والمحدبة على الوجه المرئي لإحدى كتل دعامة الإطار الحجرية على ارتفاع 1 إلى 1,5 م عن الأرض (الشكل. 35)، أما في بيت عَمَر، وكحالة استثنائية، لا توجد مثل هذه الأواني على إطار باب الركنة داخل الغرف وإنما في الخارج. كانت آنية القاعة (021) موجودة في الواجهة (اللوحة. 61) إلى جانب مدخل البرج.

لم يعد بالإمكان مشاهدة الآنية الصغيرة في بيت عَمَر بعد ما أجري فيه من إصلاحات حديثة، لكنها تكون عادة بارزة على الوجه الظاهر من كتلة حجرية تم تقويرها لتشكل حوضاً تبلغ أبعاده

¹⁰⁶ Balty, J.Ch: Notes sur l'habitation romaine, Byzantine et arabe d'Apamée, Rapport de synthèse, *colloque Apamée de Syrie, Bilan des recherche archéologique 1973-1978*, Bruxelles, 1989.P. 478.

40×20 سم تقريباً وعمقه 15 سم مع وجود مجرى رفيع يصل بين الآنية والحوض الموجود داخل الركنة (الشكل. 36). يشير وجود منفذ للقناة الصغيرة داخل الحوض إلى اتجاه انسياب السائل من الآنية إلى الحوض وليس العكس أي أن الآنية هي التي تغذي الحوض.

يعتقد أن هذه الأحواض عبارة عن مغاسل تتواجد في غرف صغيرة جداً مدخلها منخفض دائماً بشكل مثير للتعجب إذ يجب الانحناء للتمكن من الدخول إليها، وعلى العكس من ذلك يكون الحيّز الداخلي دائماً عالٍ كفاية بحيث يكون ممكناً الوقوف فيه بانتصاب.

تتواجد الأواني في بيت عمر في أماكن غير اعتيادية ربما ليتمكن الخدم من الوصول إليها ببسر أكبر وبالتالي لملي المغاسل بالمياه دون الاضطرار للدخول داخل الغرف الموجودة فيها. إذاً، كان ممكناً غسل الأيدي في مدخل القاعة الصغيرة التي كانت تخدم مكتب سيد المنزل ربما، وكذلك داخل غرفتي الحُجلة الموجودتين في القسم الخاص اللتين كانتا ربما عبارة عن حجرتي استقبال¹⁰⁷.

هـ- الإصطبلات:

كان يوجد خلف بيت عمر حيّزات مخصصة للحيوانات مع ثلاثة عشر معلف أي بمعدل أعلى من المعدل الوسطي في مساكن حوران دون أن يكون استثناء، وما يدهش حقاً هو واجهة هذا المبنى ذات الجدار المبنى بإتقان (اللوحة. 56 ب) مع وجود باب كبير وصف من الأطناف على شكل صافرات مما يتوافق مع وجود رواق معمد. يوجد في الداخل قاعة واسعة يجاورها ثلاث غرف مستطيلة فيها معالف تشبه المعالف المصادفة عادة في المنطقة (اللوحة. 49 و 50 ب و 57) وتتألف من كوات عرضها 0,80 م وارتفاعها 0,93 م وأحواض العلف التي كانت أطرافها مرتفعة بمقدار 0,6 م كحد أقصى عن الأرض. يمكن لمثل هذه الأبعاد أن تتلائم مع أبقار صغيرة الحجم أو مع بغال ولكن ليس مع أحصنة. مع ذلك، فإن صرحية الواجهة والأبعاد الكبيرة للقاعة المركزية هي أمور لا تتلائم مع نشاط متمثل بتربية الماشية التي تتطلب دمج مبانيها بفناء المسكن للتمكن من تأمين أفضل مراقبة. من جهة أخرى، وباستبعاد سور المسكن سمحت الإصطبلات أيضاً بترتيب الفناء بطريقة أكثر فخامة هذا ما يدل عليه ارتفاع وكبر باب القاعة الرئيسية. بناءً عليه، يمكن التخمين بأن هذه الإصطبلات كانت على الأغلب مخصصة لإيواء دواب الأشخاص القادمين لزيارة سيّد المنزل والذين يتوجهون فيما بعد راجلين باتجاه المدخل للدخول إلى الفناء.

دقة ترتيب بيت عمر في عمرة ملفت للانتباه إذا ما قورن مع مساكن سورية الجنوبية الأخرى، وما يميزه على وجه الخصوص وجود مجموعة مؤلفة من أربع قاعات كبيرة يتقدمها رواق معمد هي

¹⁰⁷ Bodo, Ph/Clauss-Balty, P: 2009, P. 241.

بمثابة حيّزات استقبال، وبعكس الترتيب الاعتيادي لم تكن الأقسام المتعلقة بالحياة الخاصة وبالخدمة متواجدة في الطابق العلوي فقط ولكنها جمعت في قسم الصرح المتوسط حيث يبدأ أيضاً رواق يصل بين مدخل ثانوي وإصطبلات.

لم يكن بيت عمر سوى مسكناً غنياً يملكه أحد النبلاء الريفيين الذي كان يمارس وظائفه الرسمية ربما في تجمع شقاً السكني المجاور الذي يبعد 5 كم فقط، وكان عليه أن يستقبل يومياً عدداً لا بأس به من الزبائن القادمين من القرى المجاورة القاطعين لعدد من الكيلومترات على ظهور الحمير أو البغال على الأغلب عارضين دعمهم له مقابل مساعدته المالية أو القانونية.

4.1.1.2.3 مقارنات مع ما نشره ميليكور دو فوغي (Melchior de vogué):

أبرز ميليكور أهمية هذا المسكن الموجود في قرية عمرة مباشرة ضمن ما نشره من مجموعة نصوص مصورة مخصصة لمعالم سورية القديمة. مازالت هذه المجموعة تعتبر مصدراً كبير الأهمية وذلك بسبب اختفاء بعض الصروح، إلا أن هناك بعض الرحالة الآخرين الذين استكشفوا المنطقة في القرن التاسع عشر وخاصة الإنكليزي و.ج.بانك (W.J.Bankes) في عامي 1816-1818. تعتبر اكتشافاته وأعماله المنشورة هامة أيضاً لمقارنة صروح المنطقة القديمة بسبب دقة توثيقها واحتمالات التقاطعات الجديدة التي تعرضها¹⁰⁸، وكذلك مخططه المتعلق ببيت عمر في عمرة (الشكل. 37) فعلى الرغم من أن هذا المخطط مختصر فهو يعكس في الواقع صفات الواجهات المحيطة بالفناء بأفضل صورة كما يشير إلى الوضع الحالي للبناء بشكل ممتاز، إلا أنه يحتوي على عدد كبير من الاختلافات مع رفع ميليكور دو فوغي (Melchior de vogué) الذي يظهر أيضاً اختلافات مع البنى المعمارية المحفوظة حالياً. نتجت هذه الاختلافات ربما عن مشاكل فهم على مستويات مختلفة، بعضها كبير جداً* لدرجة أنه يمنع من إدراك الوظيفة الكلية للمسكن، بينما بعضها الآخر ثانوي ولا يؤثر إلا على إدراك بعض الحيّزات.

إذاً، بيت عمر في قرية عمرة هو مثال واضح عن العمارة السكنية القديمة في جنوب سورية التي تعود بأصولها للعمارة السكنية في الحقبة الهلنستية (يعود بناؤه على الأرجح للقرن الثالث الميلادي) فهو لم يخضع لتعديلات في الحقبة البيزنطية وما تلاها من حقبات كان من شأنها أن تشوش ترتيبه الأصلي.

¹⁰⁸ Sartre-Fauriat, A: *Les voyages dans le Hauran*, Beyrouth, 2004, P. 126-127-167-168.

* كإضافة غرف وأبواب لم تكن موجودة أصلاً وإلغاء التدرج بين ارتفاعات الغرف.

مخطط البيت قريب من الشكل المربع وفناؤه مركزي وهذه الصفات تتصف بها بيوت الشرق الأدنى مع وجود الرواق المعمّد هنا. أما ما يميّز بيت عمّر عن الكثير من بيوت حوران فهو ترتيب غرف الاستقبال وتدرج ارتفاعها مقارنة مع غرف الحياة الخاصة ووجود برج حراسة وفصل بنى هامة مخصصة للحيوانات (إصطبلات) بعيداً عن السكن، هذا بالإضافة إلى موقعه المميّز على الحدود الشمالية الشرقية لقرية صغيرة بالقرب من الطريق الذي كان يصل بين أم الزيتون وشقّا تقريباً في منتصف الطريق بين هذين التخمين السكنيين.

اعتبر م. دو فوغي (Melchior de vogué) بيت عمّر أكثر البيوت تميزاً وكمالاً بين أكثر مساكن الحقبة الوثنية غنى في المنطقة وخصه بمخطط مقوم بشكل كبير. اعتمد ميليكور في تفكيره كثيراً على علوم الرياضيات والهندسة والقياس إلا أن الفروع والملاحظات الناتجة عن استكشافه لم تكن دقيقة كفاية¹⁰⁹.

¹⁰⁹ Choay, F: *L'allégorie du patrimoine*, Paris, 1992, P. 114-115.

4.2 دار مجرش في قرية محجة:

4.2.1 دراسة التنظيمات الحيزية والأنظمة المتبعة في البناء:

بدأت حملة توثيق المساكن القديمة لقرى جنوبي سورية منذ العام 2001 بإدارة باسكال كلوس-بالتى (Pascale Clauss-Balty) مع فريق من المهندسين المعماريين. أنجزت أعمال التوثيق خلال ثلاثة أعوام ضمن إطار البرنامج الأوروبي لتوثيق الإرث المعماري السوري. تم التعرف على المسكن رقم (1) في محجة وإعادة رفعه جزئياً خلال حملة أيار 2003، واستمرت دراسته خلال حملة 2004 لإتمام توثيقه (الواجهات والسقوف والمساقط العمودية الداخلية) وذلك بهدف إعداد مشروع لترميم الأقسام المهددة بالانهيار.

وقع الاختيار على هذا المسكن نظراً لنوعية عناصره القائمة وسلامتها وكذلك بسبب صغره مما يسهل ترميمه.

4.2.1.1 وصف المكان:

أ- تحديد الآثار (اللوحة. 62 و63):

يقع المسكن أسفل التل الذي تتمركز فوقه مجموعة من البقايا الأثرية والذي أصبحت قمته اليوم ملتقى طريقين أساسيين للقرية (اللوحة. 62 أ). يستند المسكن على الانحدار وينفتح على فناء يقع في الشمال. تقع الآثار المرئية داخل شبكة من أبنية أكثر حداثة (اللوحة. 62 ب و اللوحة. 64 و) مدمرة جزئياً في الجنوب وفي الشرق، وتتألف من قاعة القوس (002) تجاورها على الجوانب أربع غرف بنفس سوية الفناء (003 و 004 و 005 و 06) وأربع غرف في طابق متوسط (103 و 104 و 105 و 106) ومن قاعة قوس أخرى في طابق علوي (203)، أما الواجهة الغربية لهذه الأرباع الثلاثة (اللوحة. 64 ج-هـ) وواجهة قسم البناء العلوي الشرقية فقد تم إعادة بناؤها لاحقاً مع احترام المخطط الأصلي نوعاً ما.

ألق بهذا المجمع مجمع آخر مؤلف من غرفة قوس (008) تحيط بها معالف وغرف ملحقة غرباً وجنوباً (009 و 010) ومن قاعة طويلة (007) مقسمة بقوسين على استقامة واحدة ضاعفت الواجهة الشمالية لهذا المجمع، وهي ملحقات أضيفت لاحقاً ويمكن أن يكون عمرها أقل من 100 عام نظراً لنوعية البناء.

تقع قاعة القوس (002) ذات الحجم المكعب (طول ضلعه 6,8 م) في الطابق السفلي مع ثلاث غرف ملحقة بها (003 و 004 و 005). هناك غرفة رابعة (006) تقع في الجنوب الشرقي وهي

تختلف عن باقي الغرف بكل شيء، بارتفاع سقفها وكذلك بروفيلا أطنافها وارتفاع أرضيتها، وقد كانت مفتوحة* على حيز خارجي لمسكن آخر كانت تنتمي إليه. يمكن الدخول إلى هذه الغرفة من الغرفة (005) عبر الحائط الفاصل بينهما نتيجة تحطمه الجزئي. إن للغرفتين (003) و(005) المجاورتين للفناء مدخلان، مدخل عبر الفناء ومدخل عبر قاعة القوس، بينما لا يمكن الدخول إلى الغرفة الخلفية (004) إلا عبر القاعة الرئيسية¹¹⁰.

يتم الدخول إلى الغرفة الغربية (103) في الطابق المتوسط عبر باب في الواجهة الغربية للمبنى المعاد بناؤه حديثاً (اللوحة. 62 د و 64 هـ). يمكن التخمين أن هذا المدخل هو تقليد للمدخل الأصلي نظراً لاستحالة وضع باب في القسم الناقص من الواجهة الشمالية. تقضي الغرفة (103) بدورها إلى الغرفة (104) أما الغرفة الشرقية (105) فيتم الدخول إليها عبر باب ركب على حائط عُمّر في فترة لاحقة، وليس من الممكن تحديد فيما إذا كان هذا المدخل قد تم بناؤه مكان المدخل الأصلي. تنتمي الغرفة (106) إلى مسكن آخر غير المسكن رقم (1) كما هو حال الغرفة (006).

تحتل الغرفة (203) كل مساحة الجناح الغربي في الطابق العلوي، وقد دُعِمَ سقفها باستخدام قوس داعم وضع مكان جدار دعم للطوابق السفلية (اللوحة. 63 ب) ويتم الدخول إليها عبر ممر موجود في الواجهة الشمالية لم يبقَ من بلاطاته سوى قسمها المدمج (اللوحة. 62 جـ واللوحة. 65 ب). يوجد في الجانب الشرقي مخبأً أُعد ضمن سماكة حائط الفصل الداعم في قاعة القوس (اللوحة. 63 أ وجـ)، ولا بد أنه كان يستخدم لتخبئة الثروات وكذلك الأشخاص نظراً لوجود نقرة تعشيق مربعة طول ضلعها 12 سم لدرباز إغلاق موجود خلف الباب. سمح موقع الفتحة المفضية لهذا المخبأ وآثار جدار شرقي-غربي منزوع من مكانه بإعادة تحديد موقع غرفة في الطابق الثالث هي الغرفة (205). تعتبر قطعة البلاط المائلة والواقعة في الزاوية العليا للواجهة الشمالية الشرقية، والمشبّهة للبلاطات المُشكّلة للممر الواقع في الجزء المقابل للواجهة الشمالية، العنصر الوحيد من الممر الذي كان يخدم فتحة باب مازالت مرئية حتى اليوم (اللوحة. 65 ب واللوحة. 64 أ).

ب- اقتراح القيام بإصلاحات:

تسمح بعض العناصر في فهم وإعادة تحديد مكان المنافذ مباشرة، وذلك من خلال التغيرات الطارئة على المخطط من جهة والتي هي علامات التكيف مع محيط، وبفضل بعض الترتيبات المعمارية التي كانت ممتدة على طول أجزاء اختفت اليوم من جهة أخرى (اللوحة. 65 أ).

* عبر طاقة فوق الباب.

¹¹⁰ Clause-Balty, P: 2008, P. 106.

- التغيرات التي طرأت على المخطط وعلاقتها بالمحيط (الشكل. 38):

إن أهم تغييرين طرأاً على المخطط هما نتوء الكتلة الحاوية على الغرف (005 و 105 و 205) مقارنة مع مخطط الواجهة الشمالية من جهة، وانزياح محور قاعة القوس من جهة ثانية، وهذا ما توضحه السماكة الزائدة لجدار الدعم الشرقي، أما نتوء الكتلة فيفهم على أنه الحل الأبسط للحصول على أقل مساحة (8,70 متر مربع) للغرف المتناضدة (005 و 105 و 205)، نظراً لأن المكان الذي كان من المفترض أن يشغله بشكل طبيعي كانت تشغله جزئياً الغرفتان (006 و 106) الموجودتان أصلاً.

يُفسر انزياح محور قاعة القوس بحرص البنائين على تأمين أكبر امتداد طولي للواجهة الجنوبية بعد أن أخذوا بعين الاعتبار العناصر الموجودة أصلاً والتي كان من شأنها أن تحجب جزءاً من هذه الواجهة.

تُركت هذه العناصر المختلفة والتي يمكن إلحاق الغرفة (006) لها، أثراً سلبياً يمكن إدراكه من خلال النقص الحاصل في سماكة الحائط الجنوبي الواقع في الزاوية الجنوبية الشرقية على طول 2 م تقريباً. سمح هذا الانزياح إذاً بتأمين طول كافٍ لتكوين واجهة خلفية متناظرة، حتى ولو كانت أقصر من الواجهة السابقة (الشكل. 39). يُرى هذا الانزياح عند الدخول إلى قاعة القوس. بالإضافة إلى ذلك، شكّل هذا الانزياح مثلثاً بين الغرفتين (002 و 006) هذا مما أتاح المجال للحصول على خزانة كبيرة العمق في الطابق السفلي (اللوحة. 66 ب) وعلى مخبأ في الطابق الأخير على طول الحائط¹¹¹ (اللوحة. 63 أ وج).

يمكن تفسير التغيرات الطارئة على الغرف الملحقة الغربية بوجود حدود ملكية أو حائط (الشكل. 38) يسمح بدعم جدار الفصل الشرقي الغربي، ومن الممكن أن يكون سبب التراجع الواضح الحاصل في جزء من الواجهة الجنوبية هو طول بلاطات السقف المستخدمة في هذه الغرف.

- دلالات على القيام بإصلاحات:

بغض النظر عن العناصر الموجودة سابقاً والتي تميز البناء، يمكن وضع فرضيات عن الاتساع المباشر للآثار المرئية.

قبل كل شيء، هناك سلسلة من الأدلة التي تسمح بتخمين حدود الملكية. إن الواجهة الحالية للغرفة (005) موجودة أصلاً بارتفاعها الحالي (اللوحة. 65 أ الإشارة a واللوحة. 67 هـ) بينما يوجد على ارتفاع أعلى منها بناء أعيد بناؤه بطريقة رديئة. هناك أربع ملاحظات تفرض نفسها: الأولى هي أن

¹¹¹ Clause-Balty, P: 2008, P. 107.

الباب لا يعلوه طاقة، كما هو حال الأبواب المفضية إلى الخارج وإنما يعلوه قوس تفريغ حمولة كما هو حال الأبواب الداخلية، والثانية هي أن حجارة الجدار منحوتة بدقة وعناية حول الباب، بينما نحتها متوسط الجودة في المداميك المتوسطة فيه وهي خشنة في المدامكين العلويين اللذين ما يزالان موجودين، وهو ترتيب يشاهد أيضاً فيما يتعلق بالأبواب الثلاثة المفضية إلى الغرفة (002)، أما الملاحظة الثالثة فهي أن الحد الغربي لهذا الجدار بني وفق خط أفقي مستمر عملياً ومؤلف من ستة صفوف من المداميك. يلاحظ أخيراً أن الجدار الواقع في أقصى شرق البناء كان يمتد طولياً باتجاه الشمال. إذاً يمكن الاستنتاج أن الجزء المتراجع حالياً كان يمتد ضمن هيكل بناء آخر وأن الواجهة الحالية كانت داخلية ومن وجهة نظر بنائية، يبدو أنه تم رفع هذه الواجهة بعد بناء واجهتين جانبيتين. أعيد بناء الجدار الذي يحد المجموعة الغربية وهو يضم اليوم جزءاً من الحائط الأصلي (اللوحة. 65 أ الإشارة b واللوحة. 64 هـ). بقيت الزاوية الجنوبية الغربية من الغرفة (203) في القسم العلوي بينما لم يبقَ في الجزء السفلي إلا فناء طولاني محجوب جزئياً بجدار الإصطبل الذي يستند عليه. الملاحظة الأولى هي أن الجدار السفلي يمتد طولياً باتجاه الجنوب متجاوزاً الزاوية المتواجدة في الأعلى (اللوحة. 65 د الإشارة b2) وحتى ولم يكن ممكناً تحديد طول الجدار دون تنقيبات يمكن اعتبار أن هذا الجدار أعاد على الأقل دمج الحيزات المتبقية في الخلف والناجمة عن انزياح المخطط وعن تراجع أجزاء من الواجهة الجنوبية. مازال هناك على هذا الجدار، على مستوى الغرفة (004) نصف نافذة بدرابزين حجر (اللوحة. 65 أ الإشارة b واللوحة. 65 د الإشارة b1 واللوحة. 75 ب واللوحة. 64 هـ). هذا النوع من النوافذ موجود في أماكن أخرى أيضاً وتطل جميعها على حيز خارجي في المسكن.

رأينا أنه لم يكن بالإمكان الدخول إلى الغرف (103) و(104) إلا عبر الواجهة الغربية (اللوحة. 65 أ الإشارة c و e) والاحتمال القائم هو التالي: إما أن هذه الغرف كانت مرتبطة بنشاط لا يتطلب الدخول إلى المسكن، أو أنه كان بالإمكان الدخول إليها عبر غرفة أخرى وأنها كانت عبارة عن مخابئ أو مخازن. هذا ما شاهدناه في قاعات القوس التي تجاورها إصطبلات (اللوحة. 65 ج) والتي يعلوها غرف بنفس الأبعاد تُستخدم بشكل واضح لتخزين العلف ويمكن الوصول إليها عبر قاعة القوس باستخدام سلم. هذا يسمح باقتراح فرضية أخيرة عن هذه الغرف التي لم تبْن بالضرورة لتخزين العلف، إذ يمكن أنه تم دمجها ضمن بنية المسكن الرئيسية بسبب الافتقار لمكان لبنائها.

إن وجود نافذة بدرابزين مفتوحة على مكان خارج المسكن وغرف تخزين ضمن طابق مسروق يمكن الدخول إليها بالأحرى من سور المسكن بالإضافة إلى تشوه الجدار الفاصل بين الغرفتين

(103) و(104) كل ذلك يقود إلى اقتراح وجود جزء آخر من البناء يُغلق الفناء من جهته الغربية والذي لا يمكن أن يكون قد ارتبط بالجزء الذي مازال مرئياً حتى اليوم إلا عبر الغرفة (003) ¹¹² (اللوحة. 65 أ، الإشارة e).

يلفت تحديد موقع جناح بارز محتمل الانتباه إلى الحدود الغربية الحالية للحجارة البارزة في الواجهة الشمالية، فهي مرتبة وفق صفين عموديين في الجانب المعاد بناؤه في الزاوية، والحد الواقع في الجزء العلوي هو فقط الذي يضع بدقة عالية باب الدخول إلى الغرفة (204/203) على محور تناظر.

تُعتبر أنظمة الدخول مصدر آخر للحصول على المعلومات، فبالنسبة للغرف المسروقة الغربية يمكن أن الدخول كان يتم إليها من داخل قاعة مقابلة لها، أما في الجهة الشرقية فنحن أمام احتمالين: إما أن الدخول يتم من خارج المسكن أو أنه كان هناك مدخلاً في الواجهة الشمالية وهو غير موجود اليوم، وهو الافتراض الأكثر احتمالاً لأنه مكرر عن ترتيب طابق أرضي في جزء مختلف اليوم من البناء (اللوحة. 65 أ، الإشارة d).

مازال هناك آثار لمدخل مباشر لغرف الطابق العلوي، كما يوجد في الغرب كما في الشرق بلاطات ناتئة هي بقايا لممرات (اللوحة. 65 أ، الإشارتين f و g واللوحة. 65 ب واللوحة. 62 ج). يفترض أن يكون الممر الموجود في الجانب الغربي متصلاً بالدرجات الخمس المشاهدة حتى اليوم والواقعة في موضع متقلقل في قمة الواجهة، وما يثير الدهشة أنه لا يوجد درجات تسمح بتجاوز ارتفاع الـ 1,50م الواقعة بين الممر وبين أول درجة موجودة.

يوجد في الواجهة نقرتان بعد كل منها 10 سم وعمقها 8 سم، ربما كانت تستخدم لتركيب ركائز لتثبيت درجات أو سلم خشبي.

يمكن ربط عدة عناصر بالبلاطة البارزة في الجانب الشرقي: الجناح البارز الذي كان يتم عبره الدخول إلى الغرف (005) و(105) وربما (205) والجزء المتراجع من الزاوية العليا اليسرى للواجهة، والنقرتين المنتظمتين المحفورتين في الواجهة والواقعتين فوق بعضهما البعض عمودياً كما هو حال الممر الغربي ¹¹³.

إذاً لا بد أن هذه البلاطة توافق نهاية ممر كان يمتد على طول الجناح المقابل والذي يمكن أن يكون أيضاً مكان توضع سلم للدخول عبر الفناء. تثبت حقيقة أن الممر يمتد حتى داخل جزء متراجع من

¹¹² Clause-Balty, P: 2008, P. 108.

¹¹³ Clause-Balty, P: 2008, P. 108.

الواجهة الشمالية (اللوحة 63 ب)، بينما يتواجد الباب الأخير الذي يتم الدخول إليه من البناء الشرقي بعيداً عن هذه النقطة نسبياً، وجود علاقة مقصودة مع سطح قاعة القوس. لم يكن يعلو هذه الأخيرة قاعة قوس ثانية نظراً لميلان السقف 25 سم باتجاه الجنوب، وهذا ما تثبتته الأجزاء التي مازالت موجودة والتي تُشكّل الواجهات الخارجية للغرف (203) و(205). إذاً يفترض أننا أمام سقف له مدخلان ظاهران، إلا أن المشكلة تكمن في تحديد موضع الدرج الذي يسمح بالوصول إلى هذه الممرات العالية التي تقود إلى السطح. هناك ثلاثة احتمالات: إما أن الصعود كان يتم على طول الجناح الشرقي حتى الممر الذي كان يخدم غرف الطابق العلوي ليمتد بعد ذلك حتى السطح، أو أن الصعود كان يتم على طول الجناح الغربي المفترض والذي كان يخدم الغرفة (203) ومن ثم السطح بواسطة نظام متحرك أو أن طريقتي الصعود كانت متواجدة معاً. في حالة وجود الدرج الواحد فقط يصبح السقف مكاناً للعبور. يمكن للدلائل المشيرة إلى محيط مكثف جداً أن تثبت الفرضية الأخيرة فغياب المكان يعني أن ننتقل عبر السقف.

بناءً على ما سبق يمكن اقتراح الترميم التالي: (اللوحة 69) وحدة سكنية مؤلفة من جزء مركزي يحتوي قاعة قوس (002) يجاورها من الجانبين جناح شرقي بارز وجناح آخر في الغرب. لم يحدد بعد موقع الدرج الذي يقود إلى الممرات العليا، ولا يستبعد وجود درجين.

4.2.1.2 تقنيات البناء:

استدعى الاختصار على البازلت كمادة أولية للبناء إلى التفكير ملياً بالحلول المختلفة للنحت والتنفيذ سواء لإعداد فهرس دقيق أو للتمكن فيما بعد من استخلاص الخصائص التي تميز المنطقة¹¹⁴.

4.2.1.2.1 أقسام البناء الأساسية:

1- الجدران ومظهرها وطريقة بنائها:

يُقدم هذا المسكن عدة أنواع من الواجهات وعدة أنواع من الحجارة المنحوتة ابتداءً من البازلت ذي الحبات الناعمة وحتى البازلت الفقاعي، إلا أنه من الممكن عموماً تحديد الأحجار المرممة على النحو الآتي:

يمكن التمييز بين البازلت الفقاعي والبازلت الناعم بوضوح فالحجارة غير متجانسة، حتى أنه بالإمكان تمييز اختلاف النوعية على نفس الكتلة الحجرية أحياناً. هناك آثار ظاهرة للأدوات (أثلام وشقوق) على حجارة أطر النوافذ والأبواب ظهرت ربما أثناء تركيب هذه الأطر.

¹¹⁴ Braemer, F: Une tour en pierres sèches du Jebel Druz, note d'architecture, *Berytus* 32, 1984b, P. 191.

على الرغم من وجود بقايا طلاء كلسي بشكل محدود جداً في الداخل (سقف الغرفة 103)، فمن الصعب تأكيد أن كل الجدران كانت مطلية به (ليس هناك آثار واضحة في عناصر النحت). يبدو أن طلاء التبن الذي استخدم لطلاء هذه الغرف حتى وقت ليس بالبعيد محي كل الآثار القديمة، وما يدفع للتفكير بضرورة استخدام الطلاء هو إخفاء عيوب البناء*. تختلف نوعية الأحجار باختلاف إتقان تنفيذها وليس باختلاف مظهرها وذلك يعود بدوره إلى اختلاف الأشخاص الذين كانوا يقومون بنحت الحجر أو بالأحرى المعماريين.

إذاً قبل القيام بالترميمات يتوجب أن يؤخذ بعين الاعتبار أنواع الحجارة ومدى قساوتها ووزن الحجر وضرورة ترتيب الحجارة بإتقان وكذلك سرعة التنفيذ وتكلفة مواد البناء والعمل طبعاً. بقي القليل من الطلاء على الواجهة الشمالية على استقامة باب الدخول إلى الغرفة (205) في الخارج. يتألف الطلاء من ملاط مخلوط مع حبيبات من البازلت أبعادها تبلغ حوالي 5 ملم. لا يمكن التأكيد فيما إذا كان هذا الطلاء غير معروف المصدر يغطي كامل الواجهة بسبب اقتصره على مساحة محدودة جداً ولم يكن يوجد أي أثر له في الزوايا المخفية للعناصر المنحوتة.

- طريقة بناء الجدران:

للجدران وجهان مبنيان من الكتل الحجرية المثبتة باستخدام حصى تسد الفراغات، وهي تتوضع فوق بعضها البعض بشكل متعاقب وفق تقنية ترتيب المستطيل المتراجع، لكن نادراً ما تكون أوجه الجدران مترابطة إلا على استقامة الفتحات بانتظام عندما تشكل حجارة الفتحات عوارض. أكبر مساوئ طريقة التركيب هذه هو حصول اختلال بين هذه الأوجه في حالة الضعف أو في حالة تسرب المياه، هذا مما يسبب ربما سقوط أحد الوجهين بأكمله. أي يقتضي هذا النوع من البناء حماية دقيقة للقمة¹¹⁵.

يُظهر فحص زوايا القاعة الرئيسية والغرف الثانوية أن دعائم الزوايا غير متناسقة -مدمك من أصل ثلاثة- وأنها قليلة العمق (اللوحة 70 ب)، وهي لا ترتبط فعلياً بالجدران التي تخترقها وبالتالي فإن كل جدار مستقل تقريباً عن باقي الجدران. يوجد تحت السقوف كتل حجرية عرضانية مملطة بعناية تُشكل مدمك تثبيت لوضع الأطناف. من الواضح أن هذه الكتل أطول من الواجهات الحالية وتشكل نوع من الدعامة لقمة البناء، وأطناف الزوايا هي فقط التي تربط فعلياً بين الجدران. إن

* النحت السيء للحجارة وخاصة عند المفاصل واختلاف نوعية الحجارة بين الأقسام العلوية والسفلية للجدار بالإضافة إلى وجود بعض التجاويف.

¹¹⁵ Braemer, F: 1984, P. 195.

الانقطاع الحاصل بين المداميك من ارتفاع لآخر والروابط القليلة تدفع للاعتقاد أن الجدران رفعت بشكل مستقل الواحد عن الآخر، كما هو حال عضادات قوس القاعة (002) التي حُصرت بين جداري الفصل غير المترابطين للواجهات.

يُلاحظ على الوجهين الداخلي والخارجي استخدام حجارة مقورة النهايات للربط بين المداميك. يرتبط توزع هذه الحجارة بصعوبة نحت الحجارة (حول الفتحة الدائرية مثلاً) بالقرب من فتحتين (الربط بين المداميك) أو عندما يتعلق الأمر ربما بمواصلة البناء* (اللوحة. 70 ج).

بما أن أطر الفتحات متقنة بشكل أكبر والمداميك حولها أكثر ترابطاً، فهذا يؤكد تصميم هذه العناصر المعمارية بشكل مستقل عن البناء الجاري وإدماجها فيما بعد داخل الجدران.

2- المنافذ (الشكل. 40):

تختلف معالجة المنافذ بحسب جهة وجه الجدار، ففي الوجه الخارجي يعلو كل المنافذ سواكف بما أن طول كل ساكف يتجاوز الـ 90 سم يتم تخفيف حمولته سواء باستخدام شراعة مربعة أو باستخدام قوس قليل السماكة يُنفذ داخل كتلة حجرية واحدة مضاعفاً الساكف** أو باستخدام ثلاث صنجات مستوية*** (اللوحة. 71 ب).

منافذ الوجه الداخلي للجدار أعرض من تلك الموجودة على الوجه الخارجي بحوالي 35 سم. عندما تكون المنافذ بسيطة تعلوها حينئذ خرجة أما عندما يكون الباب كبيراً وتعلوه شراعة يحل محل الخرجة الواحدة خرجات متتابعة. إن الأطناف الموضوعة على سطح الجدار عبارة عن عوارض مجانية مقطوعها مربع (35×35 سم) ومنحوتة على شكل صافرات مستقيمة¹¹⁶ (اللوحة. 71 أ و ب).

3- القوس:

قوس القاعة الرئيسية (002) هو عقد تام قطره 5,95 م. بعد أن يؤخذ الانخساف البالغ 10 سم بعين الاعتبار، يُلاحظ أن قوس الدائرة يبدأ من منتصف الصنجة الثانية، فقد أدمجت أول صنجتين فقط داخل الجدران الفاصلة. يتناقص بُعد واجهة انحناء صنجات القوس الداعم صعوداً نحو قمة النقوس وبشكل تدريجي وغير منتظم من 45 سم إلى 19 سم ولا يقع مفتاح العقد في مركز القوس. هاتان الملاحظتان تدفعان للاعتقاد أن بناء هذا القوس تم دون تخطيط إنما بني مباشرة فوق الانحناء.

* هناك تتالي لهذه الحجارة على خط عمودي بين الغرفة (002) والغرفة (103/003).

** كما هو حال الأبواب الفاصلة بين الغرف 005/002 و 004/002 و 005/001.

*** الباب الفاصل بين الغرفتين (002) و(003).

¹¹⁶ Butler, H.C: 1919, P. 66.

يمكن ترميم قوس الغرفة (203) بقطر 2,8 م.

4- الأطناف والسقوف:

نُفذت طريقتان لبناء السقوف (الشكل. 41): الخرجة المستمرة والخرجة المتقطعة. استخدمت الطريقة الأولى في الغرف (002 و 003 و 004 و 005) وربما في الغرف (203 و 205)، وتتمثل بتوضع مدماك من أطناف ذات بروفيل إما ربع دائري مستقيم أو تضليع مستقيم (002) على الدعامة العليا التي تؤمن تثبيت أفقي واضح (003 و 004 و 005) (اللوحة. 74 ج و و د). تتوضع الأطناف بجانب بعضها البعض وتدعم بلاطات السقف المتصلة التي تستند بدورها على سطح محدود بعمق 8 إلى 10 سم يقع في طرف الطنف، ولمنع الأطناف من الانهيار، تُوزع مداميك الدعم (مدمكان على الأقل) على محيط أعلى الجدران، لكن ليس على القوس ظاهرياً.

بالنسبة للبلاطات فهي هنا متصلة ومجصصة بإتقان على وجهها السفلي ومغطاة بحصى بازلتية ممزوجة بالطين، تبلغ سماكتها حوالي 25 سم وتبلغ السماكة الكلية للسقف حوالي 45 سم. الطريقة الأخرى المستخدمة لدعم السقف هي الخرجة المتقطعة وقد استخدمت في غرف الطابق المتوسط (103 و 104 و 105)، وهي تتألف من أطناف متقطعة (على شكل صافرة) مماثلة بأبعادها وشكلها لتلك المستخدمة للعبور عبر المنافذ الموجودة على الجدران الداخلية. أدمجت هذه الأطناف عمودياً داخل الجدران لحمل عارضات موضوعة بشكل مواز للجدران ترتكز عليها بدورها بلاطات السقف. مازالت هذه الطريقة مشاهدة في الغرفة (105) على الرغم من التعديلات والإصلاحات التي أجريت لاحقاً (اللوحة. 67 وإلى يسار الصورة).

لم تعد البلاطات في هذه الحالة معتنى بها كثيراً وهي متباعدة قليلاً عن بعضها، أما أبعادها فهي نفسها¹¹⁷.

5- هل هي طريقة بناء مقصودة؟:

كما ذكرت سابقاً فإن مظهر العناصر المعمارية (الجدران والعضادات والقوس) مجزأ والروابط التي تربط هذه العناصر قليلة. يُقترح فرضيتين متكاملتين لشرح طرق البناء هذه: الأولى تقول إن الانقطاع الحاصل في المداميك والربط الضعيف بين الجدران هو نتيجة تجزئة مراحل البناء الناتجة بدورها عن محدودية وسائل رفع البناء والصقالة ربما. باعتبار أن توزع حجارة الربط المقورة على الواجهة الشمالية هي الدلالة على مراحل استئناف البناء، يمكن الاستنتاج أن مرحلة البناء الأولى تمثلت في بناء الطابق السفلي ككتلة واحدة وعلى ارتفاع 2 م، تلاه بعد ذلك

¹¹⁷ Clause-Balty, P: 2008, P. 112.

رفع الغرفة (103) حتى مستوى الممر وبني أخيراً القسم العلوي من الواجهة بارتفاع 2,80 م على امتداد الطول بأكمله بعد أن شكّل الممر صقالة لقسم الواجهة الذي يؤمن الوصول إليها (اللوحة. 70 ج).

يلاحظ أيضاً أن عضادات القوس مستقلة عن الجدران التي أدمجت فيها، وأن حجارة عروة عقد القوس لا تتوافق مع حجارة الجدران الفاصلة. هذا يدفع للتفكير أن عملية التركيب تمت وفق الطريقة التالية: بنيت العضادات في البداية ثم بنيت الجدران الفاصلة على ارتفاع العضادات ليُرْكَب القوس بعدها ولتستأنف عملية بناء الجدران وليتم أخيراً ملئ عروات العقد بين القوس والسقف.

تقول الفرضية الثانية التي لا تتعارض مع الأولى إن استقلال العناصر المعمارية هو شيء متعمد فقد أظهرت الدراسات المطبقة على التشوهات التي أصابت الواجهة الشمالية إثر هزة أرضية أن حجارة الواجهة الموجودة على امتداد الجدار الفاصل الشرقي لقاعة القوس مائلة 35 سم في أبعد نقطة. انتقلت قوة الصدمة عبر حجارة الجدار الداخلي إلى الجدران الخارجية دون أن تتأذى هذا مما يدل على أن البناء يتمتع بنوع من المرونة (الشكل. 42). في حال كون البناء صلب جداً، تتصادم الكتل الحجرية وتسبب دماره. ساعد الغياب شبه التام للشينجات هنا على حرية الحركات مما أدى إلى تجنب انتقال الاهتزاز من حائط إلى آخر. ليس هذا فحسب فطريقة بناء الجدران تسمح بقابلية البناء للتكيف، إذ يمكن إعادة البناء أو إجراء تعديلات عليه أو إضافة عناصر لاحقة. على سبيل المثال يوجد جداران مشتركان للغرف (002 و 005) من جهة والغرفة (006) من جهة ثانية ويلاحظ أيضاً أنه تم ببساطة مضاعفة الجدار المشترك بين الغرفتين (002 و 006) دون إجراء تعديل حقيقي على الأبنية الموجودة، أما عمق الخزانة فيتوافق مع الوجه الخارجي للجدار الذي كان موجوداً في الأصل. في المقابل، ألصقت الغرفة (005) مباشرة بالجدار المشترك وهذا ما يفسر كون هذا الجدار مهدوم جزئياً. يبدو أن التعديلات الوحيدة التي أجريت هي التي تمت على استقامة باب الغرفتين (002 و 003)، وهذا لا يمكن أن يُحَقَّق نظرياً إلا بوجود نظام بنائي مضاعف الجدران غير مترابط¹¹⁸.

6- عناصر معمارية:

أ- العضادات (اللوحة. 72):

وهي عناصر مبنية بشكل متقن قبل بناء الجدران التي ستندمج فيها، وتتوضع على حجر أساس أكبر حجماً بقليل من مدماك العضادة، هذا مما يسمح ببناء أرضية من البلاطات الحجرية. الشكل

¹¹⁸ Villeneuve, F: 1985, P. 94.

الجانبى للقاعدة عبارة عن حرف مائل بسيط متوضع فوق شريط، بينما يتكون التاج من جزئين مائلين الأول منحوت ليشكل زاوية 45° مع ناصية التاج، أما الجزء الثاني فهو عصابة رقيقة تميل بمقدار 1 سم عن الارتفاع.

ب- المشاكي والخزائن (اللوحة. 66 أ وب):

ما يميّز بين الاثنين هو أن للخزانة مصراع إغلاق بينما ليس للمشكاة مثل هذا المصراع والخزائن تتواجد فقط في قاعات القوس بينما تتواجد المشاكي في الغرف (003 و 004 و 005 و 203).
تُزود الخزائن بشق محيطي بعرض 2,5 إلى 4 سم وبعمق 4 إلى 5 سم ويوجد على الدعامة تقوير يُعشق عليه مصراع خشبي ينتهي عند إغلاقه في نقرة يبلغ قطرها حوالي 3,5 إلى 4 سم، أما في الجزء السفلي يكون القطر أصغر نوعاً ما (3 إلى 5 سم). لا يوجد أثر لنقرة تعشيق موافقة لمغلاق الجزء الأوسط .

يوجد في خزائن الحائط الجنوبي للقاعة (002) شقوق أفقية بارتفاع 2,5 سم تتوضع على منتصف ارتفاع الحواجز الجانبية مخصصة لتكوين رفوف خشبية.
تتميز الخزانة الموجودة في الحائط الشرقي (اللوحة. 66 ب) بعمقها الكبير، إلا أنه ليس لها بلاطة داعمة وهذا بسبب انتزاعها ربما، إذ أن هناك كتلة حجرية مفقودة من أحد المداميك السفلية في الجدار.

يوجد على الجدار الجنوبي في القاعة (003) ثلاث مشاكٍ مربعة تشكل الوسطى منها نافذة.

ج- مشكاة الواجهة (اللوحة. 66 ج):

تتوضع مشكاة الواجهة على المحور بين باب قاعة القوس وباب ملحقتها الغربي. يلاحظ في محبة كما في قرى أخرى أن هذه المشكاة تتواجد عادة عند تقاطع حائط الواجهة مع الحائط الفاصل الخلفي وينتج عن ذلك ضعفاً بنائياً واضحاً، أما الوضع هنا فمختلف ويمكن الاستنتاج أنه تم في البداية تحديد مكان المشكاة التناظري ومن ثم عمل البناء وفقاً لهذا التحديد¹¹⁹. إن قوس المشكاة نصف الدائري أكبر من الفتحة التي يستند عليها. تُبنى المشكاة على بلاطة حجرية وحيدة (مستعرضة متوازية السطوح) بينما يتكون قعرها من بلاطات متوازية السطوح متناضدة، حُفر ضمن الأولى منها فتحة مستطيلة أبعادها 13×24 سم، حفر ضمنها هي أيضاً ثقب مخروطي أقطاره تتراوح بين 4 إلى 6 سم، وحتى ولو كان هذا الثقب قد حفر مؤخراً فليس هذا هو حال الفتحة المستطيلة. مع هذا لم يساعد التنقيب على معرفة وظيفة هذه المشكاة.

¹¹⁹ Clause-Balty, P: 2008, P. 114.

د- النوافذ الدائرية (الشكل. 43):

قُصبت الأحجار المعدة لبناء هذه النوافذ بطريقة فريدة لدرجة أن دبليو.ج. بانك (W.J.Bankes) رسم مفاصل غير موجودة ظاهرياً إلا أنها تظهر الصورة أكثر طبيعية. يُضعف هذا العمل المعقد في عدد من النوافذ الدائرية الموجودة في منازل المنطقة مع حلول مبتكرة كل مرة، فرضية الواجهات المطلوبة بأكملها. يبدو أن هذه النوافذ هي بمثابة التوقيع للمعماري.

هـ- النوافذ ذات الدرابزين:

من الواضح وجود كوتين لإنارة الغرفة (004)، إلا أنه لم يبق سوى نصف الدرابزين في النافذة الوسطى للجدار الخارجي (اللوحة. 68 ب). تتألف هذه النافذة من دعامة وساكف وأربع كتل حجرية تشكل بآن دعامات للنافذة وللجدار الخارجي. نُفذ على سطوح سماكة هذه الكتل فتحات مثالية الشكل طول ضلعها 8 سم تُشكّل مربعات فيما لو وضع كل اثنين منها مع بعضها. لوحظ وجود نوافذ مماثلة خاصة في الجدار المحيط بالمسكن رقم (4) في محبة، هذا مما يدفع للقول أنها تُطل على حيزات واقعة خارج المسكن .

و- الدرجات:

تتألف الدرجات منهجياً من أجزاء حجرية ملساء ناتئة مدمجة داخل الواجهة، طولها في هذا المسكن 90 سم، ومقطع جزئها المدمج في الواجهة مربع الشكل بينما الشكل الجانبي للدرجة بحد ذاتها مثلث. ارتفاع الدرجات 23 سم أما عمقها فهو حوالي 30 سم وتستند كل درجة على الدرجة التي تليها وفق عرض 4 سم¹²⁰.

4.2.1.2.2 أقسام البناء الثانوية:

تمثل الفتحات وبعض التجهيزات مثل المشاكي آثاراً تشهد على وجود عناصر لأقسام ثانوية مثل مصاريع الأبواب ودرجات النوافذ والطاولات والحواجز المشبكة. لم يبق من هذه العناصر سوى نقرات تعشيقها المحفورة في الحجر.

إن مبدأ صناعة العناصر القابلة للفتح (المصاريع) واحد بشكل عام ولكن تختلف أبعاد النقر. النقر عبارة عن زعارير محفورة في سقف الكوة على الدعامة ويرتبط بالزعارير عنق على شكل حرف (L) مثبت على الدعامة السفلية مما يسمح بتركيب عنصر الإغلاق.

¹²⁰ Clause-Balty, P: 2008, P.115.

1- الأبواب (اللوحة. 70 د):

تتراوح أقطار النقر الموجودة في العتبة وفي السقف من 8 إلى 10 سم. هناك نقرة موجودة في السقف تفيد كمزلق للمغلاق المركزي، أما الباب الرئيسي بين الغرفتين (001 و 002) فله نقرتان في سقف السالكف. هناك مزلق واحد فقط للأبواب التي عرضها 90 سم ومزلجان للباب الرئيسي. بناءً عليه، ليس بالإمكان استنتاج الحجم المتوقع للمصاريح. يتراوح الحيّز بين النقرة وشق الباب من 4 إلى 6 سم هذا مما يبطل تماماً احتمالية أن يكون الباب من البازلت، أي يمكن استخدام أبواب من الخشب في الترميم.

2- النوافذ (اللوحة. 68 أ):

أثار النوافذ متشابهة أما أقطار النقر فهي أقل من 5 إلى 8 سم. يوجد في النافذة المركزية الجنوبية نقرتان لمصراع مركزي وهما ليست على استقامة واحدة. يمكن تركيب لوح عمودي يدور على محور كنظام إغلاق. حُفرت ضمن سماكة النافذة شقوق مستطيلة الشكل (2×6 سم) بعمق 3 سم مما يدفع للتفكير بقضبان مستطيلة المقطع بارتفاع 6 سم على الأقل. لا يوجد أثر رصاص أو أي معدن آخر في الداخل. تَتميز النافذة المركزية الجنوبية بعدم وجود نقرة على الدعامة مما يدعو للتفكير أن القضبان كانت تدخل عنوة، أما النوافذ الأخرى وبغض النظر عن أبعادها وموقعها ففيها نقر لتركيب مشابك على الأسطح الداخلية الأربعة لجدران النافذة.

3- الدرابزين (اللوحة. 62 ج واللوحة. 69 ب):

تقود إعادة بناء عناصر التنقل في الواجهة الشمالية إلى اعتبار النقر المحفورة في نهاية الممر كقواعد محتملة لركيزة تفيد في إسناد عنصر (سلم، درجات خشبية) لتجاوز الحيّز الفارغ بين الممر وأول درجة حجرية. إذا بدا وجود هذه الركيزة مقنعاً غربي الواجهة فوجودها على النقرتين المتوضعتين في المقابل أقل إقناعاً. في الحقيقة، سيكون من غير المجدي وضع سلماً بين بلاطة الممر وبين الدرجات العليا¹²¹. يبلغ قطر هذه النقر حوالي الـ 10 سم وهي مرتبطة مباشرة بالممرات الموجودة على جانبي الواجهة. المسافة الفاصلة بين كل اثنين منها هي حوالي 9 سم، وفي كلتا الحالتين تقع النقرة السفلى فوق مستوى البلاطة مباشرة هذا مما يدعو إلى التفكير باستخدام أكثر احتمالاً يتمثل بقاعدة لصقالة عالية أو لحاجز يقي من السقوط ويستند على بلاطات الممر.

¹²¹ Masclé, J: 1944, P. 112-114.

4.2.1.2.3 الزخرفة (اللوحة. 72 ج واللوحة 73):

كما ذكرنا سابقاً هذا المسكن غني بالزخرفة ويلاحظ أن مواضيع هذه الزخرفة مختصرة جداً، أما أماكن تواجدها فهي على النحو التالي:
في الواجهة الشمالية المطلّة على الفناء:

- على ساكف الباب الرئيسي للغرفة (002).
 - على محيط النافذة الدائرية التي تنير القاعة (002).
 - على ساكف باب الغرفة (003) (دائرتان بسيطتان متحدتان بالمركز حول زخرفة تم تطريقها).
 - على تاجي عضادتين في القاعة (002).
 - في الزوايا الأربع للغرفة (002) على الوجه السفلي لأطناف الزاوية.
 - على البلاطة الوسطى للمعزبة الثانية في القاعة (002) وعلى الطنف الجنوبي الذي يدعمها.
 - على ساكف باب الغرفة (004) (دائرة بسيطة).
- كما يوجد في عدة أماكن كؤيسات مدورة تبلغ أقطارها حوالي 8 إلى 15 سم محفورة بشكل بسيط جداً على أوجه كتل حجرية ملساء.

4.2.1.2.4 معيار البناء الأصلي والتكيف:

المسكن مهدوم نوعاً ما لذا لا يمكن فهم وظيفته ولا العلاقات التي تربط الغرف فيما بينها. مع ذلك يمكن من خلال الأجزاء التي مازالت مرئية التمييز بين ما هو ضمن ترتيب نموذج مستمر وما هو ناتج عن التكيف مع المحيط أو مع خطة عمل محددة¹²².

1- استمرارية النموذج:

تتوافق آثار المسكن رقم (1) مع ترتيبات النموذج الأساسي المرتكز على قاعة القوس مضاعفة الارتفاع وعلى غرفها الجانبية اعتيادية الارتفاع المتوضعة إما على جانب واحد أو على جانبيين أو ثلاثة جوانب، كما أنه يعتمد ترتيبات أخرى مألوفة مثل:

- العلاقات القائمة بين الغرف الملحقة وقاعة القوس والفناء، إذ تطل الغرف السابقة على قاعة القوس وعلى الفناء في آن.
- تَجْمُع الوحدات المعمارية (قاعات القوس + الغرف الملحقة) على شكل حرف (U) أو (L) أو على شكل مربع، بحسب تصميم المسكن ومساحة الأرض، حول الفناء.

¹²² Clause-Balty, P: 2008, P. 116.

- استُخدم الفناء لتوزيع غرف الطابق الأرضي وممر لتوزيع غرف الطابق العلوي.
- السعي وراء التناظر وتناسب الفتحات (فهي مستطيلة بأبعاد 3/2 للأبواب) والشكل الجانبي لعضادات القوس، وتوضع بعض العناصر*.
- منهجيات البناء المعتمدة على البازلت سواء لبناء الجدران أو لبناء السقوف.

2- التكيف:

يمكن تفسير القيام بتعديلات أساسية أو ما يمكن تسميته الخروج عن الترتيبات الاعتيادية بوجود محيط مشبع أصلاً حول المسكن. تتمثل التعديلات الأساسية بداية بتوجيه القاعة الرئيسية شمالاً وانحرافها عن محورها، وانحراف وتراجع المساحات التي تقوم عليها الغرف الجانبية، وإدماج غرف في طابق متوسط قد يكون الهدف منها التخزين وكذلك قلة سماكة الجناح الشرقي البارز والمرور عبر السقف للتنقل الخارجي. يمكن أن نذكر أيضاً اختيار الممر في التوزيع العلوي، وكذلك رواق الواجهة الذي استدعت وجوده ربما أهمية المسكن الاجتماعية التي تشير إليها نوعية الزخرفة وغناها. يقدم هذا المسكن بالإضافة إلى ذلك عناصر ممنهجة غير اعتيادية، مثل المخبأ في الطابق العلوي والخزانة كبيرة العمق في الطابق السفلي¹²³.

من وجهة نظر بنائية، يبدو أن مبدأ السقوف المستندة على الدعامات الطولانية المستندة بدورها على ركائز منتظمة هو الوحيد المتعلق بخصوصية محلية.

بشكل عام، يبدو أن كل مسكن يتميز بنوع خاص من تكيف العناصر التي تشكّله والفحص الدقيق لعدة أبنية هو فقط الذي بإمكانه أن يقدم دلالات عن الإجراءات المعمارية الممنهجة والرمزية التي كان يتوجب على المعماريين ربما أن يتجاوبوا معها.

لا يقدم هذا المسكن من وجهة نظر معمارية خصوصية واضحة. يجب أخذ بعض التفاصيل بعين الاعتبار، من غير الوارد مثلاً أن تكون الأقواس مصنوعة من الخشب ففي هذه الحالة يصعب إعادة استخدامها أكثر من مرة وفي أكثر من مسكن.

إذاً، يمكن من خلال مثل هذه التفاصيل ومن خلال فهرسة التنفيذ أن نحصل على نظرة أكثر شمولية حول الطرق المتبعة للبناء في تلك الفترة.

* كالمشكاة المقوسة التي تطل على الفناء، والخزائن في الغرفة الرئيسية والمشافي في الغرف الثانوية.

¹²³ Masclé, J: 1944, P. 116.

3- الترميم:

أ- معلومات تمهيدية ومنهجية:

يشكل اقتراح مشروع ترميم لهذا المسكن مشكلة، فحتى ولو كانت دار مجرّش في محجّة تقدم خصائص معمارية عالية النوعية، فهي ليست سوى مسكن صغير بين المساكن العشرين المعاد إصلاحها في هذه القرية، والتي تتطلب جميعها تدخلاً جاداً لحمايتها. اختيار هذا المسكن كان نتيجة لضرورة ملحة، إذ أن أقسامه المهدة بالانهيار بدأت تتصدع، مما قد يتسبب بتشويه هذا البناء المتجانس والجيد الحفظ نسبياً¹²⁴.

يتوجب في البداية التمييز بين الحفظ والترميم مع العلم أن تحديد الفرق بينهما يفرض اختيارات في أماكن التدخل ومازال يعتبر إشكالية. الهدف من الحفظ هو إصلاح الأقسام المهدة بالانهيار وتدعيم الأجزاء التي يمكن أن تتعرض لخطر الهدم، أما الترميم فهو عبارة عن تدخل كامل يطال البناء ولا يطبق إلا بهدف تحقيق استثمار يتلاءم خاصة مع المحيط القروي بعيداً عن الطرق السياحية. لا يمكن مقارنة هذا المسكن بقصر انخل الذي تُبرر نوعيته الاستثنائية وحدها فقط التدخل الكامل وتحويل البناء إلى صرح أثري. ستكون الخطوة الأولى هي حماية مسكن في قرية ما من الدمار، أما الترميم فسيكون ضمن سياسة حفظ عامة لهذه الأبنية وإحيائها وذلك من خلال تأهيلها رمزياً، خاصة بإدراجها ضمن مسار إقليمي وضمن اقتصاد محلي.

بعد التوثيق الدقيق للبناء، بوشرت أعمال تصليح الأجزاء التي تمثل اختلالات أو مصادر للاختلال. لم يؤخذ من هذه القائمة بعين الاعتبار إلا العناصر التي تشكل خطراً حقيقياً والتي يمكن أن تشوه البناء. ونقّت الوصوف المعمارية وفق فئتين واحدة تخص الوصوف العامة وأخرى للوصوف الخاصة دون التطرق إلى التفاصيل بهدف الوصول إلى وضع ميزانية معقولة لهذه الأعمال.

ب- الاختلالات:

1- أنواع الاختلالات:

أهم مسببات هذه الاختلالات هي الهزات الأرضية والتدخلات البشرية وسوء الأحوال الجوية. سببت الزلازل تشوهات ودمار، وتسببت الأمطار بتفاقم الاختلالات الموجودة أصلاً أما الجفاف فقد جعل الصلصال المشكل لطبقات العزل قابل للتفتت.

جاء التدخل البشري نتيجة للضغوط المادية الكبيرة من جهة ونتيجة غياب حفظ الأماكن المهجورة من جهة ثانية. ترك السكان هذه المساكن قبل أقل من ثلاثين عام ليسكنوا في منازل جديدة بنوها في

¹²⁴ Clause-Balty, P: 2008, P. 117.

الحيّزات الخالية من أرضهم (كالباحات مثلاً). اليوم ونتيجة حاجتهم للمكان وافتقارهم للأموال اللازمة لاقتناء مسكن في مكان آخر، فهم يفضلون هدم الأقسام القديمة ليبنوا مكانها مساكن من الإسمنت سيّما بعد أن أصبحت هذه الأقسام خطيرة نتيجة غياب الصيانة مما استدعى هدمها كحل أكثر اقتصادية لاسترداد الأرض.

أثر غياب الصيانة في المقام الأول على نظام العزل الموجود منذ بناء هذه المساكن وهو يتألف من طبقة من الصلصال تغطي بلاطات البازلت. كانت هذه الطبقة تُرص كل عام باستخدام مدحاة حجرية، وبما أن تنفيذ هذه العملية لا يتم بشكل منتظم، أصبح الصلصال قابل للتفتت وأخذت الأمطار تجرفه ولم يعد بإمكان طبقة الحماية تأمين توزيع الحمولة على البلاطات البازلتية التي يمكن أن تتحطم تحت أي ضغط زائد¹²⁵.

لا ننسى طبعاً لفت الانتباه إلى التدمير الذي يُسببه الأطفال باقتلاعهم الحجارة أو بإضرارهم النيران أو ذلك الذي يسببه الكبار الذين يفضلون استباق الأحداث لتفادي الحوادث فيقومون بإسقاط الأجزاء المترعة أو يخربون بحثاً عن الكنوز.

2- وصف الاختلالات في الوضع الراهن:

أ- الميلان الحاصل في الواجهة الشمالية (اللوحة. 64 أ والشكل. 42):

نتج هذا الميلان عن هزة أرضية. تتطابق أبعد نقطة من جدار الواجهة الخارجي المشوه مع جدار فصل يقع خلف جدار الواجهة. أثناء حدوث الزلزال يصدم جدار الفصل هذا جدار الواجهة وتنتقل قوة الصدمة إلى الأوجه الخارجية عبر أوجه الجدار الداخلية. يجب تصليح هذا الاختلال فقد وصل بروز الكتل الحجرية حتى 35 سم أي بمقدار نصف عمقها.

ب- ميلان المداميك الخمسة الأخيرة والدرجات (اللوحة. 64 ب):

هناك سببان محتملان لهذا الميلان، الأول هو ميلان كل الجدار الشمالي نتيجة هزة أرضية والثاني هو اختفاء مداميك الجدار العلوية التي كانت تؤمن ثقل موازن على أطراف الأطناف. انحنت هذه الأخيرة للأمام تحت ثقل بلاطات السقف المستندة عليها حتى لا تهوي الواجهة إلى الجهة المعاكسة. يضاف إلى ذلك الأتربة المتراكمة كل عام خلف هذه الكتل الحجرية مما يؤدي إلى زيادة الضغط الجانبي. يجب تصحيح هذا الميلان لأن مركز جاذبية المدماك العلوي قريب من سطح الواجهة والدرجات أيضاً على وشك السقوط.

¹²⁵ Clause-Balty, P: 2008, P. 118.

ج- انخساف خمس بلاطات شمال غربي سقف القاعة (002) وانفراج هذه الزاوية (اللوحة. 67 ج):

نتجت هذه الاختلالات طبيعياً عن ما سبق، فبعد أن انحرفت الواجهة نحو الخارج مالت الأطناف للأمام. هناك خمس بلاطات تستند على سطح سماكته أقل من 3 سم على مقدمة الأطناف وهذه البلاطات هوت بمقدار 35° تقريباً مقارنة مع الأفق وهي على وشك السقوط مما يستدعي إصلاح هذه الاختلالات.

د- تصدع صنجتين في العقد (اللوحة. 67 د):

العقد مشوه فقد انخسف بمقدار 10 سم وانحجب جزء صغير منه. تدل الشقوق الطويلة الموجودة في صنجتي العقد العلويتين على الضغط الأفقي الذي تعرض له. يبدو أن القوس وصل اليوم إلى حالة توازن وبالتالي ليس هناك ضرورة لتغيير هاتين الصنجتين¹²⁶.

هـ- قلة سماكة الزاوية الجنوبية الشرقية: (اللوحة. 67 أ و ب):

يبدو أن هذه الزاوية أعيد بناؤها مؤخراً وكذلك الحال بالنسبة لبلاطة السقف الأولى وهذا كان نتيجة اختفاء البناء السابق للمسكن الذي لم يبقَ منه سوى الغرفتين (006 و 106). من وجهة نظر بنيوية، لا تشكل إعادة البناء هذه خطراً، والخطأ الوحيد هو أن سماكتها قليلة (40 سم فقط) هذا مما يسبب حدوث ارتشاحات، وهو خطأ لا يستدعي تدخل كبير.

و- انخساف جدار الواجهة الغربية (اللوحة. 64 ج و هـ):

هناك عدة اختلالات في هذا الجدار. تشقق النصف السفلي من الجدار، والذي هو جزء أصلي أعيد استخدامه في البناء الجديد، في عدة أماكن وخاصة على استقامة الكوة ذات الدرايزين التي انحرف ساكفها نحو الخارج. حدثت هذه التشوهات نتيجة للحمولة الزائدة فوق بناء معاد بناؤه بطريقة سيئة. أما النصف العلوي من الجدار فقد اختفى جزءاً كبيراً منه ولم يبقَ إلا الزاوية. يميل الجدار بنحو ضئيل باتجاه الخارج وهناك فتحة في وسط المداميك العليا. من المستحسن التدخل للإصلاح، إلا أن هناك إشكالية في إدخال آليات الرفع إلى هذا الجزء (سقف الإصطبل 007).

ز- تصدع في الواجهة الجنوبية للغرفة (203) (اللوحة. 64 د):

نتج هذا التصدع عن الانخساف الجزئي للواجهة الغربية، وليس هناك ضرورة للتدخل لأن شبكة الأبنية المحيطة بهذه الواجهة تؤمن الدعم الضروري حتى اليوم.

¹²⁶ Mascle, J: 1944, P. 118.

ح- انهدامات جزئية لجدار الواجهة الشمالية للغرفة (105) (اللوحة. 67 هـ و):

سبب هذه الانهدامات هو أحوال الطقس الرديئة وغياب الدعم في هذا البناء الذي أعيد بناؤه بشكل رديء كما ذكرنا. انهيار جزء من سقف الغرفة (105) على أرضيتها بعد أن تكسرت بلاطة في سقفها عندما هطلت الأمطار خلال شتاء عام 2005. يجب تنظيف هذه المنطقة وإغلاقها لتجنب حدوث إنجرافات جديدة للأتربة كما يجب دعم الروافد.

ط- ثقب في طبقة الطين التي تغطي سقف قاعة القوس (002):

تشكل هذه الثقوب الحافز الأول لانهيار السقف. يتوجب رفع طبقة الطين عن جزء كبير من السقف للتمكن من رفع بعض بلاطات السقف لإبدالها إذا توجب الأمر. سيكون من الضروري أيضاً التفكير بإضافة طبقة من الملاط لزيادة تماسك السقف خاصة مع غياب الدعم المنتظم¹²⁷.

ي- سقوط بعض الكتل الحجرية أو نقصها في الجدران المحيطة:

قد يكون هذا النقص أو السقوط الناتج عن غياب الحماية أو بالأحرى عن التدمير المتعمد مصدراً لاختلالات قد تحدث خلال فترة قصيرة، إذ لم يعد هناك ثقل موازن يؤمن التوازن للأطناف. إذاً، لابد من تعويض النقص أو إعادة الكتل الحجرية المنزوعة إلى مكانها.

ك- نقص عدة كتل حجرية في الجدران الداخلية:

نتج هذا عن التدمير المتعمد بشكل رئيسي، وطالما أن هناك بعض الكتل الآيلة للسقوط فلا بد من إعادة تثبيتها في مكانها الأصلي.

ل- رفع مستويات الأرضيات السفلية:

إن أرضية قاعة القوس (002) مغطاة بطبقة كثيفة من الزبل بسبب استخدامها كإصطبل حالياً. هذه الطبقة تُعرض أجزاء الجدران السفلية لوسط حامضي قد يكون له تأثيره السيئ على الحجر، وبالتالي لابد من تنظيف الغرف.

4- التدخلات المرجاة:

من المتأمل إجراء تدخلات بسيطة تسمح بتجنب الانهيار المرتقب للبناء:

- سيسمح تنظيف المنافذ والحيزات الداخلية بفرز الكتل الحجرية التي يمكن إعادة استخدامها.
- سيوقف التدخل المناسب لإصلاح المداميك العليا في الواجهة الشمالية انقلاؤها وكذلك سيمنع انهيار البلاطات المحمولة فوق هذه الواجهة. يتحقق هذا بدعم الأطناف على طول الارتفاع

¹²⁷ Clause-Balty, P: 2008, P. 119.

الداخلي الشمالي وعلى طول القوس وبإزالة الأتربة من السطح ومن على الفسحة الشمالية وبرفع مداميك الجدار الخمسة الأخيرة.

- يمكن أيضاً القيام بتنظيف الأتربة والكتل الحجرية المتناثرة قبل إعادة بناء جدران وسقوف الغرف (105، 005) المختفية لتجنب ارتشاح المياه.

يمكن القيام بعملية إعادة البناء هذه باستخدام الكتل الحجرية المتبعثرة في المكان فقط مما سيسمح بإعطائه مظهراً مشابهاً لكل الأبنية المعاد بناؤها منذ وجود هذه المساكن وستكون بعض الكتل الحجرية فقط جديدة مثل بلاطات السقف، كما أن إعادة استخدام الكتل الحجرية المبعثرة سيسمح بإنجاز ترتيب لا بأس به للأماكن المجاورة¹²⁸.

- سيؤمن تمليط الجدران حماية كبيرة لها من ارتشاح المياه .
- يتوجب إعادة تشكيل طبقة الحماية المكونة من الصلصال فوق السطوح وإضافة الملاط بين بلاطات السقف وبين طبقة الصلصال لتحسين تماسك السقف مع الزمن.
- يمكن ببساطة تكملة الجزء المركزي للواجهة بإضافة وصلات جديدة لكن هناك حل أنجع يتمثل برفع الجدار الأمامي وترك الجدار الخلفي مكانه. اتضح أن هذا الحل المتبع سابقاً خاصة في كنيسة إزرع هو حل جيد، والهدف منه هو ضمان استقرار القسم العلوي من الواجهة من خلال حل مشكلة ميلان المداميك العلوية.
- يمكن أن يكون هناك تدخلات ثانوية تتمثل في إعادة تركيب الكتل الحجرية الناقصة في الجدران الداخلية وفي إعادة بناء الجدران الجنوبية والجنوبية الشرقية للغرفة (203) مع العلم أن الدخول إلى هذه المنطقة يمثل بحد ذاته إشكالية¹²⁹.

¹²⁸ Clause-Balty, P: 2008, P. 119.

¹²⁹ Clause-Balty, P: 2008, P.120.

4.2.1.2.5 صور ثلاثية الأبعاد لدار مجرش:

احتاجت عملية تحويل دار مجرش إلى واقع افتراضي إلى عدد من برامج السوفت وير والخطوات الوسيطة التي تتدرج من المخطط الهندسي الثنائي الأبعاد إلى النموذج ثلاثي الأبعاد وحتى إضفاء الألوان والصفات المميزة إلى سطوح النموذج وبعدها ابتكار الصورة النهائية التصويرية أو ما يسمى الواقع الافتراضي.

كانت نقطة الإنطلاق عبارة عن مخطط نموذجي يُظهر الأجزاء الموجودة في الواقع (اللوحة. 70). تم مسح المخطط وتوريده إلى برنامج أوتوكاد للحصول على مخطط ثنائي الأبعاد شكّل مرجعاً للتوجيه في عملية إعادة البناء.

نُقل الملف بعد ذلك إلى برنامج الـ 3D MAX حيث أصبحت الخطوط الموجودة على المخطط الممسوح خطوط معيارية يمكن للحاسوب أن يفهمها طالما أن لها أطوال ونقاط بداية ونهاية. أُعطي كل عنصر في المخطط بعد ثالث (ارتفاع) وهو عنصر معلوم واقعياً لأغلب الغرف. شكّلت هذه الخطوة إحدى الخطوات الأساسية للانتقال من صورة سطحية إلى نموذج حاسوبي ثلاثي الأبعاد. تُمثّل الخطوة التالية بإدخال تفاصيل الأقواس والإكساء بالإضافة إلى أماكن الإضاءة والكاميرات التي حُدّدت من داخل برنامج إعادة البناء واستُخدمت إضاءات من أنواع مختلفة جعلت السطوح البنيوية الحالية مرئية بانعكاس وتظليل مناسبين. الكاميرات هي عيون بديلة تتلائم مع أماكن يمكن انطلاقاً منها ابتكار نماذج أكثر دقة وهي أيضاً مفيدة لدراسة النموذج من زوايا أساسية أو من مواضع هامة.

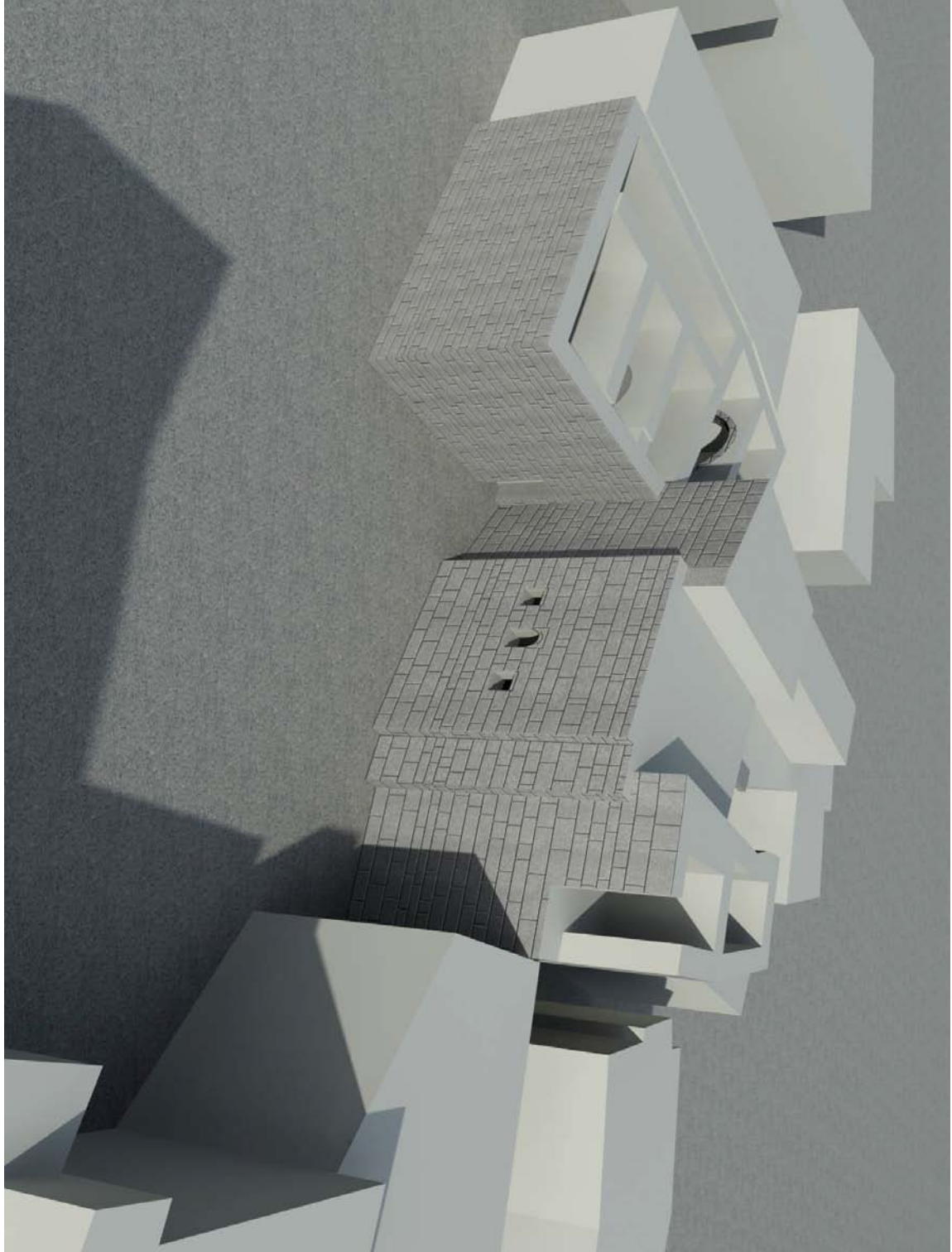
صُممت الزخارف على برنامج الفوتوشوب وأضيفت لاحقاً إلى الواجهة.

تم التركيز في عملنا على عناصر المسكن الرئيسية مستفيدين قدر الإمكان من كل ما توفر لدينا من صور فوتوغرافية وبيانات متعلقة بالمسكن وكانت النتيجة نماذج مبسطة لهذه العناصر نستعرضها فيما يلي:



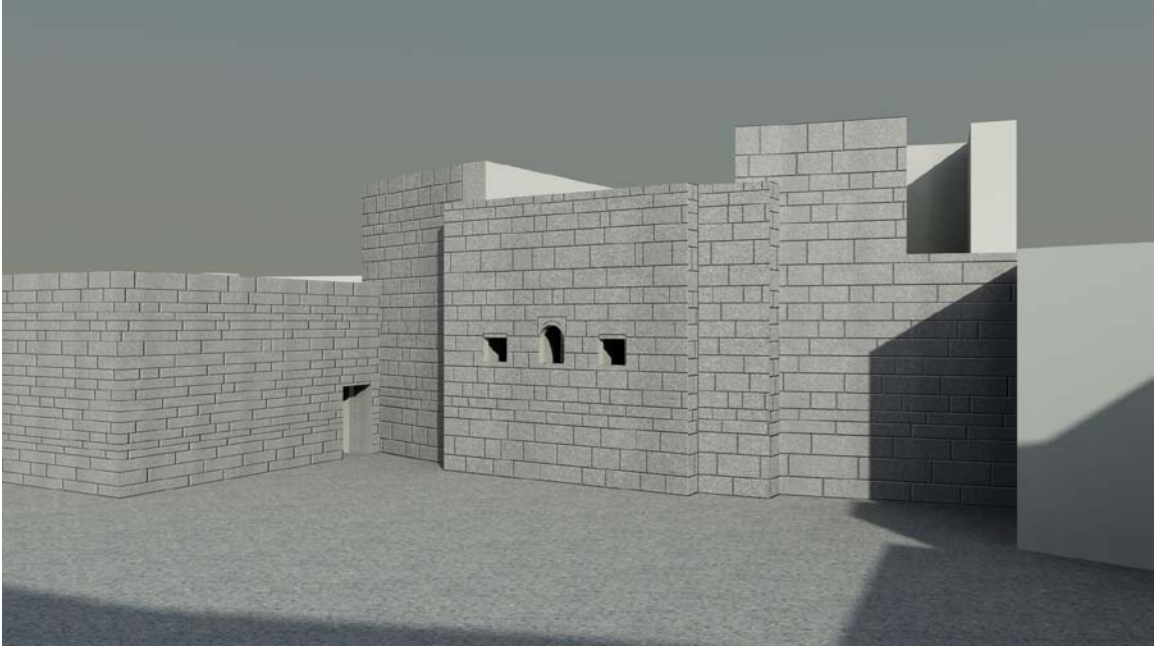
الصورة (1):

نشاهد في هذه الصورة منظر عام افتراضي لدار مجرش (الواجهة الشمالية) ضمن محيطها الطبيعي.



الصورة (2):

منظر عام افتراضي لدار مجرش من الخلف (واجهة جنوبية) علماً أن قسماً كبيراً من هذا الجزء مطمور فعلياً.



الصورة (3):
الواجهة الجنوبية.



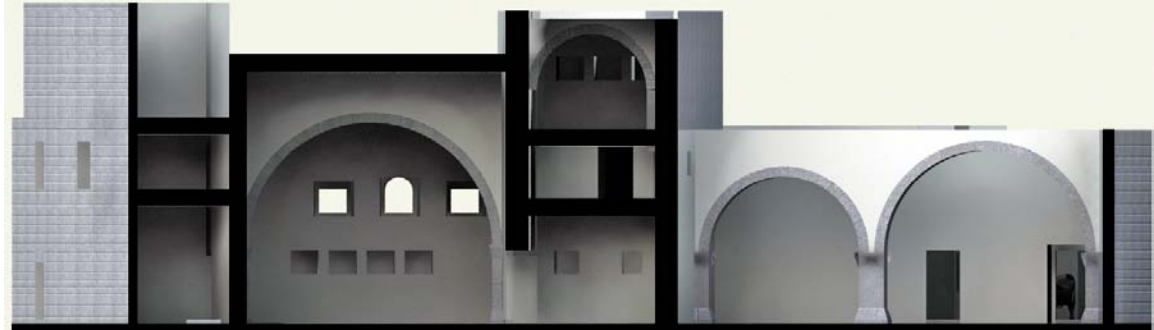
الصورة (4):

يلاحظ في هذه الصورة المنظورية ترتيب الجناح الملحق الغربي المؤلف من قاعتي قوس تحتوي الأولى على قوسين على استقامة واحدة بينما تحتوي الثانية الجنوبية على قوس واحد فقط ويحيط بها من الجانبين إصطبلات.



الصورة (5):

تمثل هذه الصورة التخيل الافتراضي لإعادة ترميم الفناء مع الواجهة الشمالية والجناحين الجانبيين المفترض وجودهما أصلاً وفقاً للمعطيات المتوفرة. يشاهد هنا حول النافذة الدائرية زخرفة الآنية التي يخرج منها غصينات عنب تنتهي في الأعلى بإكليل تربط طرفيه عقدة هرقل، وهناك أيضاً زخرفة فوق ساكف الباب، كما يُشاهد المشكاة المقوسة. هذه العناصر أصلية تواجدت في الصورة إلى جانب العديد من العناصر المتوقع وجودها كالممرات العلوية ودرفات الأبواب وقضبان النوافذ.



الصورة (6):

نشاهد هنا مقطع طولي لدار مجرّش في حالتها الافتراضية. نلاحظ وجود الوحدة المعمارية المعيارية المؤلفة من قاعة القوس التي يجاورها على الجانبين غرفتان متناضدتان مع وجود طابق مسروق ضمنهما. يشاهد على يمين الصورة الغرفة الحاوية على قوسين على استقامة واحدة في الجناح الغربي الملحق.



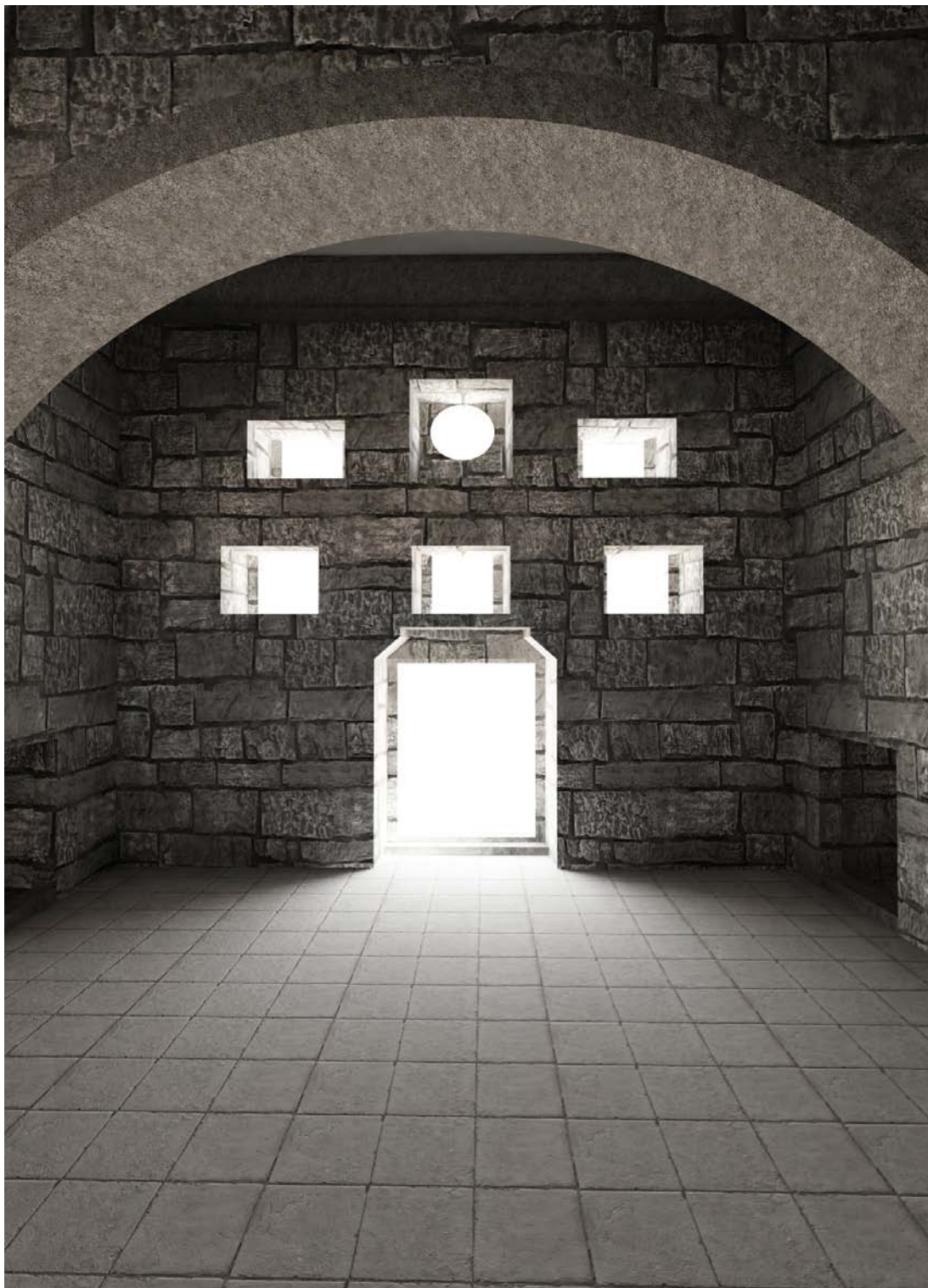
الصورة (7):

قاعة القوس الرئيسية (002) ويظهر هنا ترتيب حجارة الجدران.



الصورة (8):

قاعة القوس الرئيسية (002) بحالتها المتصورة. يُشاهد هنا القوس الذي يقسم الغرفة إلى معزبتين والأطناف التي يأخذ بروفيها شكل التصليع المستقيم وكذلك بلاطات السقف البازلتية المتراففة والمتلاصقة، كما تُشاهد في الزاوية الشرقية الجنوبية الخزانة العميقة وهي جميعها عناصر موجودة في الواقع أما العنصر المضاف هنا فهو التلييسة البيضاء التي كست جدران القاعة.



الصورة (9):

واجهة قاعة القوس الرئيسية (002) من الداخل دون طلاء.



الصورة (10):

واجهة قاعة القوس الرئيسية (002) بحالتها المتصورة. يلاحظ غنى هذه الواجهة بالنوافذ التي تؤمن الإنارة الكافية للقاعة كما تعكس بعمقها سماكة الجدار المضاعف.



الصورة (11):

الجدار الجنوبي لقاعة القوس (002) وهو يحتوي على ثلاث نوافذ وعلى أربع مشاكٍ.



الصورة (12):

الإصطبل وتتوضح فيه فتحات المعالف المطلة على قاعة القوس في الجناح الغربي الملحق.

الخاتمة:

سمحت العينات المدروسة في مساكن متعددة في قرى حوران وخاصة في سهل البثنية بتكوين فكرة واضحة عن العمارة السكنية في المنطقة في العهدين الروماني والبيزنطي وحتى أبعد من ذلك. تُقدم هذه المساكن صفات خاصة بمنطقة جنوب سورية على مستوى المخططات والترتيب العام وتقنيات البناء، كما أنها تُظهر بعض الخصائص التي تعكس غنى هذا السهل المرتفع مثل نوعية التنفيذ واتساع الأبنية وكثرة الزخارف.

يتكون المسكن من أبنية تنتظم حول فناء مُغلق كلياً، وهو مبدأ شائع في العمارة السكنية القروية لمنطقة حوض البحر الأبيض المتوسط ولا يحمل أي خصوصية. الهدف من طريقة البناء هذه هو حماية الخصوصية العائلية والاتقاء من المتطفلين المحتملين ومن الحيوانات الشاردة. ليس من المدهش أيضاً أن يُتبع نظام بناء السقوف باستخدام البلاطات الحجرية في منطقة تفتقر للأخشاب، إنها تقنية بناء محلية لم تعتمد اللجوء إلى استيراد مواد بناء، ولكنها غير مُبتكرة إذ تتواجد حلول مماثلة أو مشابهة في بعض المناطق التي تعاني نفس الافتقار للخشب مثل النقب ومناطق الجولان والضفة الغربية البازلتية المتاخمة بالتأكيد.

حلّ القوس الداعم الروماني الأصل محل نظام الدعامة المتوسطة الحاملة لثقل السقف والذي كان متبعاً منذ الأفية الثالثة على الأقل، وعلى الرغم من أنه لا يتوفر مثال عن العمارة السكنية الهلنستية فمن المحتمل أن إدخال القوس هو في الأصل من التغيرات التي تمت في المنطقة البازلتية بدءاً من نموذج القاعة المستطيلة والغرفة الجانبية الصغيرة ذات نفس الارتفاع الملحقة بها، وصولاً إلى قاعة القوس الأكثر اتساعاً والأكثر ارتفاعاً والتي تجاورها غرف جانبية منظمة وفق طابقين. الرواق هو نموذج روماني أيضاً طُبّق بأشكال مختلفة، بسيط أو مضاعف، مع قناطر أو أعمدة أو مدخل مُقنب وسمح بتطوير المساكن ارتفاعاً وأصبحت الواجهات أكبر. استعان سكان البثنية الأغنياء بأفضل الحرفيين القادرين على تنفيذ أفضل التقنيات، كما زيّنوا منازلهم بالزخارف المنحوتة المستوحاة بمعظمها من رموز تعويذية مع سيطرة الإكليل النباتي وعقدة هرقل.

كل أنواع المخططات حاضرة بدءاً من المخطط على شكل حرف (L) وحتى المُجمّع المغلق كلياً مع مساحات تتراوح بين 400 إلى 1700 متر مربع ويتبع حجم المسكن أهمية أماكن تربية المواشي والتخزين. بعضها كان مخصصاً تماماً لتربية الماشية وبعضها الآخر كان يحتوي إصطبلات بالإضافة إلى وحدات الاستقبال، كما يوجد مساكن خالية تماماً من الإصطبلات وكانت الشقق الخاصة تقع في الطابق العلوي.

على عكس المتوقع وجوده في سهل البثنية المشهور بزراعة الحبوب، لم يتم العثور إلا على القليل من التجهيزات المتعلقة بإنتاج الحبوب أو لم يكن بالإمكان تحديد سوى ثلاثة مخازن للحبوب في القريتين الواقعتين في أقصى الجنوب. هذا يسمح بالافتراض أن القرى الشمالية كانت تنتمي ربما إلى النطاق الإداري للبثنية حيث كانت تُرسل الحبوب مباشرة بعد حصادها.

المساكن المميزة هي مساكن الطبقة الميسورة المؤلفة من المالكين العقاريين الذين يستثمرون هم أنفسهم أراضيهم أو غير المستثمرين لها (أعيان المدن، عسكريين، شيوخ المهن أو المستوطنين) والحرفيين المتخصصين ربما والتجار والولاة الذين لا يمكن أن تكون مواردهم ناجمة من الأرض فقط.

مع ذلك، من الضروري الإشارة إلى أنه على الرغم من تأثر هؤلاء النبلاء الكبير بالحضارة الرومانية وهذا التأثير الملموس خاصة من خلال الكتابات على شواهد القبور فإن كل هذه المساكن صُممت وفقاً للنظام المحلي، ولا يوجد أي جزء من نظام الفيلا الروماني بترتيبها الثنائي: الجزء المدني والجزء الريفي.

تبقى مشكلة التسلسل الزمني هي المشكلة الأكبر، إذ ليس هناك في متناول اليد سوى بعض الأدلة النادرة التي قدمتها الزخرفة المعمارية المنحوتة بشكل رئيسي وهي تسمح بوضع بعض الفرضيات التي يجب تأكيدها يوماً ما. تُشير هذه الفرضيات إلى فترة بناء طويلة امتدت بين القرنين الثالث والسادس الميلادي دون أن يكون هناك تغيرات ملحوظة، أما الطور الأكثر ديناميكية للنشاط البنائي في هذه الفترة فقد كان بالأحرى بين القرنين الخامس والسادس الميلادي.

لا بد أن زلزال عام 746 هو الذي ألحق ضرراً كبيراً بكل قرى المنطقة دون أن يتسبب مع ذلك بهجر سكانها لها.

يبدو أن القرويين قاموا بأنفسهم بأعمال إعادة البناء باستخدام الوسائل البسيطة المتاحة لهم، ولم يكونوا قادرين على إعادة رفع الطوابق العلوية ولا الأروقة ولا الأقواس الداعمة فهم لم يعودوا يمتلكون الأدوات الضرورية لنحت كتل حجرية متوازية السطوح ومنتظمة وأثلام إطارات الأبواب لكنهم أثبتوا مع ذلك مقدرة كبيرة على إعادة استخدام العناصر المجلوبة من الرُكام المُنهار وأظهروا مهارة في محاولاتهم لإعادة ترتيب بيوتهم كما كانت سابقاً لتؤدي المساكن نفس الوظائف التي كانت تؤديها قبل الكارثة قدر الإمكان. هذا لا يتعدى كونه استنتاجات تحتاج للإثبات، يمكن على أقل تقدير تكوين فكرة أكثر وضوحاً عن مساكن البثنية واقتراح إجراء مقارنة مع المعلومات التي قدمتها الزخرفة المنحوتة والنقوش.

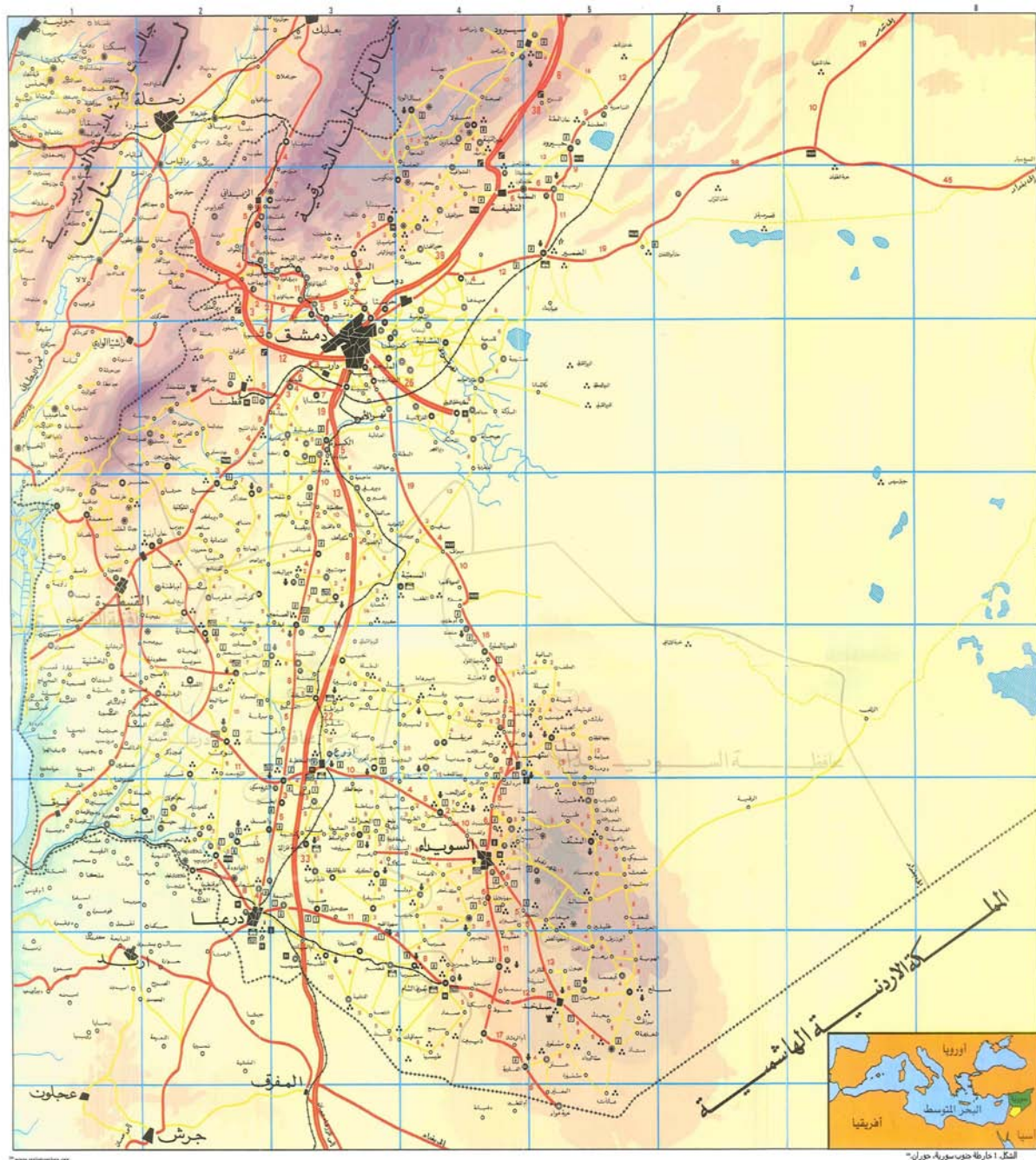
يجدر القول أن هذه المساكن القديمة مُهددة بالزوال خلال العقود القادمة إذا استمرت وتيرة تدهورها التي بدأت منذ حوالي ثلاثين عاماً وسبب هذا التدهور هو هجرانها وغياب الصيانة وأعمال التمددين وأعمال السلب المخربة. إن لهذه العمارة السكنية أهميتها الواضحة بسبب حالة حفظها الحالية الجيدة نسبياً التي مازالت تسمح في فهم ترتيب الأبنية ووظيفتها وحتى في فهم تنظيم القرى أحياناً. يجب توثيق هذه الأبنية وجمع المعلومات التي تعكس الصورة الأكثر مصداقية عن ماهية هذا المجتمع القروي لمنطقة سورية الجنوبية في أسرع وقت ممكن.

هنا يأتي دور الحاسوب الذي لا يقتصر فقط على توثيق الإرث الثقافي المراد حمايته أو إنقاذه أو حفظه ضمن بنوك معلومات تضم كل البيانات المتعلقة بهذا الإرث، وإنما يشمل هذا الدور أيضاً دراسة هذا الإرث دراسة تحليلية تتضمن مقارنة بياناته مع ما يماثلها فيما يتعلق بإرث ثقافي آخر مشابه. تُنفذ هذه الدراسات بشكل آمن في كثير من الأحيان أي دون الإضرار إلى تخريب الإرث إذ باستطاعة الحاسوب تأمين نموذج ثلاثي الأبعاد للموقع أو للبناء الإرثي مشابه للواقع بحيث يصبح في متناول العلماء يدرسونه تفصيلاً دون الخوف من إلحاق الضرر به ودون تكبد عناء التوجه إليه وخاصة إذا كان بعيداً جداً عن مكان تواجدهم. ليس هذا فحسب، فأنظمة الحاسوب قادرة أيضاً على توقع أماكن وجود مواقع أثرية لم يتم الكشف عنها بعد.

امتلاكنا للحاسوب لا يعني أنه باستطاعتنا القيام بكل هذه المهام بسهولة، إنه مشروع متكامل يحتاج إلى الجهد والمال والتأهيل والخبرة وإلى التعاون والتنسيق بين الدولة وبين أكثر من جهة علمية من علماء آثار ومهندسي معلوماتية وعمارة ومهندسين مدنيين وجيولوجيين إلخ... كل باختصاصه. لعلّ المثال المتعلق بدار مجرش الذي أوردته في بحثي يقدم نموذجاً بسيطاً عن أنواع التعاون هذه إذ قمت بالتعاون مع مهندسين مختصين وخبراء حاسوب بإنشاء نموذج مجسم ثلاثي الأبعاد لأجزاء من المسكن انطلاقاً من مخططات وصور ثنائية الأبعاد جاهدين ما أمكن أن يعكس هذا النموذج الوضع الحالي للدار مع إضفاء بعض الصفات الافتراضية. إنها مجرد خطوة في مسيرة هامة أكبر وأوسع هدفها الأوحده حفظ هذا الإرث من الضياع.

ملحق الأشكال واللوحات:

أولاً: الأشكال:



الشكل 1 خارطة جنوب سورية - حوران¹³⁰.



الشكل. 4 قطع حجرية مقطعة على شكل عُقَب¹³³.



الشكل. 5 تلبيسة مؤلفة من طبقتين¹³⁴.

¹³³ Clause-Balty, P: 2008, P. 54.

¹³⁴ Clause-Balty, P: 2008, P. 55.



الشكل. 6 تلييسة مزخرفة¹³⁵.

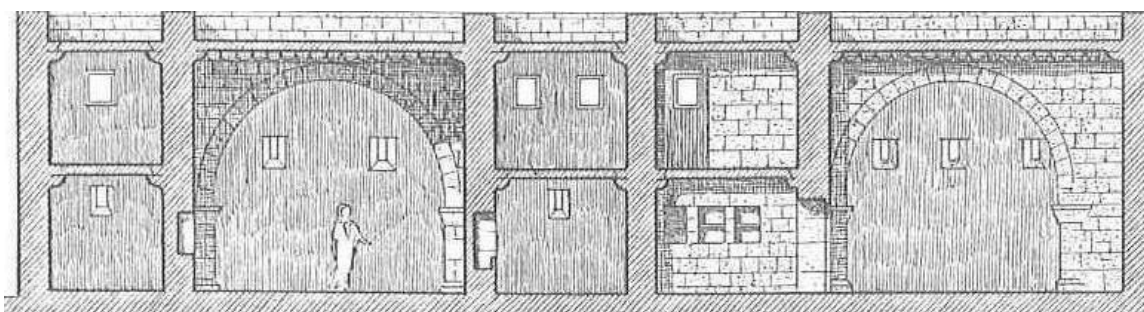


الشكل. 7 بطنية ساكف الباب¹³⁶.

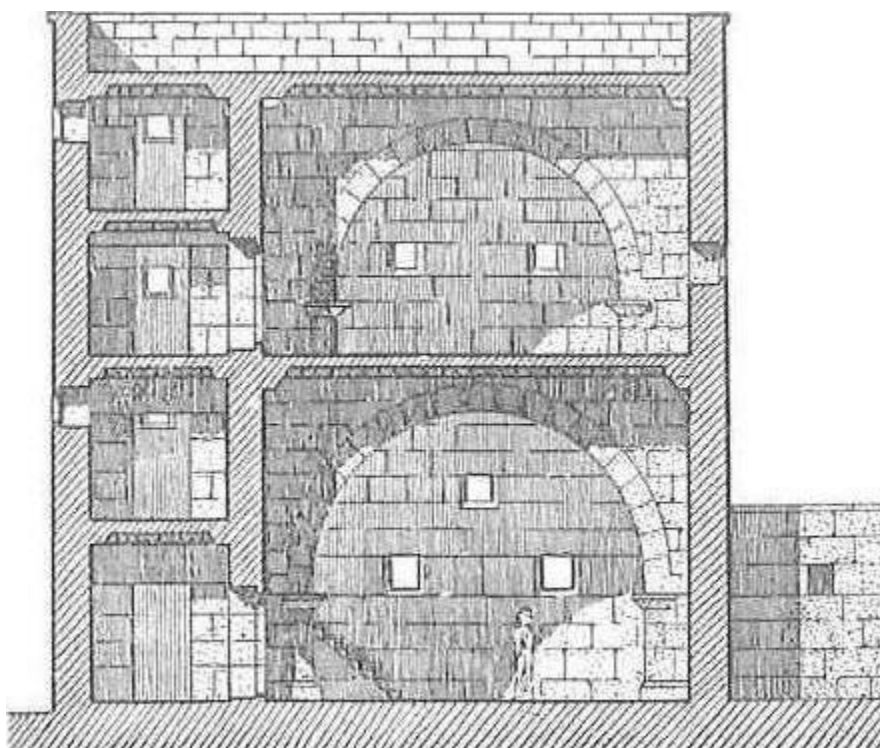
¹³⁵ Clause-Balty, P: 2008, P. 55.

¹³⁶ Clause-Balty, P: 2008, P. 56.

الشكل. 8.

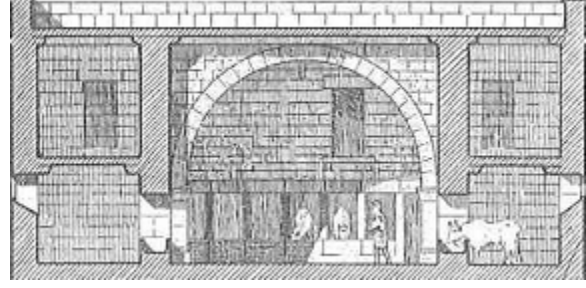


أ- وحدتان معماريتان بجانب بعضهما البعض.



ب- وحدتان معماريتان متناضدتان¹³⁷.

¹³⁷ Clause-Balty, P: 2008, P. 58.



الشكل 9 وحدة معمارية تحتوي على إسطبل في الطابق الأرضي للغرف الجانبية¹³⁸.



الشكل 10 واجهة المسكن رقم (1) في كفر ناسج¹³⁹.

¹³⁸ Clause-Balty, P: 2008, P. 58.

¹³⁹ Clause-Balty, P: 2008, P. 60.



الشكل. 11 واجهة البناء الغربي للمسكن رقم (3) في كفر شمس¹⁴⁰.



الشكل. 12 قاعدة عمود في المسكن رقم (3) في كفر شمس¹⁴¹.

¹⁴⁰ Clause-Balty, P: 2008, P. 60.

¹⁴¹ Clause-Balty, P: 2008, P. 60.



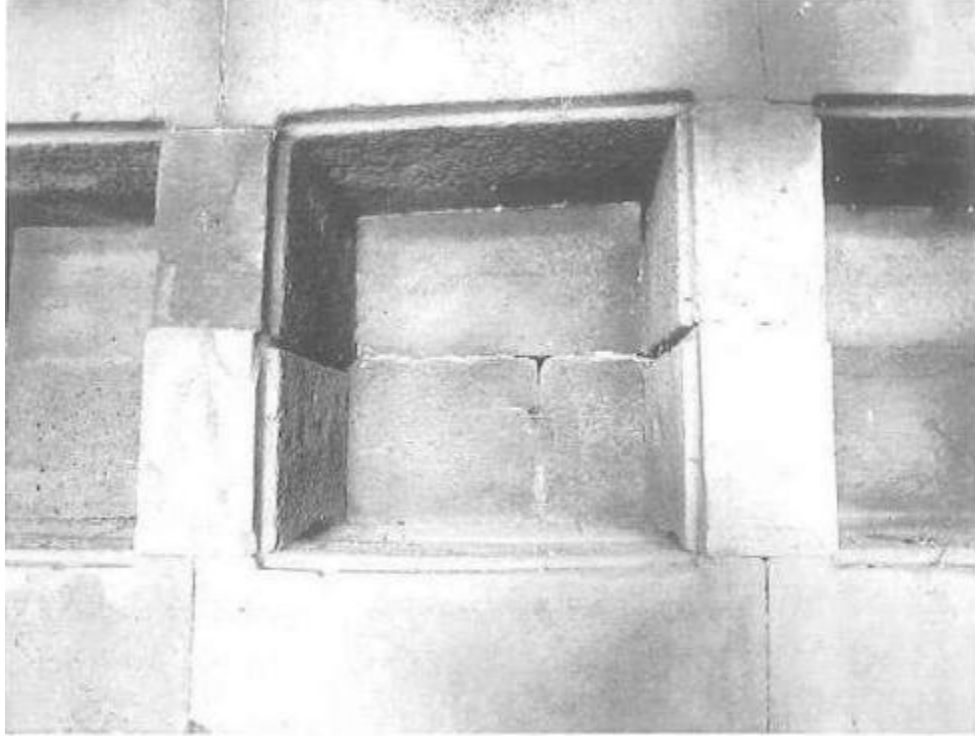
الشكل. 13 معالف تعلوها كوات في المسكن (D) في معربا¹⁴².



الشكل. 14 غرفة حَجلة في المسكن رقم (3) في خربة غزالة¹⁴³.

¹⁴² Clause-Balty, P: 2008, P. 63.

¹⁴³ Clause-Balty, P: 2008, P. 64.



الشكل. 15 خزائن برقوق تتوسطها¹⁴⁴.



الشكل. 16 ركنة في المسكن رقم (1) في خربة غزالة¹⁴⁵.

¹⁴⁴ Clause-Balty, P: 2008, P. 67.

¹⁴⁵ Clause-Balty, P: 2008, P. 68.



الشكل. 17 مكان لوضع الجرار في المسكن رقم (1) في كفر ناسج¹⁴⁶.



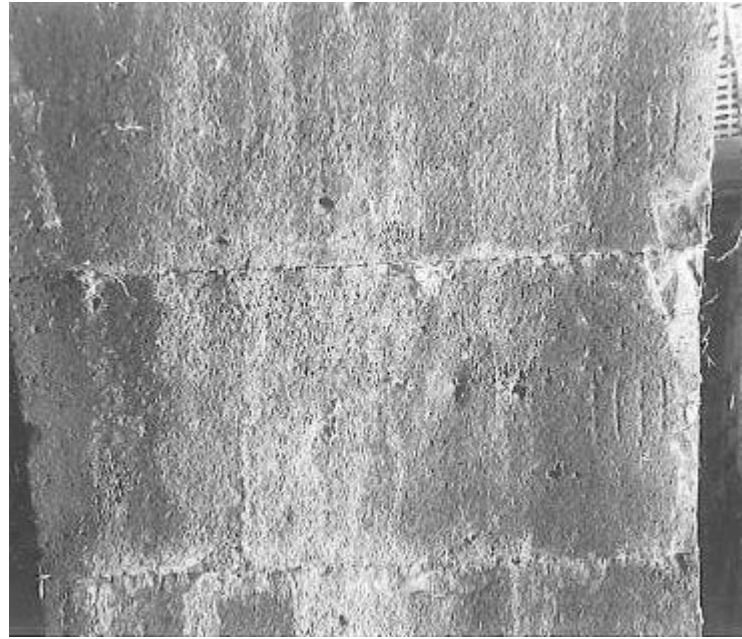
الشكل 18. بيت العلو يستند على الجزء البارز من برج قصر انخل¹⁴⁷.

¹⁴⁶ Clause-Balty, P: 2008, P. 68.

¹⁴⁷ Clause-Balty, P: 2008, P. 72.



الشكل. 19 برج مُضاف إلى المسكن رقم (1) في كفر شمس¹⁴⁸.



الشكل. 20 صُنجات العقد قبل إعادة رفعه في المسكن رقم (3) في كفر ناسج¹⁴⁹.

¹⁴⁸ Clause-Balty, P: 2008, P. 72.

¹⁴⁹ Clause-Balty, P: 2008, P. 73.



الشكل. 21 صورة عن حي قديم في كفر ناسج¹⁵⁰.



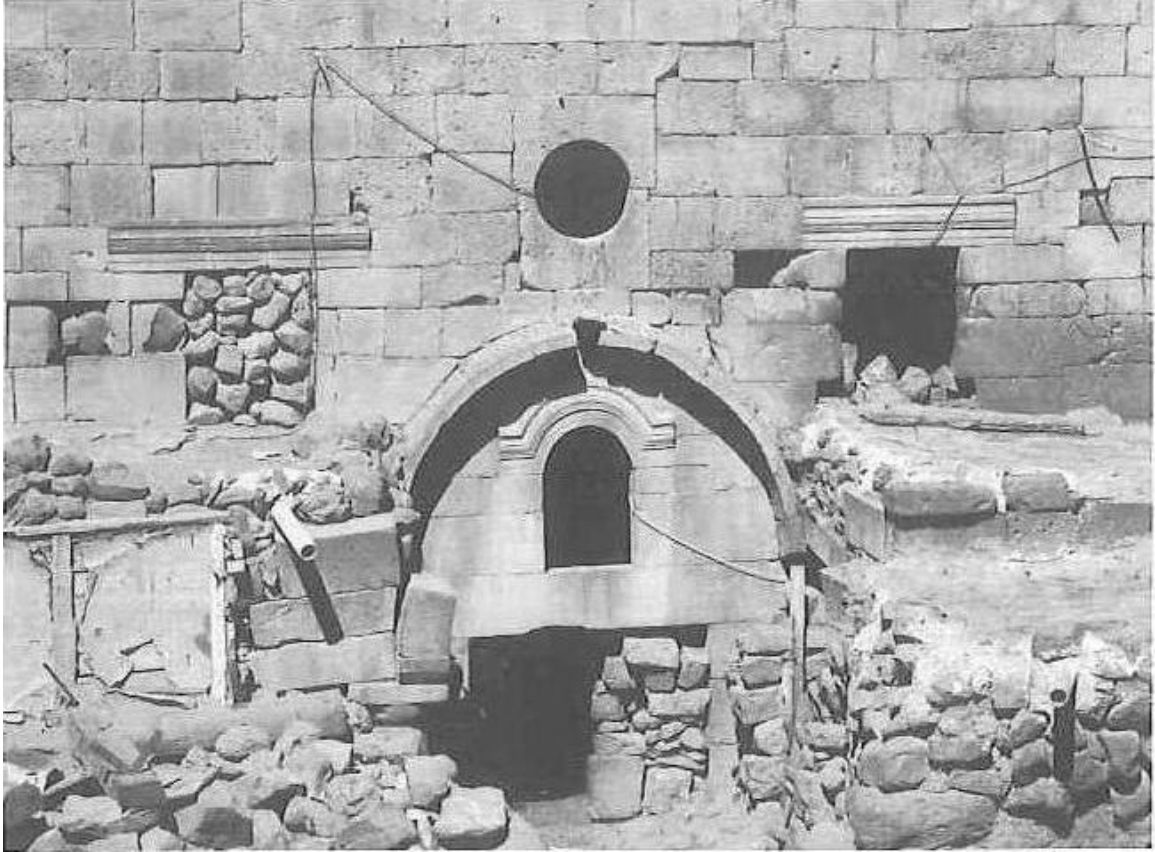
الشكل. 22 تمثال نصفى لطفل إيزيسي في المسكن رقم (3) في كفر ناسج¹⁵¹.

¹⁵⁰ Clause-Balty, P: 2008, P. 47.

¹⁵¹ Clause-Balty, P: 2008, P. 74.



الشكل. 23 ساكف منقوش في مسكن الفروان في انخل¹⁵².



الشكل. 24 كفر ناسج، الواجهة المطلة على فناء المسكن رقم (2)¹⁵³.

¹⁵² Clause-Balty, P: 2008, P. 184.

¹⁵³ Clause-Balty, P: 2008, P. 185.



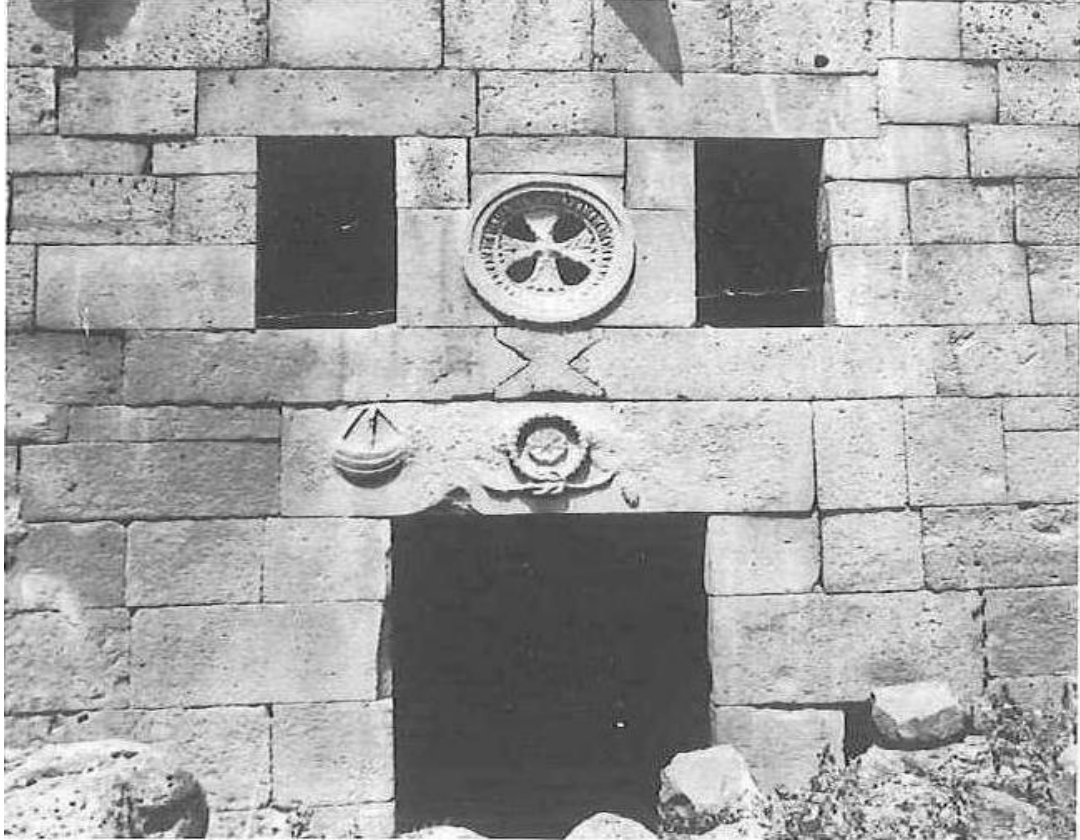
الشكل. 25 شقّا، الواجهة المُطلّة على شارع القصر¹⁵⁴.



الشكل. 26 قصر انخل، الزخرفة الموجودة في أسفل إطار الباب المركزي للقصر¹⁵⁵.

¹⁵⁴ Clause-Balty, P: 2008, P. 185.

¹⁵⁵ Clause-Balty, P: 2008, P. 149.



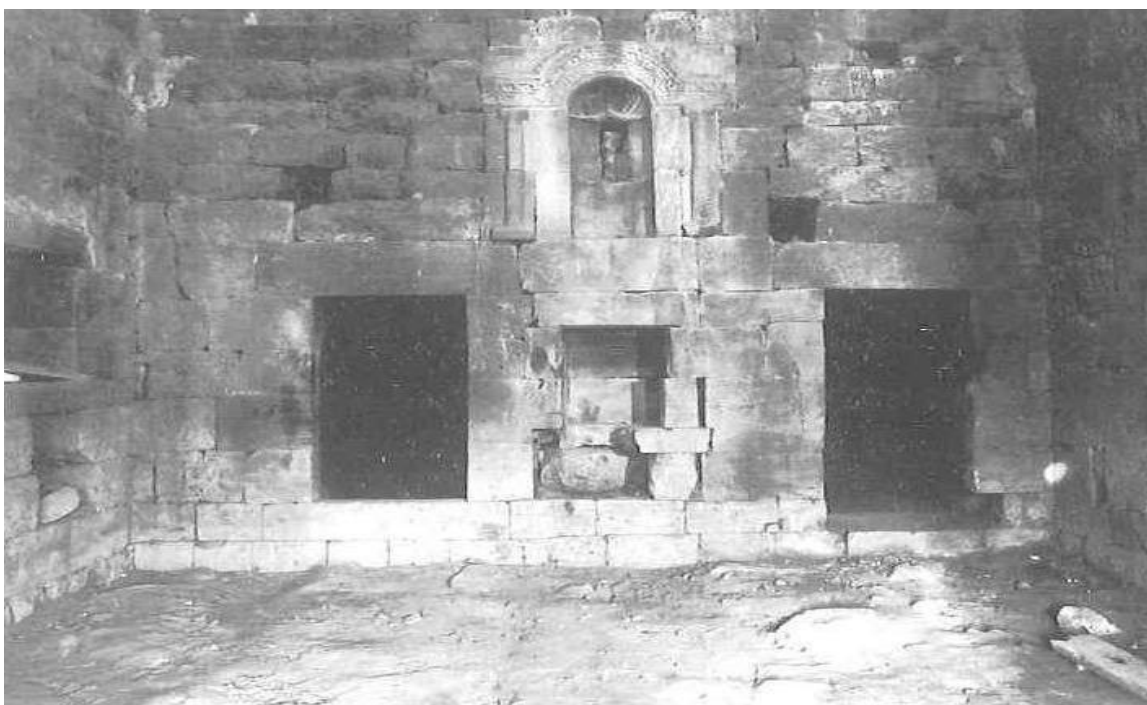
الشكل. 27 الكرك، المسكن رقم (1)¹⁵⁶.



الشكل. 28 كفر ناسج، المسكن رقم (1)¹⁵⁷.

¹⁵⁶ Clause-Balty, P: 2008, P. 192.

¹⁵⁷ Clause-Balty, P: 2008, P. 192.



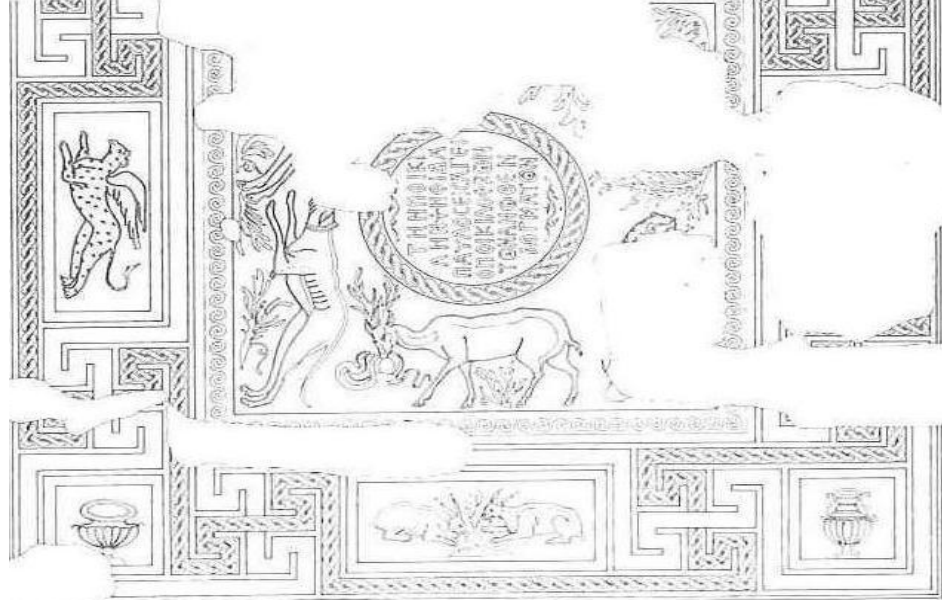
الشكل. 29 قصر انخل، مشكاة موجودة داخل القصر¹⁵⁸.



الشكل. 30 قصر انخل، مشكاة مُضاعفة¹⁵⁹.

¹⁵⁸ Clause-Balty, P: 2008, P. 145.

¹⁵⁹ Clause-Balty, P: 2008, P. 142.



الشكل. 31 أفاشيا، زخرفة الصلبان المعقوفة التي تتناوب مع مربعات ومستطيلات تحتوي مشاهد تصويرية¹⁶⁰.



الشكل. 32 الخالدية، زخرفة الصلبان المعقوفة المتناوبة مع مربعات تحتوي مشاهد تصويرية¹⁶¹.

¹⁶⁰ Clause-Balty, P: 2008, P. 194.

¹⁶¹ Clause-Balty, P: 2008, P. 194.



الشكل 33 نوى، بيت جهماني: زخرفة الوريدات والصلبان المعقوفة المنقوشة على سقف غرفة الحجلة¹⁶².



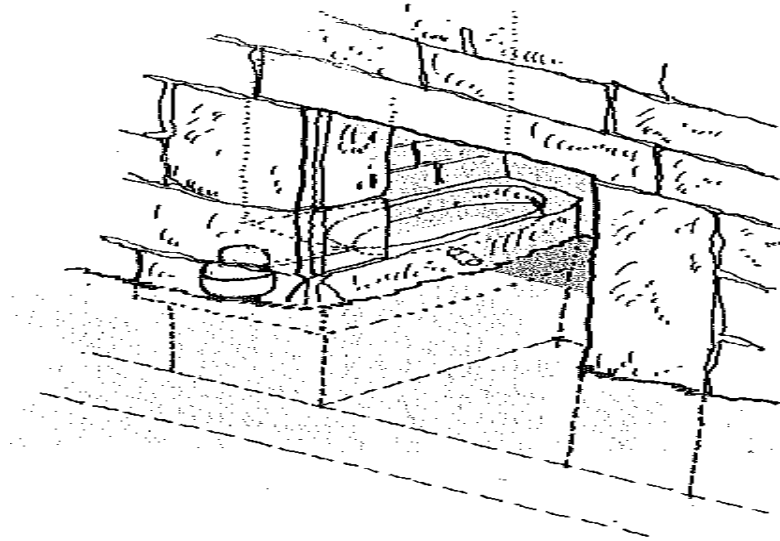
الشكل 34 كفر شمس، نقش يمثل مناجاة إله واحد على قوس القاعة (002) في المسكن رقم (1)¹⁶³.

¹⁶² Clause-Balty, P: 2008, P. 194.

¹⁶³ Clause-Balty, P: 2008, P. 201.



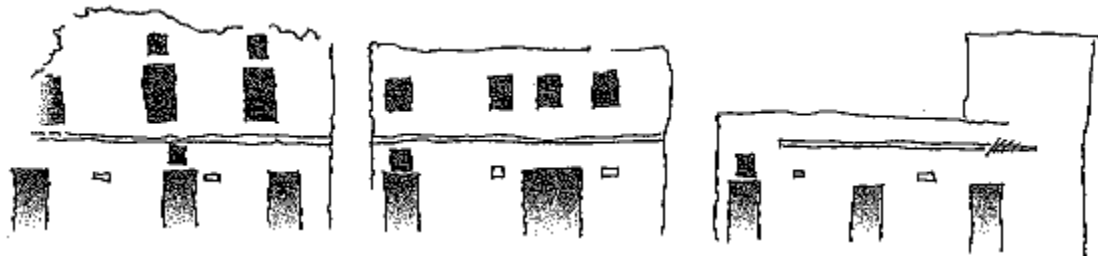
الشكل. 35 أنية صغيرة جانب مدخل ركنة في بيت العواميد في عمرة¹⁶⁴.



الشكل. 36 أنية صغيرة وحوض ضمن كتلة حجرية واحدة في ركنة بناء صغير جانب الكنيسة جنوبي هيت¹⁶⁵.

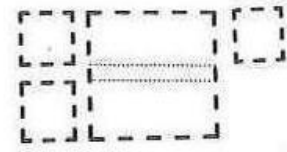
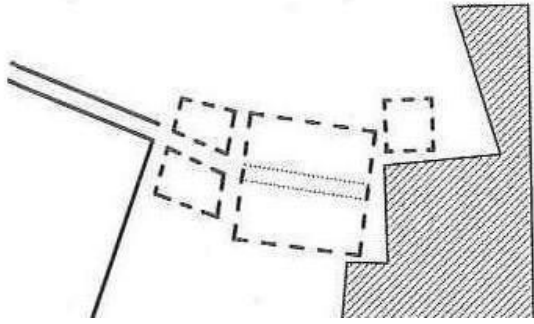
¹⁶⁴ Bodo, Ph/Clauss-Balty, P: Une maison antique à Amrah de Melchior de vogué à nos jours, *Syria*, 2009 P. 242.

¹⁶⁵ Bodo, Ph/Clauss-Balty, P: 2009, P. 242.

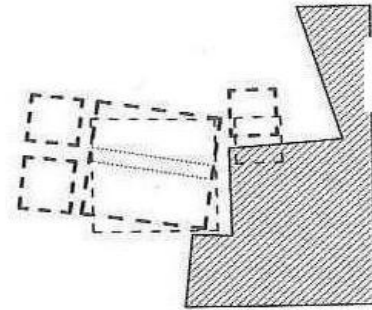
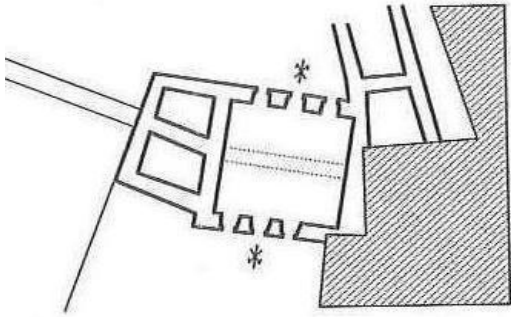


الشكل 37 مخطط أولي للواجهات الجنوبية والغربية والشمالية المطلّة على الفناء¹⁶⁶.

¹⁶⁶ Bodo, Ph/Clauss-Balty, P: 2009, P. 245.



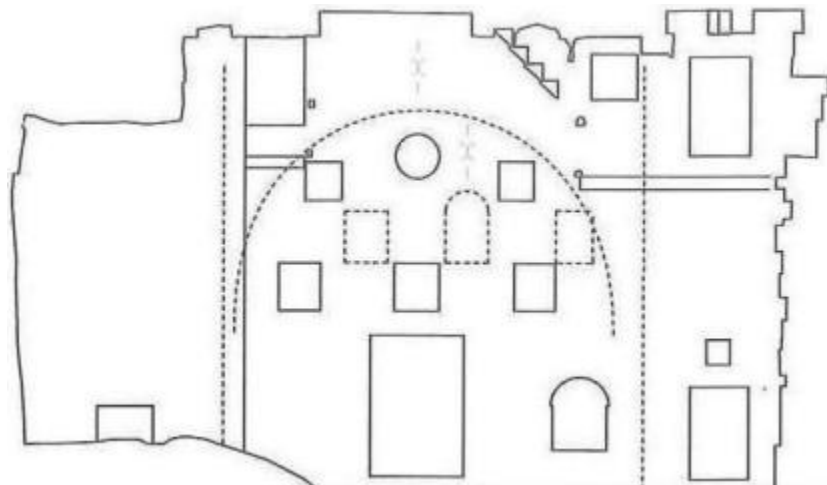
أ- المخطط الأساسي: قاعة القوس والغرف المجاورة.



ج- الانحراف عن المحور وتغيير شكل البناء الأساسي.

ب- اندماج داخل محيط البناء.

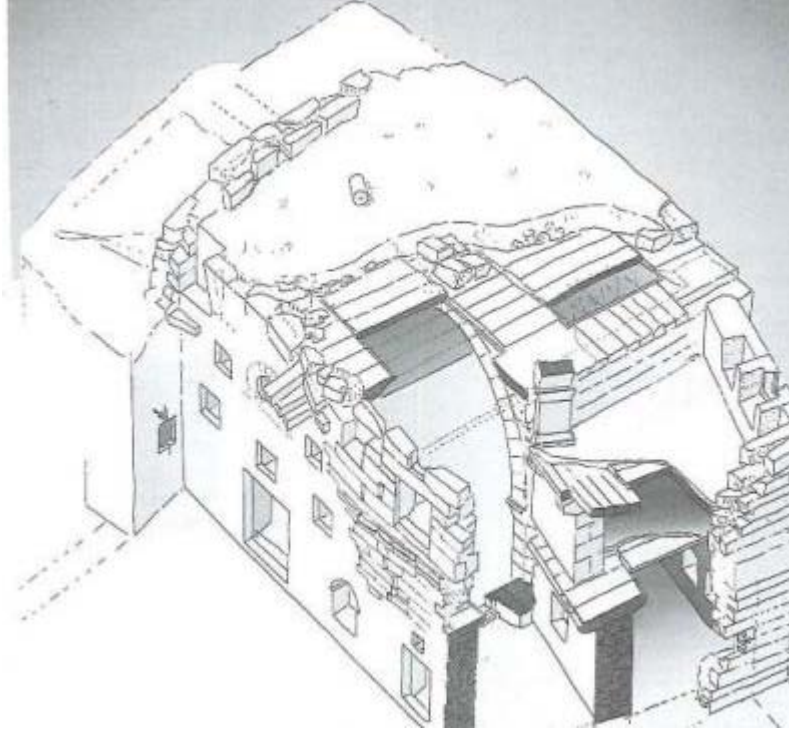
الشكل 38 تغيير شكل البناء وفقاً للمحيط¹⁶⁷.



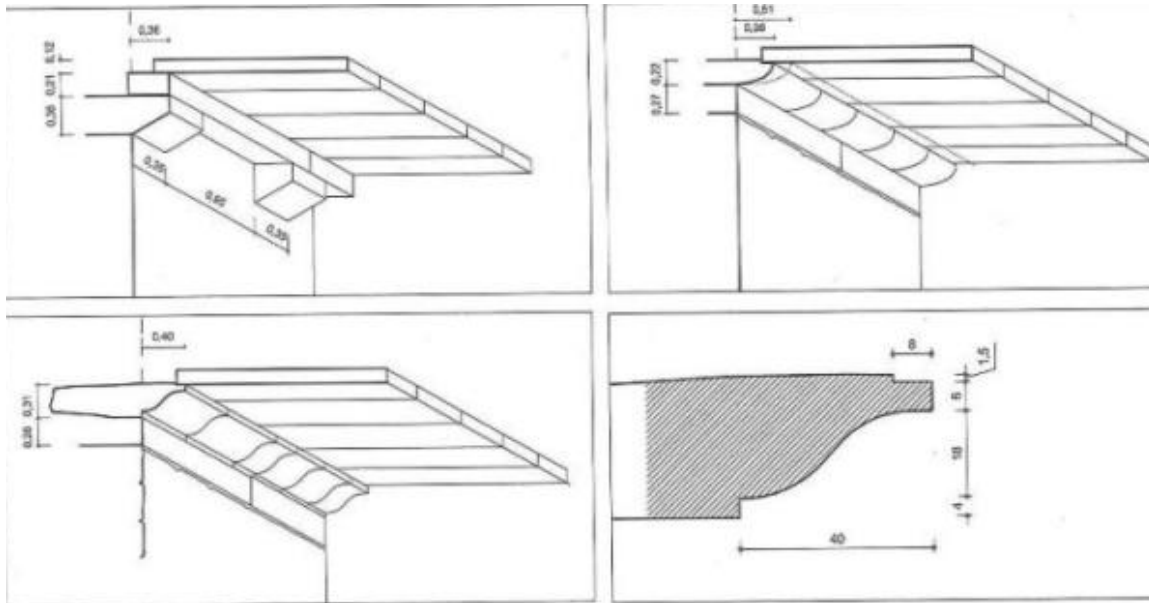
الشكل 39 مسقط الواجهة الجنوبية على الواجهة الشمالية¹⁶⁸.

¹⁶⁷ Clause-Balty, P: 2008, P. 106.

¹⁶⁸ Clause-Balty, P: 2008, P. 107.



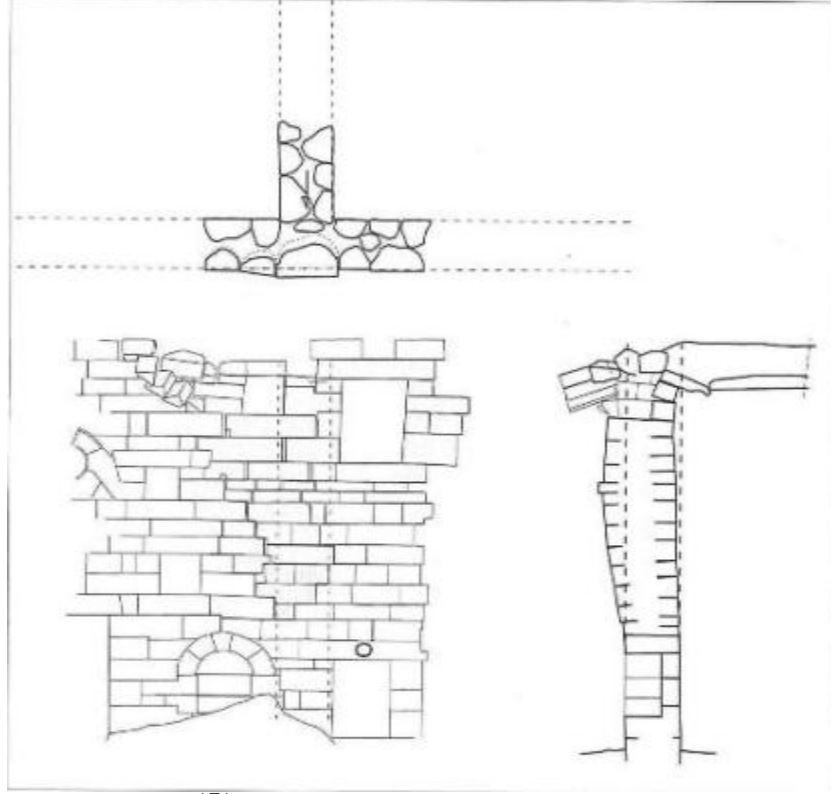
الشكل. 40 المنافذ¹⁶⁹.



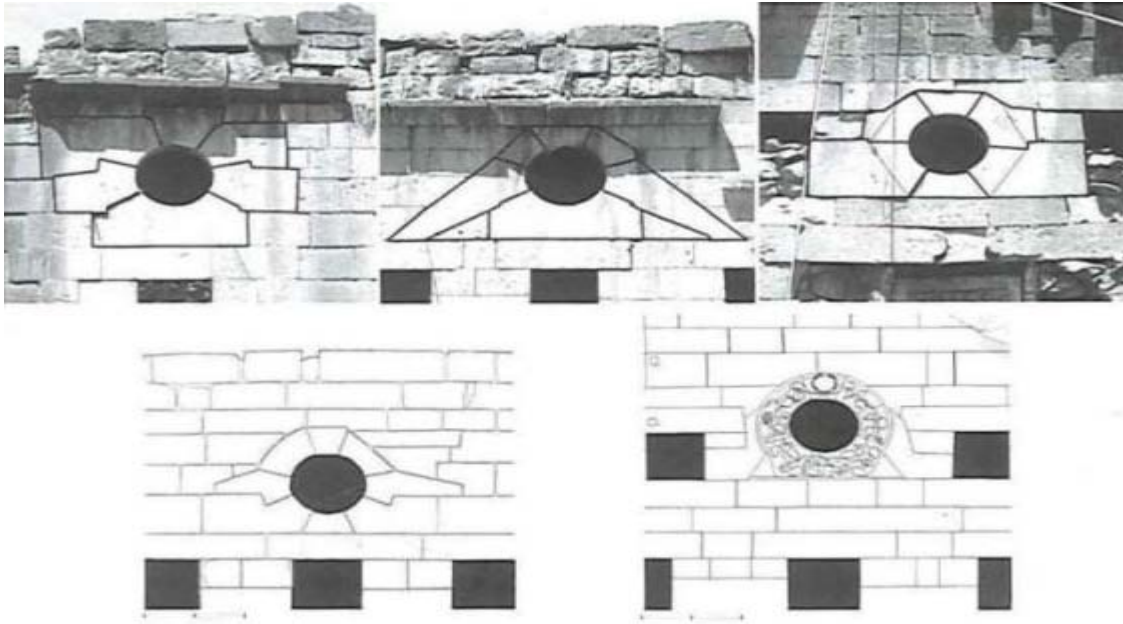
الشكل. 41 سقوف وأطراف¹⁷⁰.

¹⁶⁹ Clause-Balty, P: 2008, P. 110.

¹⁷⁰ Clause-Balty, P: 2008, P. 111.



الشكل. 42 الحجارة المتفككة إثر الصدمة باللون الرمادي¹⁷¹.

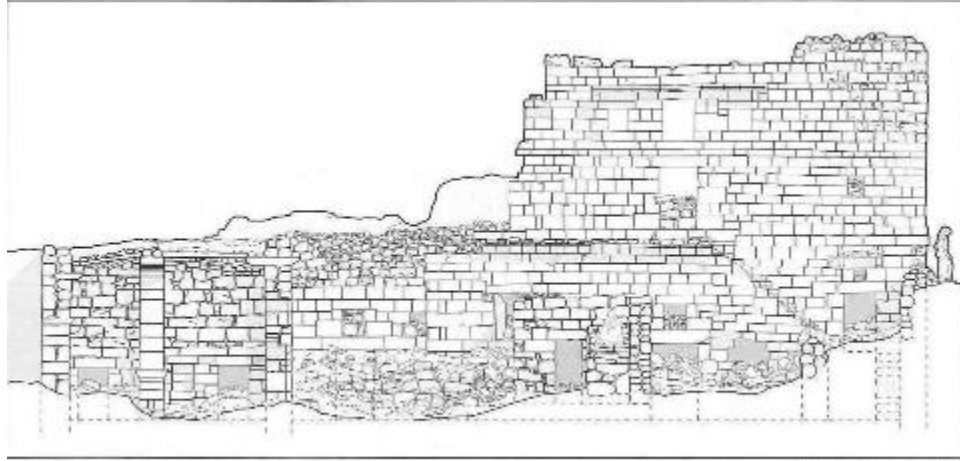


الشكل. 43 النوافذ الدائرية¹⁷²

¹⁷¹ Clause-Balty, P: 2008, P. 112.

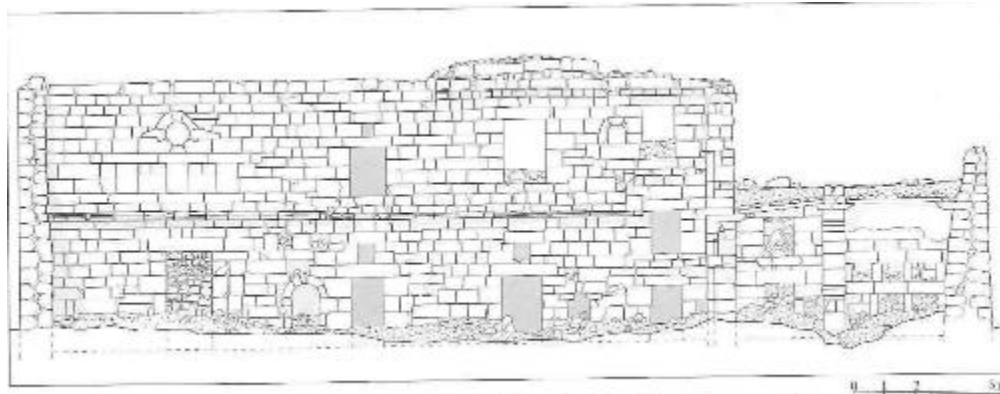
¹⁷² ¹⁷² Clause-Balty, P: 2008, P. 113.

ثانياً: اللوحات:



مقطع غربي/شرقي مع واجهة البناء الشمالي.

اللوحة 1¹⁷³.

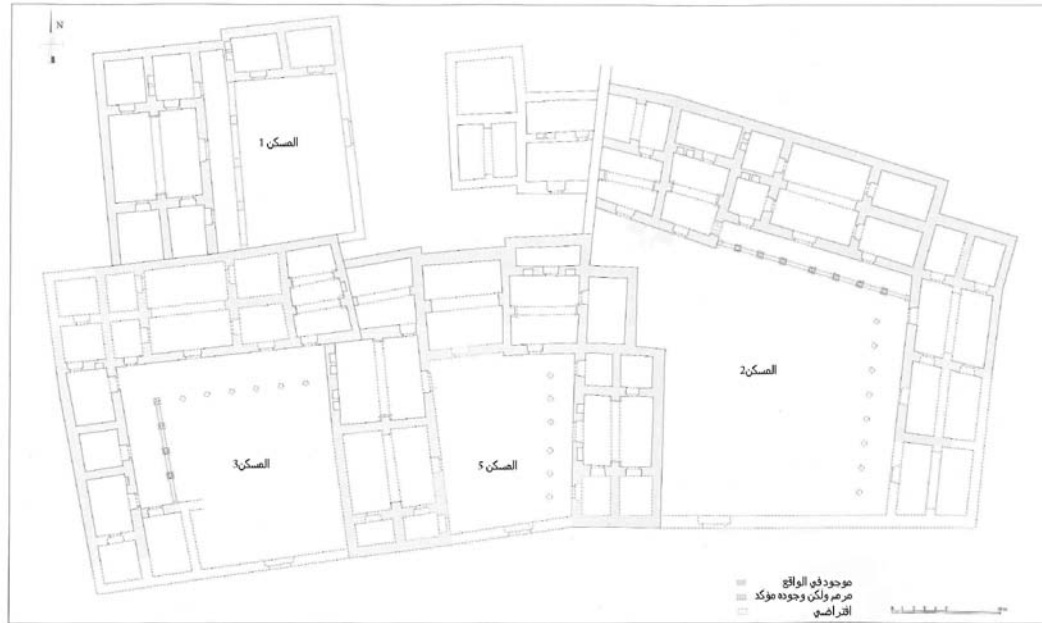


مقطع جنوبي/شمالي مع واجهة البناء الغربي.

اللوحة 2¹⁷⁴.

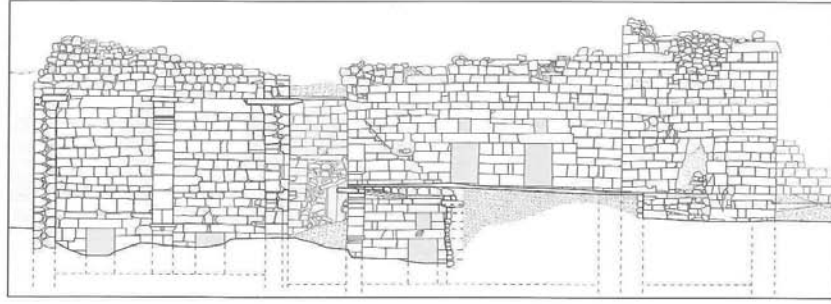
¹⁷³ Clause-Balty, P: L'habitat dans les campagnes de Syrie du sud, *Hauran3*, Beyrout, 2008, P. 102.

¹⁷⁴ Clause-Balty, P: 2008, P. 96.

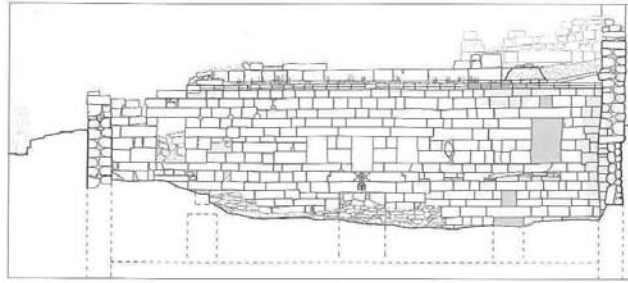


اللوحة 3 اقتراح تعديل المخطط الأصلي لأربعة مساكن في كفر شمس¹⁷⁵.

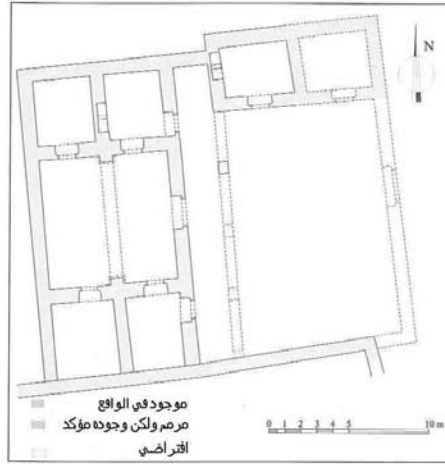
¹⁷⁵ Clause-Balty, P: 2008, P. 83-84.



أ- مقطع غربي/شرقي مع واجهة البناء الشمالي.



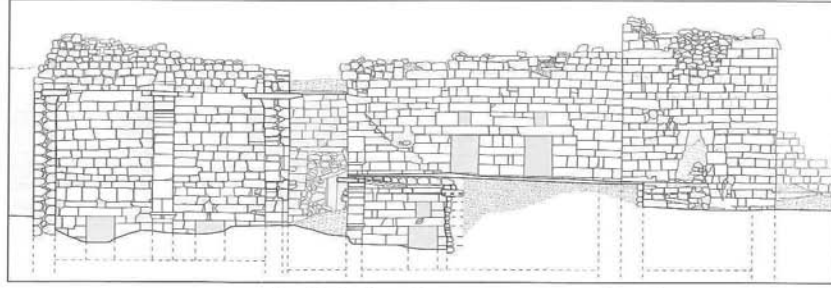
ب- واجهة البناء الغربي.



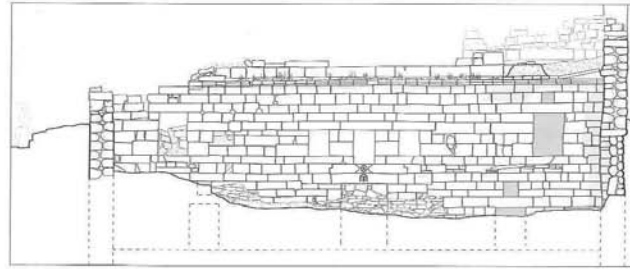
ج- اقتراح تعديل المخطط الأصلي للطابق الأرضي.

اللوحة 4 المسكن رقم (2) في كفر شمس¹⁷⁶.

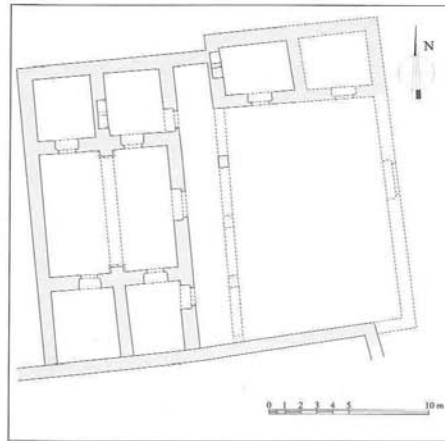
¹⁷⁶ Clause-Balty, P: 2008, P. 86.



أ- مقطع غربي/شرقي مع واجهة البناء الشمالي.



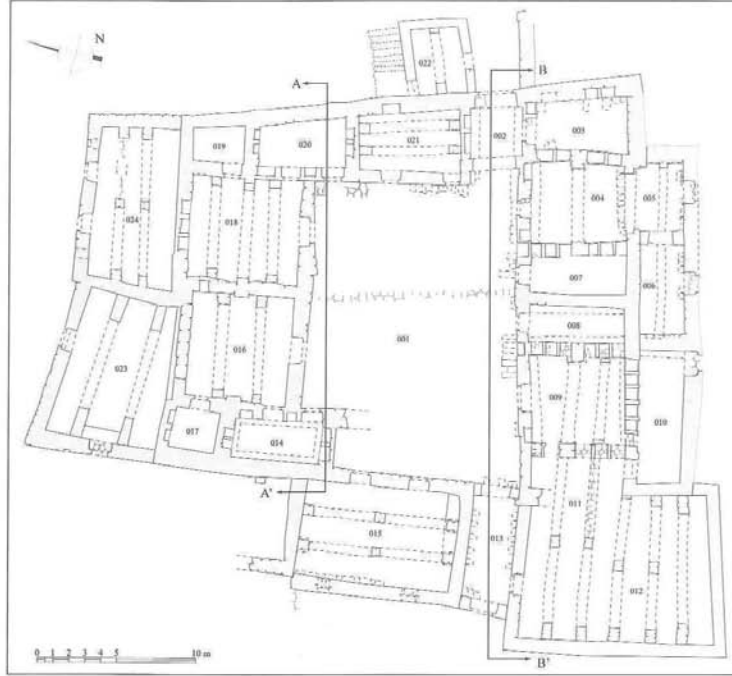
ب- واجهة البناء الغربي.



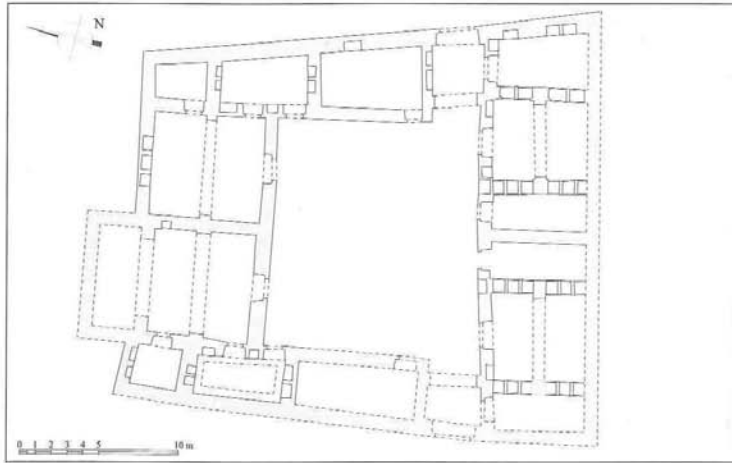
ج- اقتراح تعديل المخطط
موجود في الواقع
مرمم ولكن وجوده مؤكد
الأصلي للطابق الأرضي. اقتراضي

¹⁷⁷اللوحة. 5 المسكن رقم (1) في كفر شمس.

¹⁷⁷ Clause-Balty, P: 2008, P. 85.



أ- المخطط الحالي للطابق الأرضي.

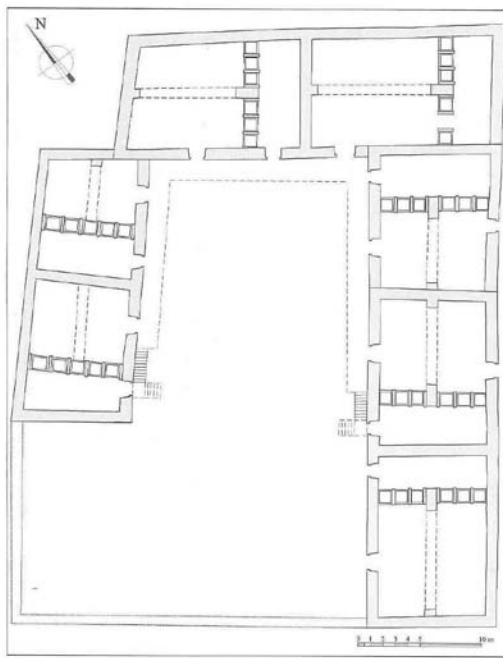


ب- اقتراح المخطط الأصلي للطابق الأرضي.

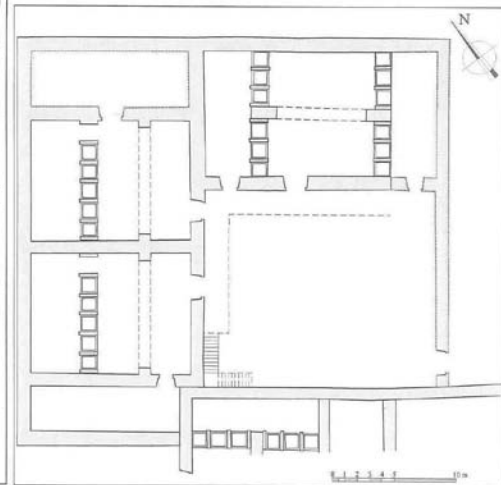
- موجود في الواقع
- مرمر ولكن وجوده مؤكد
- افتراضي

¹⁷⁸ اللوحة 6 المسكن رقم (11) في محجة.

¹⁷⁸ Clause-Balty, P: 2008, P. 93.



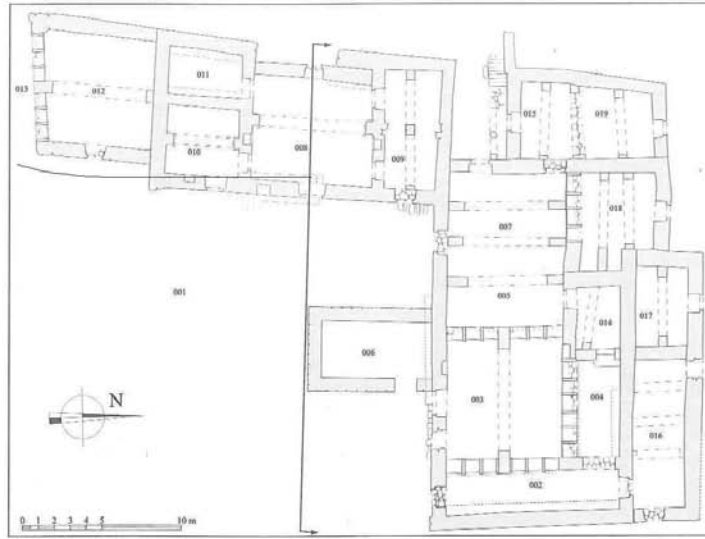
أ- اقتراح المخطط الأصلي للطابق الأرضي للمسكن D.



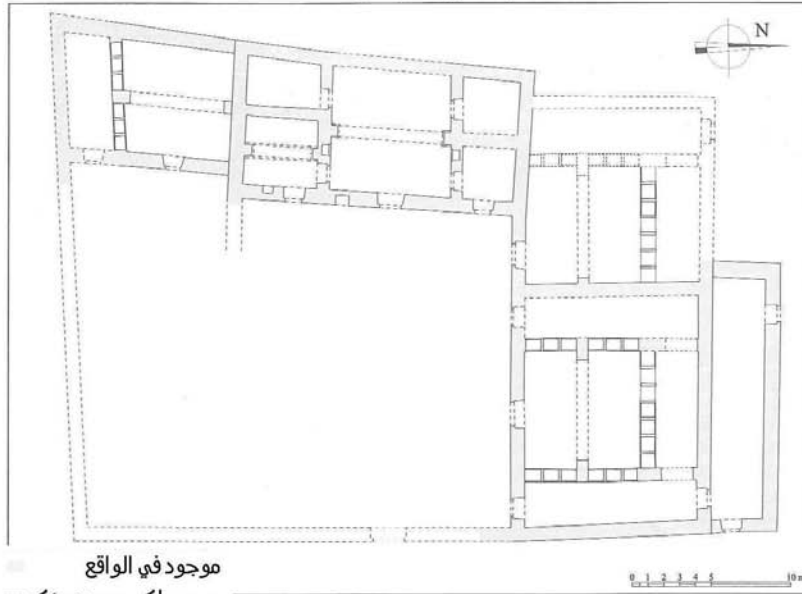
ب- اقتراح المخطط الأصلي للطابق الأرضي للمسكن E.

.¹⁷⁹ اللوحة 7 المسكن د و إي في معربا

¹⁷⁹ Clause-Balty, P: 2008, P. 99.



أ- المخطط الحالي للطابق الأرضي.

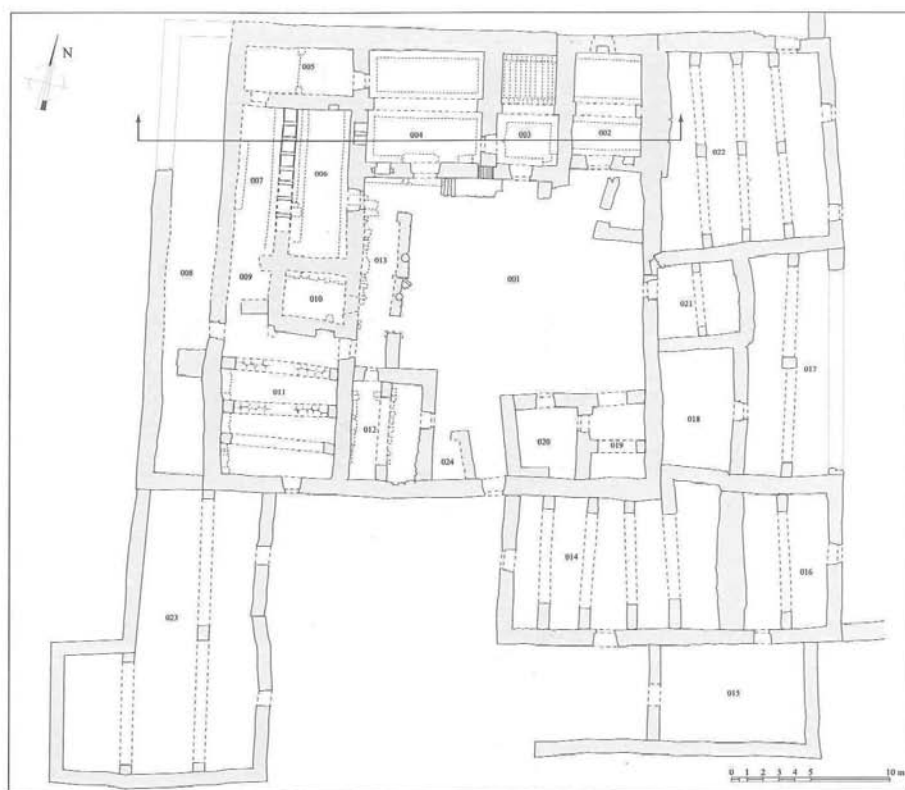


موجود في الواقع
مرمم ولكن وجوده مؤكد
اقتراضي

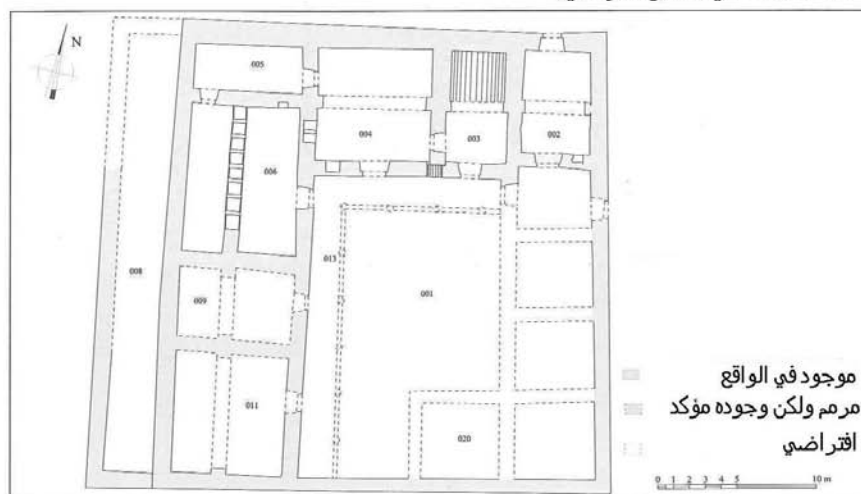
ب- اقتراح المخطط الأصلي للطابق الأرضي.

¹⁸⁰ اللوحة 8 قصر معربا

¹⁸⁰ Clause-Balty, P: 2008, P. 103.



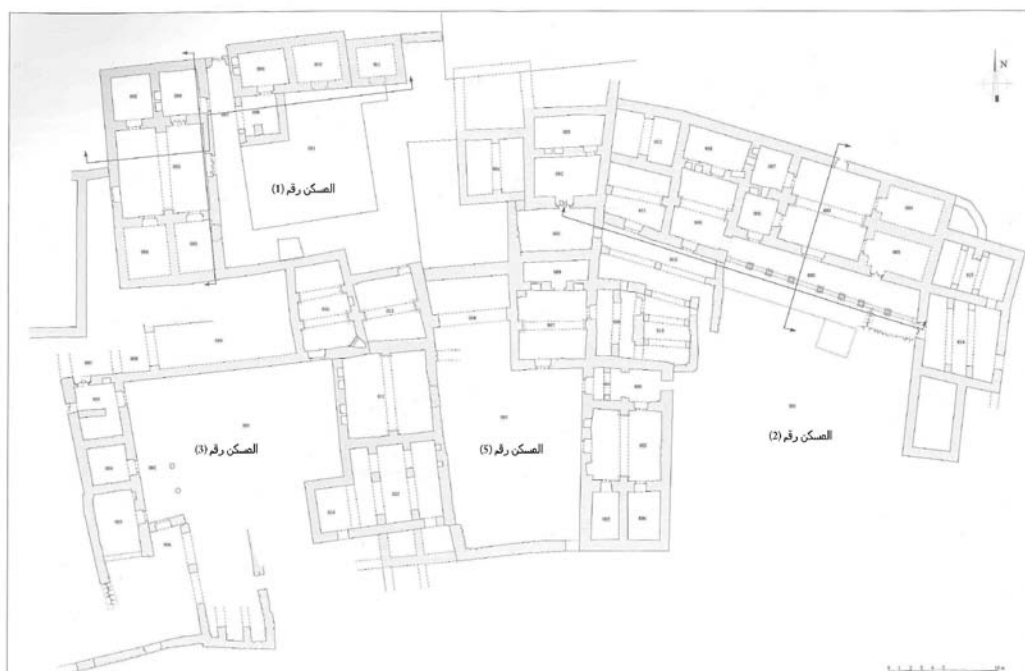
أ- المخطط الحالي للطابق الأرضي.



ب- اقتراح المخطط الأصلي للطابق الأرضي.

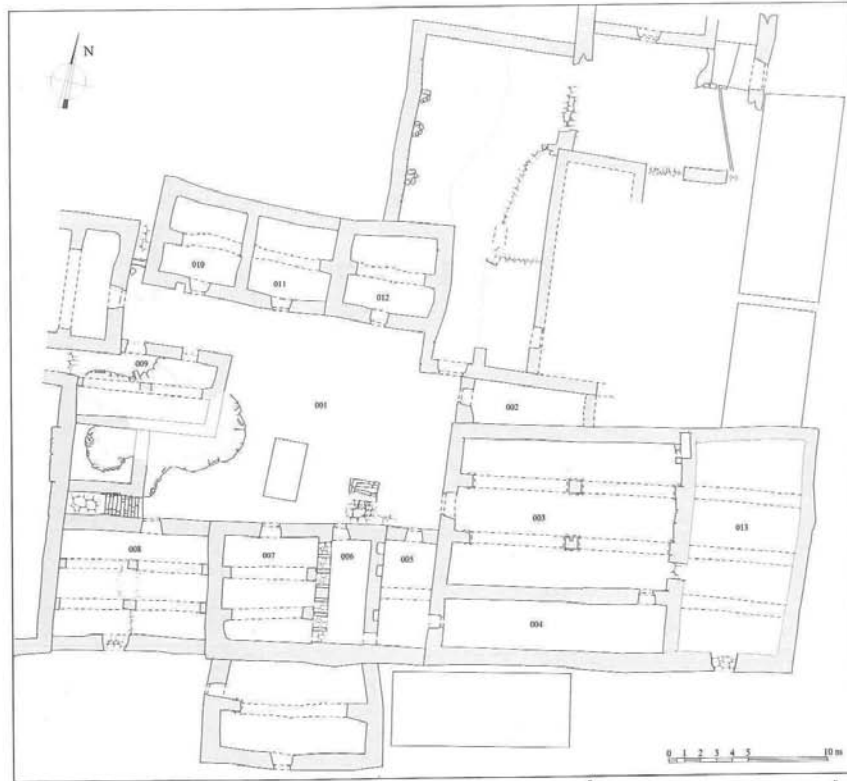
¹⁸¹ اللوحة 9 المسكن رقم (3) في خربة غزالة

¹⁸¹ Clause-Balty, P: 2008, P. 101.

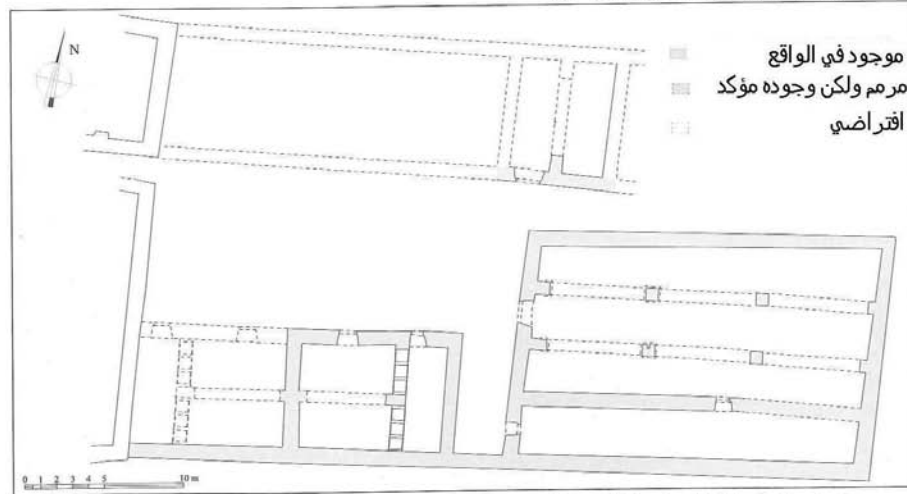


182. اللوحة 10 مخطط حالي لأربعة مساكن في كفر شمس

¹⁸² Clause-Balty, P: 2008, P. 81-82.



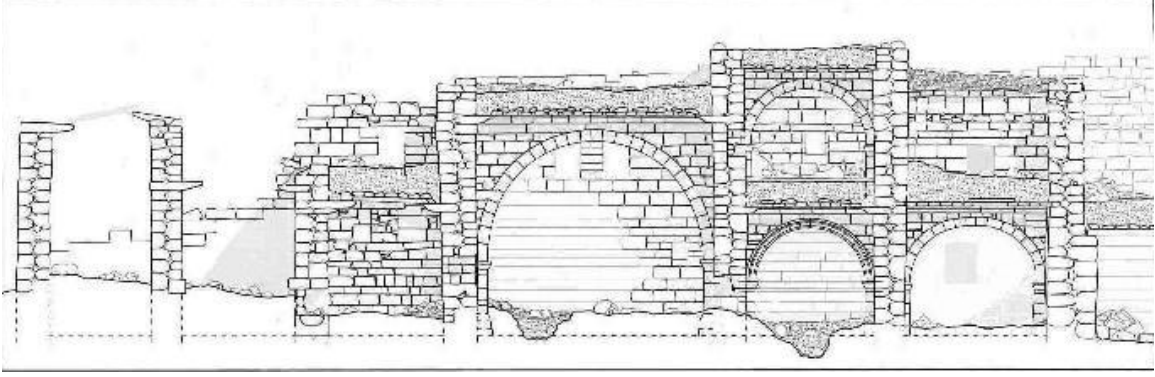
أ- المخطط الحالي للطابق الأرضي.



ب- اقتراح المخطط الأصلي للطابق الأرضي.

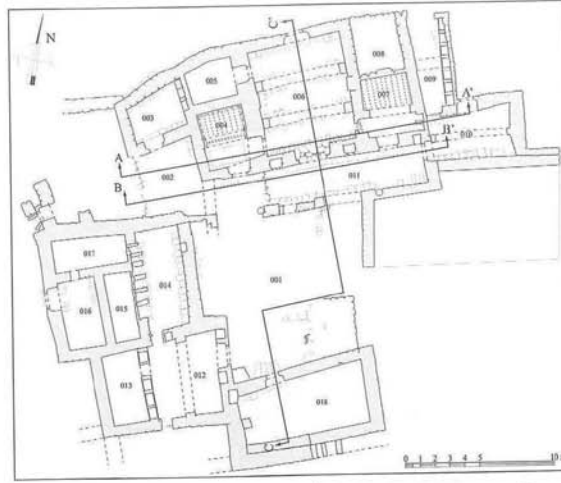
¹⁸³ اللوحة. 11 المسكن رقم (2) في خربة غزالة

¹⁸³ Clause-Balty, P: 2008, P. 98.

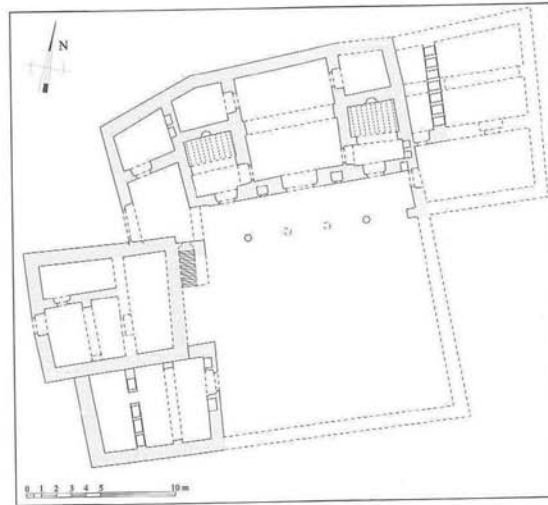


.¹⁸⁴ اللوحة. 12 المسكن رقم (3) في خربة غزالة

¹⁸⁴ Clause-Balty, P: 2008, P. 100.



أ- المخطط الحالي للطابق الأرضي.

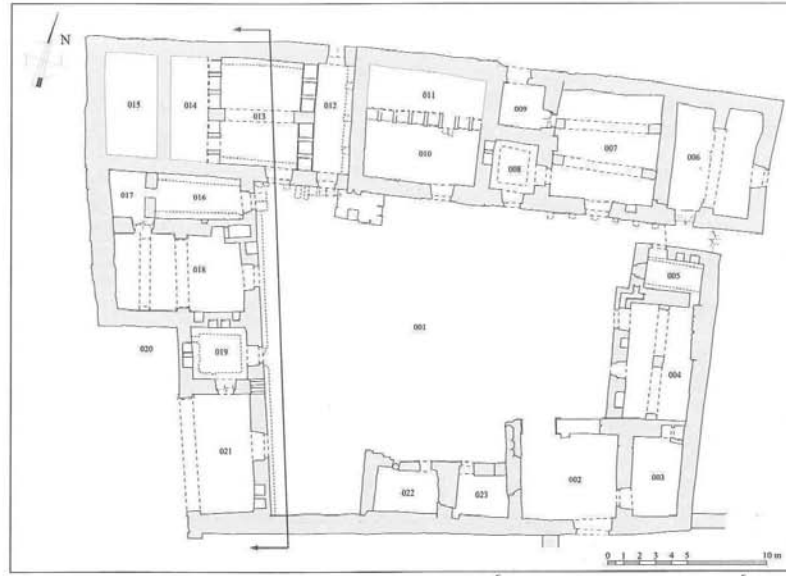


ب- اقتراح المخطط الأصلي للطابق الأرضي.

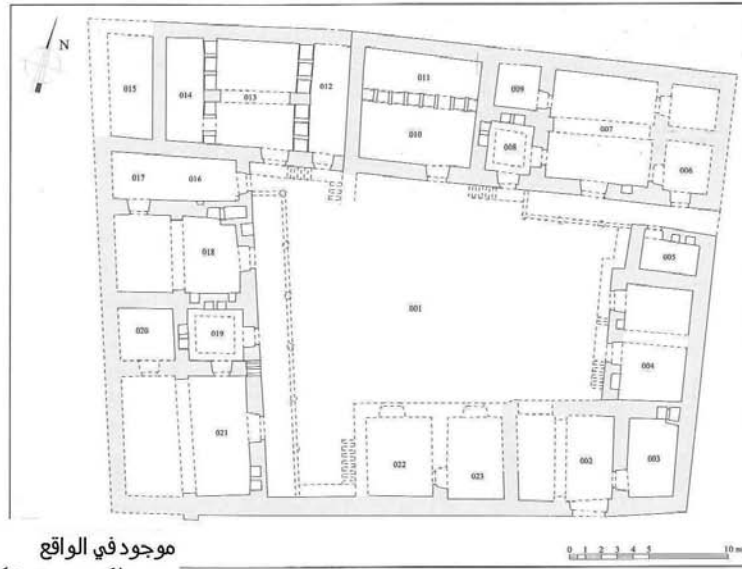
موجود في الواقع
 مرمر ولكن وجوده مؤكد
 افتراضي

¹⁸⁵ اللوحة. 13 المسكن رقم (3) في محبة

¹⁸⁵ Clause-Balty, P: 2008, P. 91.



أ- المخطط الحالي للطابق الأرضي.

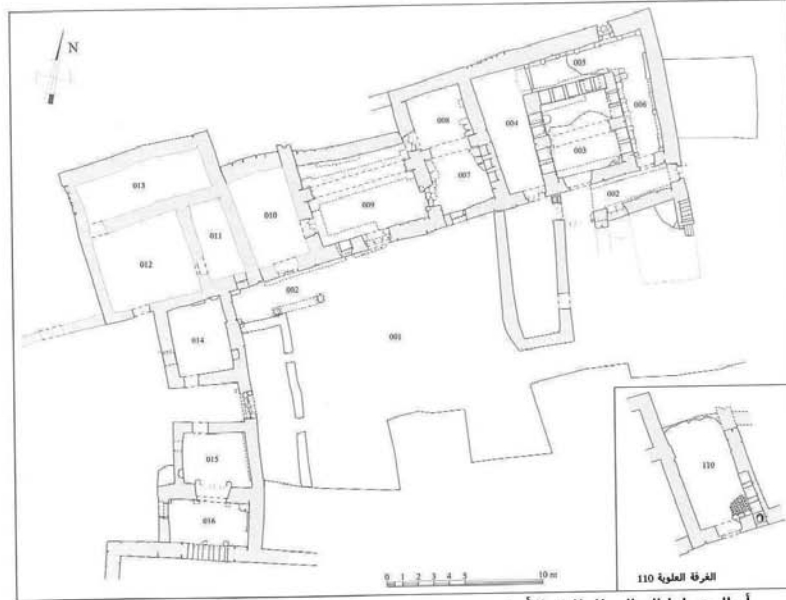


موجود في الواقع
 مرمم ولكن وجوده مؤكد
 افتراضي

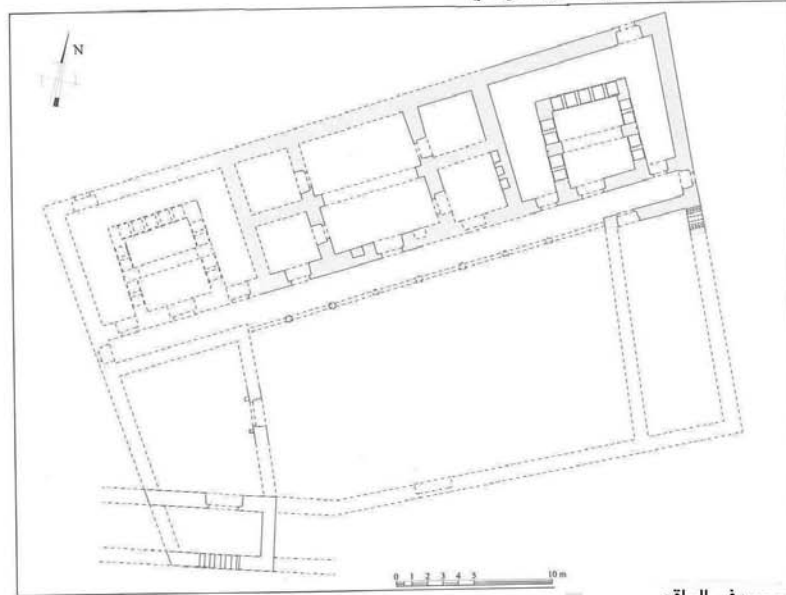
ب- اقتراح المخطط الأصلي للطابق الأرضي.

¹⁸⁶ اللوحة. 14 المسكن رقم (1) في خربة غزالة

¹⁸⁶ Clause-Balty, P: 2008, P. 97.



أ- المخطط الحالي للطابق الأرضي.

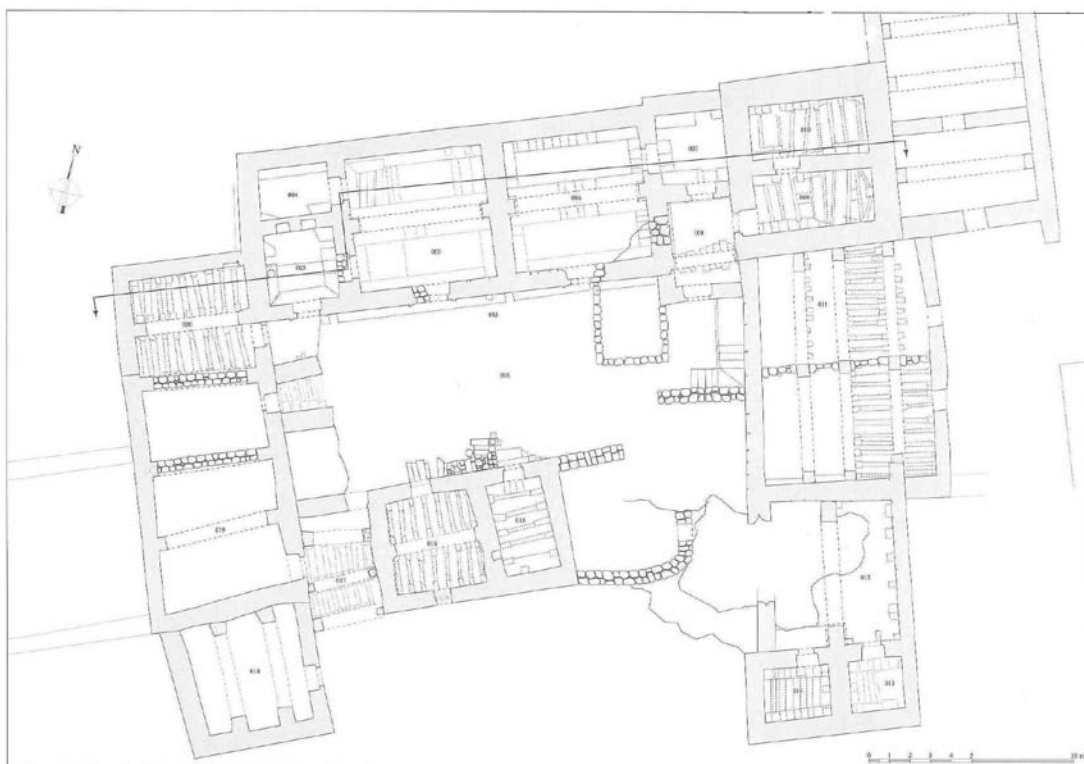


ب- اقتراح المخطط الأصلي للطابق الأرضي.

موجود في الواقع
مرم ولكن وجوده مؤكد
افتراضي

¹⁸⁷ اللوحة. 15 المسكن رقم (1) في كفر ناسج.

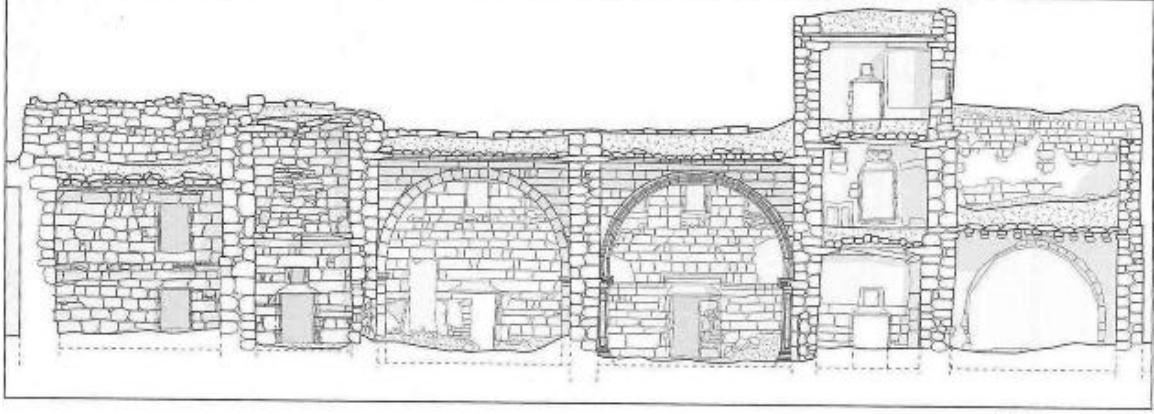
¹⁸⁷ Clause-Balty, P: 2008, P. 87.



المخطط الحالي للطابق الأرضي.

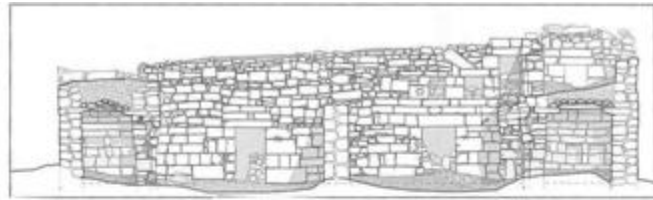
¹⁸⁸ اللوحة. 16 بيت العلو في انخل

¹⁸⁸ Clause-Balty, P: 2008, P. 89.

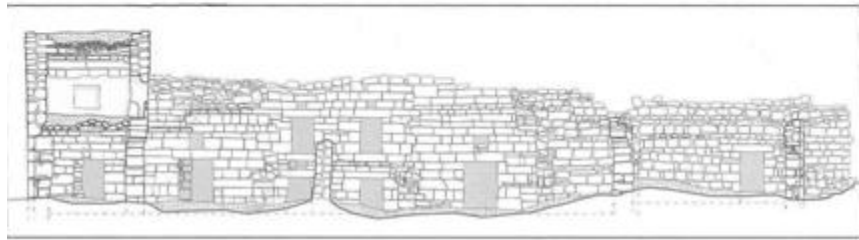


مقطع غربي/شرقي للبناء الشمالي.

¹⁸⁹ اللوحة. 17 بيت العلو في انخل



أ- مقطع طولي مع واجهة البناء الشمالي.

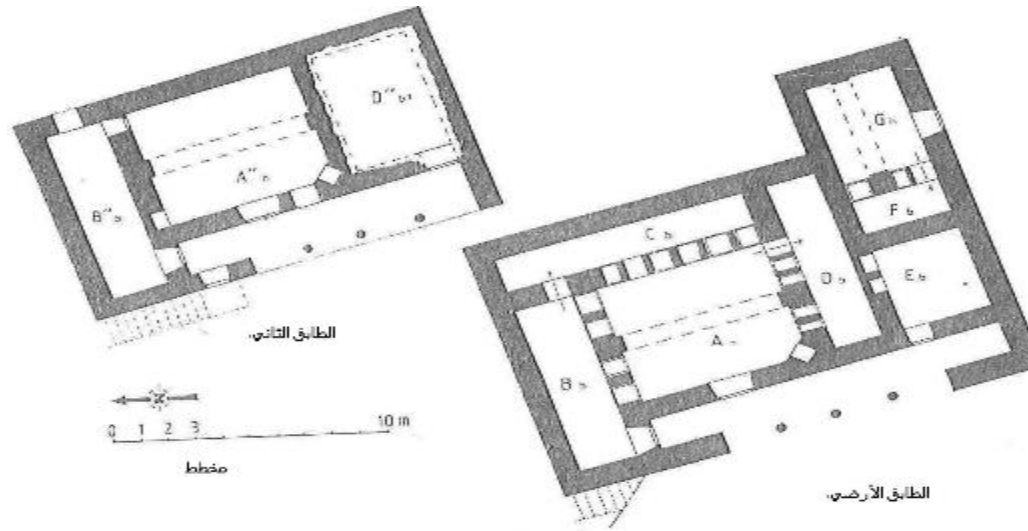


ب- مقطع طولي مع واجهة البناء الجنوبي.

¹⁹⁰ اللوحة. 18 المسكن رقم (11) في محجة

¹⁸⁹ Clause-Balty, P: 2008, P. 88.

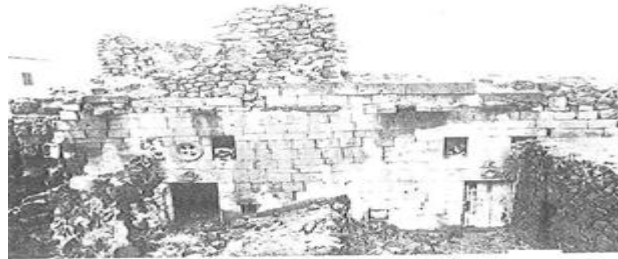
¹⁹⁰ Clause-Balty, P: 2008, P. 92.



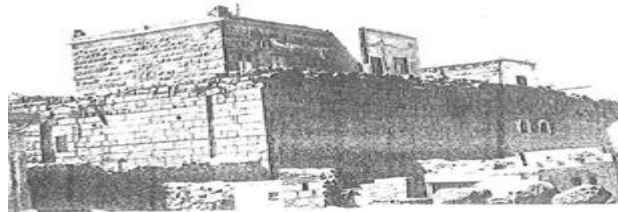
191. اللوحة 19 أم الزيتون، المسكن رقم (3).



أ- المصيف، المسكن رقم (1)، الجدار الخلفي - الوجه الخارجي.



ب- الكرك، المسكن رقم (1) الواجهة.

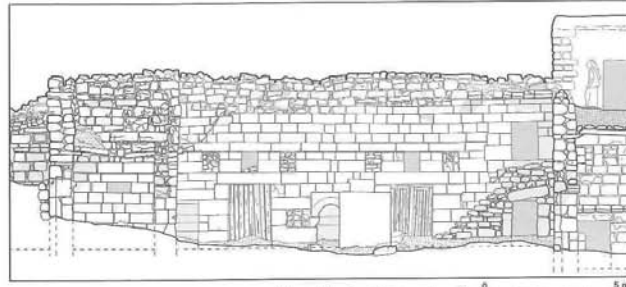


ج- الهيكل، مسكن فلافيوس.

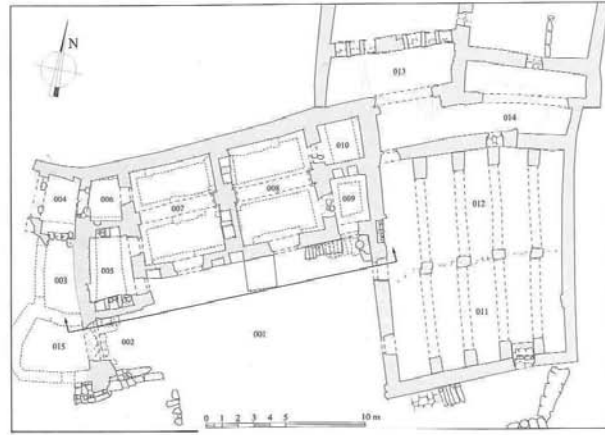
192. اللوحة 20.

¹⁹¹ دانتزر، جون ماري/مجموعة من الباحثين: **سورية الجنوبية**، بحوث أثرية في العهدين الهلنستي والروماني، ترجمة: أحمد عبد الكريم وآخرون، دمشق، 1988، ص. 139.

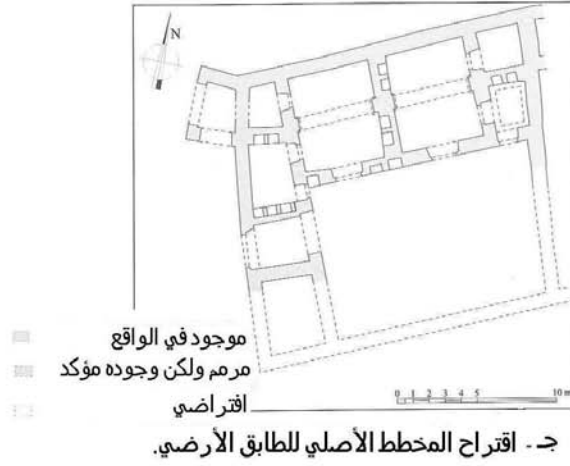
¹⁹² دانتزر، جون ماري/مجموعة من الباحثين: 1988، ص. 130.



أ- واجهة البناء الشمالي.



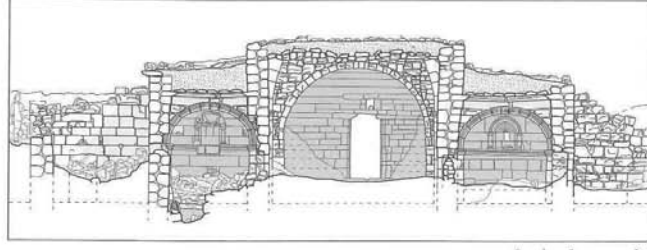
ب- المخطط الحالي للطابق الأرضي.



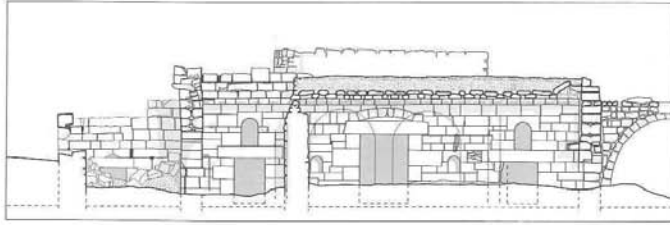
ج- اقتراح المخطط الأصلي للطابق الأرضي.

¹⁹³ اللوحة. 21 المسكن رقم (4) في محبة

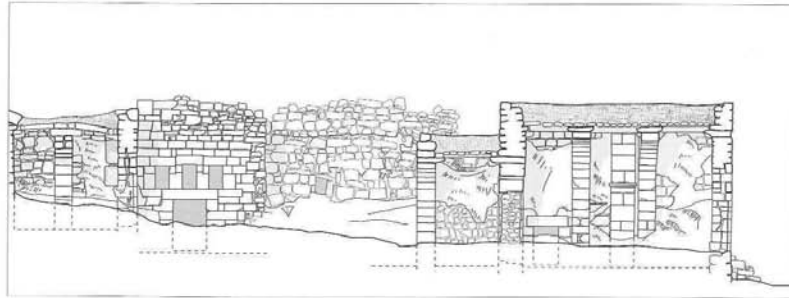
¹⁹³ Clause-Balty, P: 2008, P. 94.



أ- مقطع طولي على طول البناء الشمالي.



ب- مقطع طولي أمام واجهة البناء الشمالي.



ج- مقطع طولي مع واجهة البناء الغربي.

¹⁹⁴ اللوحة. 22 المسكن رقم (3) في محبة.

¹⁹⁴ Clause-Balty, P: 2008, P. 90.



1- عنصر معماري معاد استخدامه تحت
رواق المسكن رقم (1) في كفر ناسج.



2- نوى، تاج عمود في فناء المسكن رقم (8).



4- كفر ناسج، آثار رواق المسكن
رقم (1).



3- كفر شمس، رواق الطابق العلوي
للمسكن رقم (3).



5- كفر شمس، رواق المسكن رقم (2).

¹⁹⁵اللوحة. 23

¹⁹⁵ Clause-Balty, P: 2008, P. 211.



6- كفر شمس، تاج في رواق المسكن
رقم (2).



7- كفر شمس، تاج في رواق الطابق
العلوي للمسكن رقم (3).



8- كفر شمس، تاج في رواق الطابق
الأرضي للمسكن رقم (3).



9- محجة، تاج في رواق في المسكن
رقم (11).



10- كفر شمس، تاج في رواق المسكن
رقم (2).



11- كفر شمس، تاج في رواق المسكن
رقم (2).



12- كفر شمس، تاج في رواق الطابق
العلوي للمسكن رقم (3).



13- محجة، تاج في رواق في المسكن
رقم (3).



14- نوى، تاج معاد استخدامه في البناء
رقم (13).



15- ذكير، عمود في رواق المسكن
رقم (1).



16- أم الزيتون، تاج في رواق الطابق
الأرضي لمسكن عمر.



17- قنوات، تاج لعضادة في واجهة
قاعة العرش.



18- شهباء، رواق مسكن.



19- انخل، قاعدة عضادة القوس في قاعة
القصر الرئيسية.



20- انخل، قاعدة عضادة القوس
في القاعة الرئيسية لبيت العلو.



21- انخل، عضادة غربية في قاعة
القوس الرئيسية في بيت العلو.



22- كفر ناسج، عضادة القوس في القاعة الرئيسية في المسكن رقم (1).



23- انخل، تاج عضادة في قاعة القوس 006 لبيت العلو.



24- انخل، عضادة القوس في قاعة القصر الرئيسية.



25- انخل، عضادة القوس في قاعة القصر الرئيسية.



26- نوى، تاج العضادة الشرقية لقاعة القوس 005 المسكن رقم (2).



27- نوى، تاج العضادة الغربية لقاعة القوس 005 المسكن رقم (2).



28- نوى، عضادة في غرفة الحجلة 004 في المسكن رقم (2).

¹⁹⁸اللوحة. 26

¹⁹⁸ Clause-Balty, P: 2008, P. 214.



29- نوى، عضادة في غرفة الخجلة 004
في المسكن رقم (3).



30- انخل، تاج عضادة في قاعة القوس
الرئيسية 003 في بيت العلو.



31- نوى، تاج عضادة في غرفة الخجلة
003 في المسكن رقم (8).



32- نوى، عضادة في غرفة الخجلة
003 في المسكن رقم (8).



33- نوى، عضادة في غرفة الخجلة
003 في المسكن رقم (8).



34- عثمان، صريح.



36- الصنمين، مسكن.



35- بصرى، المسرح.



37- بصرى، المسرح.



38- عتيل، القبر الغربي.



39- الصنمين.



40- شهباء، تاج زاوية في رواق.



41- المسمية، تاج.

200 اللوحة. 28

²⁰⁰ Clause-Balty, P: 2008, P. 216.



42- خربة غزاله، طنف زاوية في الغرفة
019 في المسكن رقم (1).



43- خربة غزاله، طنف
زاوية في الغرفة 021
في المسكن رقم (1).



44- كفر ناسج، طنف زاوية في الغرفة 007
في المسكن رقم (1).



45- كفر ناسج، طنف زاوية في الغرفة
009 في المسكن رقم (1).



46- محجة، طنف زاوية في الغرفة 014
في المسكن رقم (11).



47- كفر ناسج، طنف زاوية في الغرفة
009 في المسكن رقم (1).



48- نوي، إطار مزخرف بزخرفة بارزة
في غرفة الخجلة 003 للمسكن رقم (8).



49- نوي، إطار مزخرف بزخرفة بارزة
في غرفة الخجلة 004 للمسكن رقم (8).



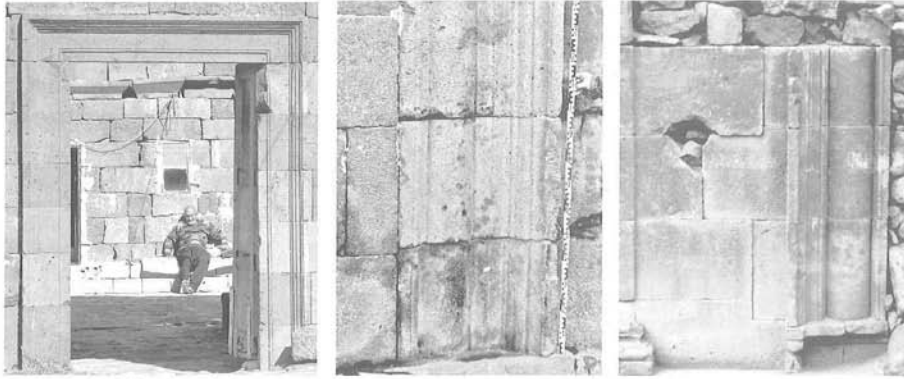
50- خربة غزاله، إطار معاد
استخدامه بالقرب من المسكن
رقم (1).



51- انخل، إطار مزخرف بزخرفة بارزة
في القاعة الرئيسية 003 لبيت العلو.

52- انخل، باب جانبي للقصر.

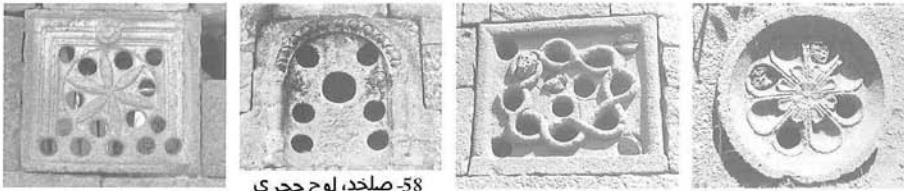
53- انخل، إطار مزخرف بزخرفة بارزة
للباب الرئيسي للقصر.



54- شقا، باب رئيسي للدير.

55- شها، بروز لباب الرواق.

56- سليم، حمامات.



57- إزرع، لوح حجري مخرم معاد
استخدامه في جامع عمر الكبير.

58- صلخد، لوح حجري
مخرم معاد استخدامه
في القلعة.

59- الصنمين، لوح حجري
مخرم معاد استخدامه.

60- السويداء، لوح حجري
مخرم في المتحف.



61- قصر انخل، مشكاة واجهة.



62- قصر انخل، مشكاة واجهة.



63- قصر انخل، مشكاة واجهة.



64- محجة، مشكاة داخل غرفة الخجلة 007
في المسكن رقم (3).



65- نوى، مشكاة داخل غرفة الخجلة 004
في المسكن رقم (8).



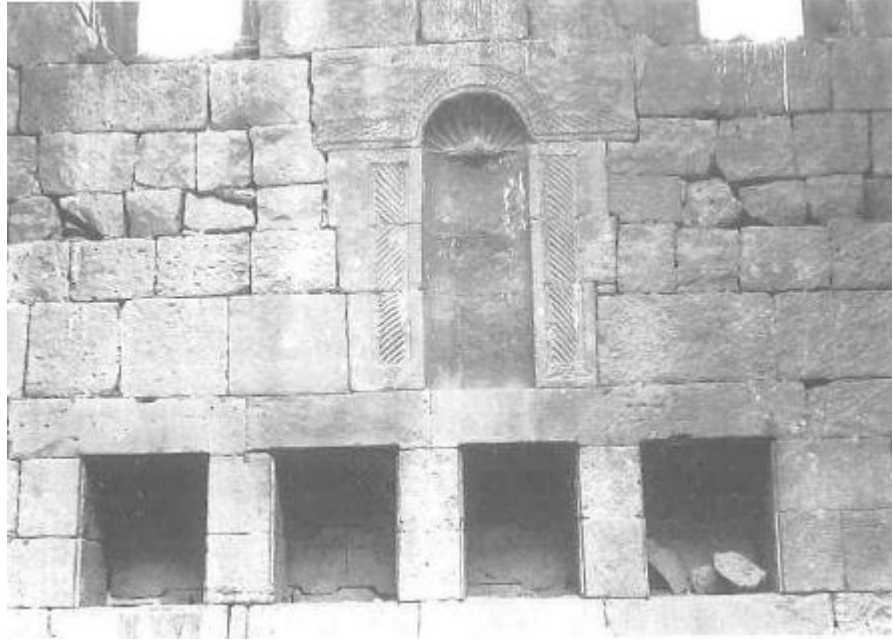
66- نوى، مشكاة في واجهة البناء
الشمالى للمسكن رقم (3).



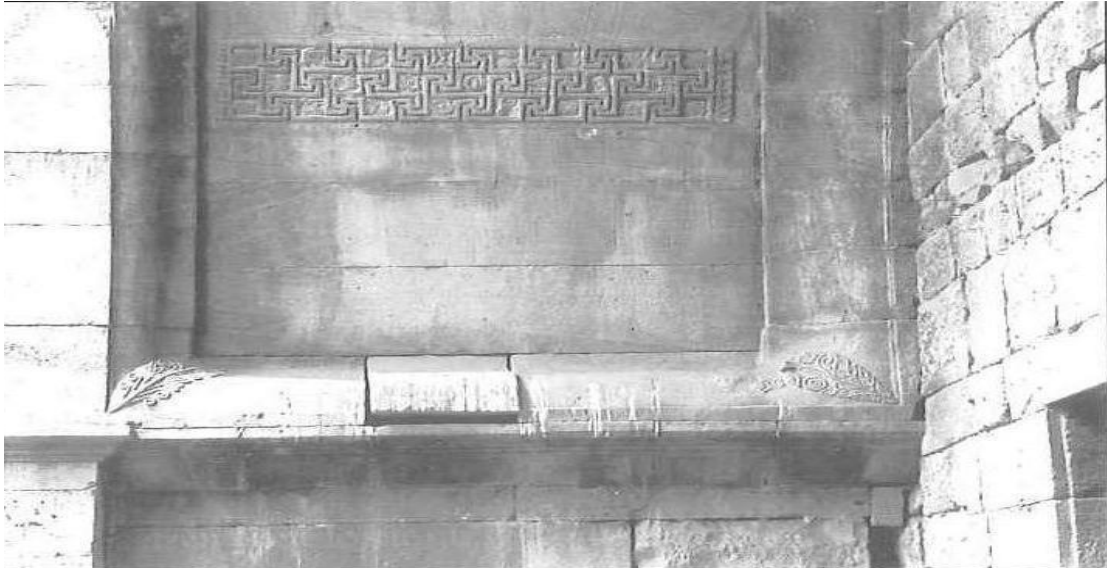
67- انخل، عنصر معمارى معاد استخدامه في الجامع.



68- انخل، عنصر معمارى معاد استخدامه في الجامع.



²⁰⁴ اللوحة. 32 قصر انخل، إطار مشكاة الغرفة الرئيسية



²⁰⁵ اللوحة. 33 زخارف متكررة من الصليبان المعقوفة المتناوبة مع وريدات

²⁰⁴ Clause-Balty, P: 2008, P. 162.

²⁰⁵ Clause-Balty, P: 2008, P. 162.



69- خربة غزالة، إكليل على ساكف الغرفة 019
في المسكن رقم (1).



71- انخل، إكليل على مفتاح القوس وطف
القاعة الرئيسية 003 لبيت العلو.



70- خربة غزالة، إكليل على ساكف لياب مسدود
خلف الغرفة 002 في المسكن رقم (3).



72- كفر ناسج، إكليل على صنجة عقد في
غرفة الخجلة في المسكن رقم (3).



73- كفر ناسج، إكليل على ساكف في المسكن رقم (4).



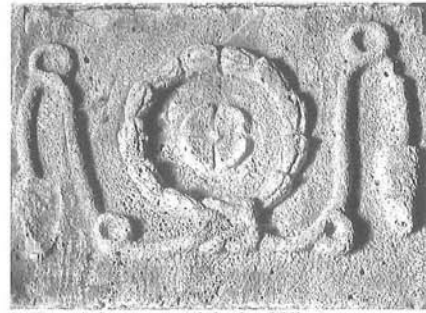
74- كفر شمس، إكليل على ساكف معزول.



75- معربا، إكليل معاد استخدامه خلال طور إصلاح متاخر للمسكن D.



76- محجة، إكليل على طنف زاوية في الغرفة 014 في المسكن رقم (11).



77- محجة، إكليل على كتلة حجرية معاد استخدامها في المسكن رقم (16).



78- محجة، إكليل على ساكف المسكن رقم (19).



79- نوى، إكليل على قوس القاعة 002 في المسكن رقم (2).



80- معربا، ساكف في المسكن A.



81- معربا، ساكف في المسكن E.

207 اللوحة. 35

²⁰⁷ Clause-Balty, P: 2008, P. 221.



82-محجة، ساكف في المسكن رقم (2).



83-محجة، ساكف المدخل الرئيسي للمسكن رقم (7).



84- محجة، ساكف الردهة الغربية معاد زخرفته في المسكن رقم (11).



85- محجة، ساكف معاد استخدامه في المسكن رقم (14).



86- محجة، ساكف معاد استخدامه في المسكن رقم (19).



87- محجة، ساكف معاد استخدامه في المسكن رقم (19).



88- محجة، ساكف معاد استخدامه في المسكن رقم (19).



89- ساكف في نوى.



90-بصرى، إكليل على كتلة حجرية معاد استخدامها في قصر تراجان خلال إصلاحه.



91-بصرى، إكليل على ساكف معاد استخدامه.



92- ساكف.



93- ساكف في داما.

208 اللوحة. 36

²⁰⁸ Clause-Balty, P: 2008, P. 222.



94- ساكف في المتحف الوطني بدمشق.



96- ذكير، ساكف في المسكن رقم (3).



95- ذكير، المسكن رقم (1).



97- إزرع، تاج لعضادة قوس في كنيسة القديس جورج.



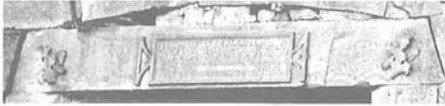
98- ساكف معاد استخدامه في مدخل فناء كنيسة القديس إيلي.



100- الكرك، ساكف في المسكن رقم (1).



99- ضريح.



102- قنوات، ساكف قاعة العرش.



101- مسكية، ساكف.



103- صالح، ساكف.



105- محجة، زخرفة على طين في المسكن رقم (1).



104- صنمين، ساكف.

209 اللوحة. 37

²⁰⁹ Clause-Balty, P: 2008, P. 223.



106- خربة غزالة، زخرفة على ساكف
معاد استخدامه في المسكن رقم(2).



107- انخل، زخرفة على كوة
واجهة القصر.



108- كفر شمس، تاج في قاعة القوس
002 في المسكن رقم(1).



109- كفر ناسج، وريدة على كتلة حجرية معزولة.



110- كفر شمس، وريدة منقوشة على ساكف
قاعة القوس 002 في المسكن رقم(1).



111- ذكير، ساكف في المسكن رقم (1).



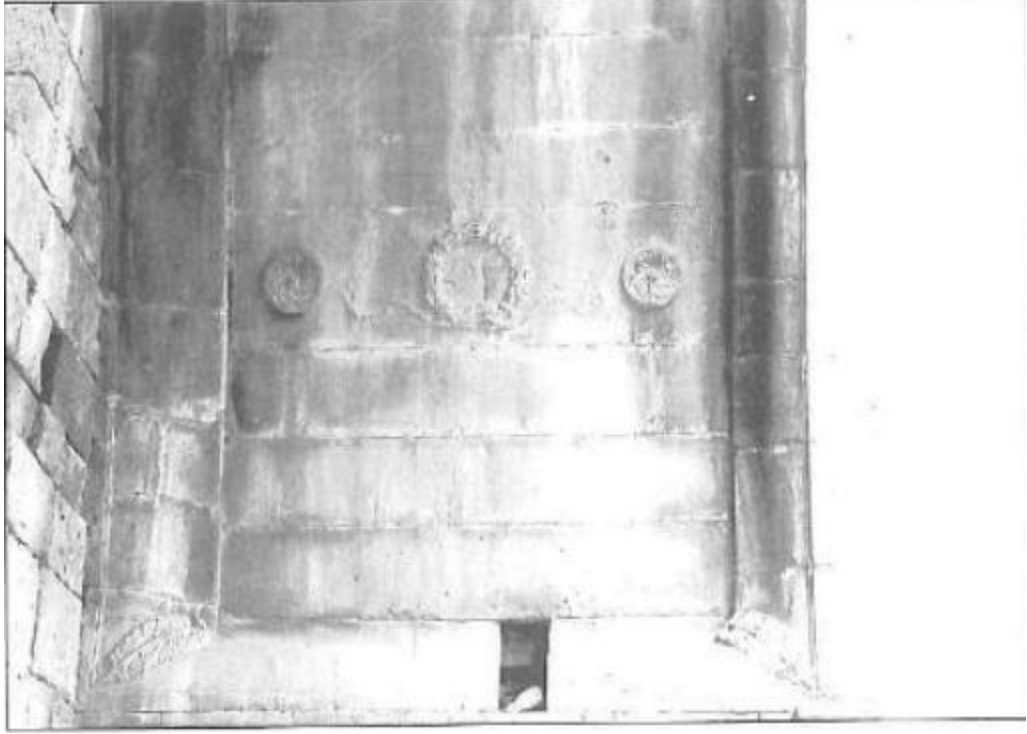
112- خربة غزالة، عقدة سليمان على
ساكف معاد استخدامه في المسكن
رقم (2).



113- أفاميا، عقدة سليمان على قطعة موزاييك في المستوى
الوثني تحت الكاتدرائية.

210 اللوحة. 38

²¹⁰ Clause-Balty, P: 2008, P. 224.



اللوحة. 39 قصر انخل، نقوش على شكل وريدات²¹¹.

²¹¹ Clause-Balty, P: 2008, P. 162.



114- محجة، إكليل مضاف على ساكف
المسكن رقم (19).



115- دير العديس، كنيسة القديس جورج
إكليل مضاف على لوح من الموزاييك
المحفوظ في متحف قلعة بصرى.



116- محجة، زخرفة المربعات المتراكبة
على ساكف في المسكن رقم (19).



117- تدمر، زخرفة المربعات المتراكبة
على صريح.



118- تدمر، زخرفة المربعات
المتراكبة على قطعة نسيج.



119- خربة غزالة، زخرفة الغاما على
عنصر معماري معاد استخدامه
في سقف المسكن رقم (3).



120- دكير، زخرفة الغاما على ساكف.



121- مسكن، زخرفة الغاما.



122- المسكية، ساكف داخل مسكن.

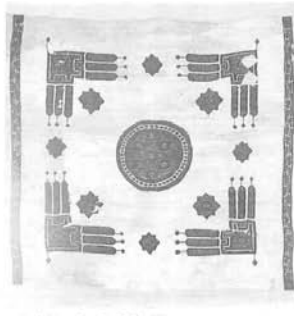


123- نامر، زخرفة الغاما على ساكف داخل مسكن.

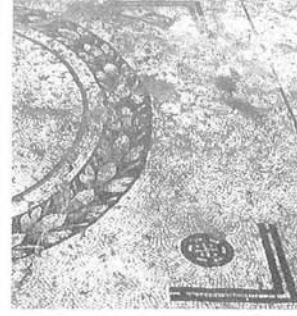
²¹² Clause-Balty, P: 2008, P. 225.



124- شعارة، غامات على باب داخل مسكن.



125- مصر، زخرفة الغاما على قطعة ملابس.



126- أقاميا، زخارف الغاما على لوح موزاييك في مستوى وثني تحت الكاتدرائية.



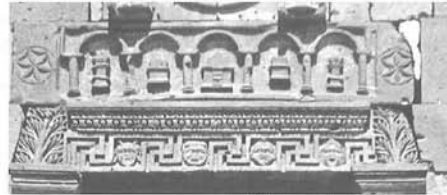
127- مغربا، زخرفة الأعمدة الصغيرة على عنصر معماري في كنيسة.



128- إزرع، زخرفة الأعمدة الصغيرة على ساكف.



129- دير اليخت، زخرفة الأعمدة الصغيرة على عنصر معماري معاد استخدامه بالمقلوب.



130- مؤتية، زخرفة المذبح.



131- نامر، زخرفة الأعمدة الصغيرة.



132- أ. الحريك.



132- ب. إدرع.



142- مجيمر ، ساكف.



144- صما ، ساكف.



143- ناحتة.



145- شقّا ، ساكف في القصر.



146- أم السراب ، ساكف.



147- الكرك ، زخرفة مصباح على
ساكف داخل المسكن رقم (1).



148- انخل ، كوة خارجية في القصر.



149- كفر ناسج ، زخرفة الآنية على
ساكف المسكن رقم (4).



150- محجّة ، زخرفة الآنية تحت النافذة الدائرية في
المسكن رقم (1).



151- محجّة ، ساكف في المسكن رقم (7).



133- كفر شمس، صليب منحوت على بطينة ساكف في رواق المسكن رقم (2).



134- كفر شمس، صليب سداسي على ساكف رواق المسكن رقم (29).



135- محجة، صليب رباعي على عنصر معماري معاد استخدامه خلال تصليح سقف المسكن رقم (11).



136- محجة، صليب رباعي على عنصر معماري معاد استخدامه خلال تصليح سقف المسكن رقم (11).



137- بصرى، زخرفة في قصر تراجان.



138- ساكف.



139- الكرك



140- الخازمة، ساكف.



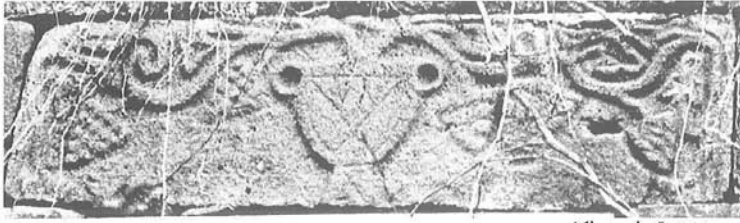
141- ملة السرار، ساكف.



152- نوى، المسكن رقم (2).



153- نوى، ساكف في البناء رقم (13).



154- قنوات، ساكف.



155- خان الخالدية، زخرفة الأنية على لوح موزاييك في الكنيسة.



156- مخجّة، زخرفة الأنية على ساكف مدخل المسكن رقم (1).



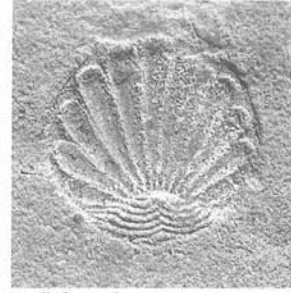
157- إزرع، زخرفة الأنية على ساكف كنيسة القديس إيلي.



158- خربة غزالة، زخرفة صدفة القديس
جاك على كتلة حجرية معاد استخدامها
في المسكن رقم (2).



159- محجة، زخرفة صدفة القديس
جاك على كتلة حجرية معاد
استخدامها في المسكن رقم (15).



160- بصرى، زخرفة صدفة القديس
جاك في قصر تراجان.



161- نوى، زخرفة صدفة القديس جاك على ساكف المسكن
رقم (2).



162- السويداء، زخرفة صدفة القديس جاك على ساكف في
المتحف



163- كفر شمس، المسكن رقم (2).



164- كفر شمس، المسكن رقم (2).



165- خربة غزالة، شكل دائري بمقبض
على طنف زاوية في المسكن رقم (1).

²¹⁷ Clause-Balty, P: 2008, P. 230.



166- كفر ناسج، وجه مزخرف على مفتاح
عند غرفة الحجلة في المسكن رقم (3).



167- انخل، وجه مزخرف على
مفتاح قوس القاعة الرئيسية
لبيت العلو.



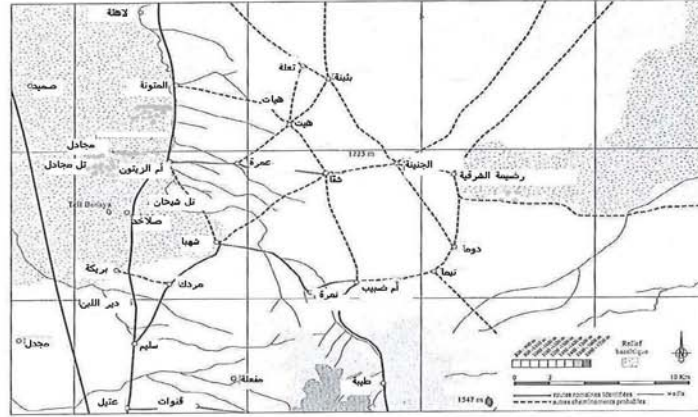
168- السويداء، نقش وجهين متقابلان
في المتحف.



169- عتيل، ساكف.

اللوحة. 46²¹⁸

²¹⁸ Clause-Balty, P: 2008, P. 231.



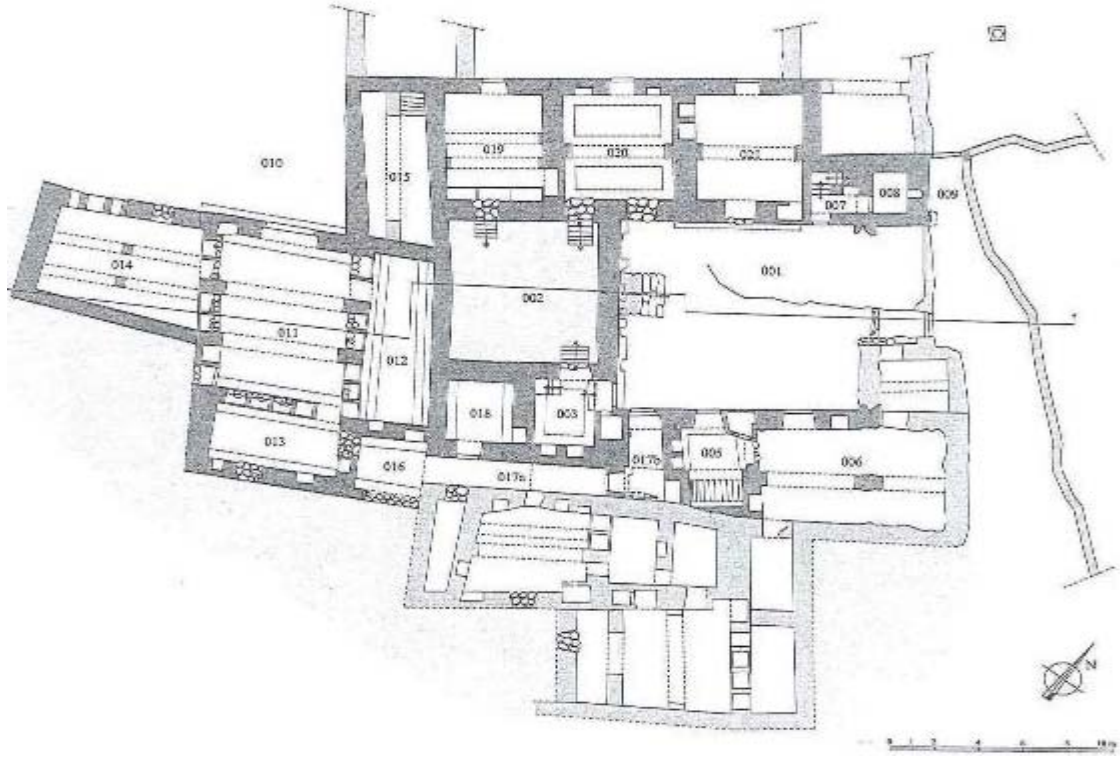
أ- الموقع الجغرافي لقرية عمرة.



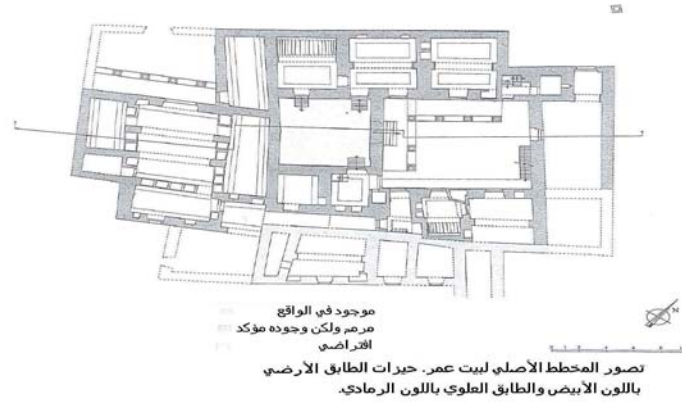
ب- مخطط القرية القديمة وأماكن الآثار المكتشفة من قبل بعثة عام 2007.

- | | | | |
|----|---|--------------|--------------|
| 01 | G | بيت عمر | مسكن قديم |
| 02 | H | مسكن الملك | خزان |
| 03 | I | كنيسة | مسكن قديم |
| 04 | J | بيت التوت | مسكن قديم |
| 05 | K | بيت العواميد | مسكن قديم |
| A | L | مجلس | معبد |
| B | M | مسكن قديم | مسلة |
| C | * | عمود | بركة |
| D | * | دعامة منقوشة | فتحات خزانات |
| E | * | مسكن قديم | نقوش |
| F | * | مسكن قديم | |

²¹⁹ Bodo, Ph/Clauss-Balty, P: Une maison antique à Amrah de Melchior de vogué à nos jours, *Syria*, 2009 P. 258.



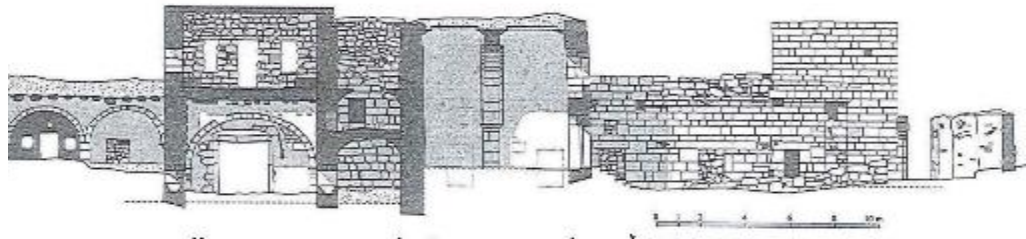
اللوحة 48 مخطط الوضع الحالي لبیت عمر. حیّزات الطابق الأرضي باللون الأبيض والطابق العلوي باللون الرمادي²²⁰



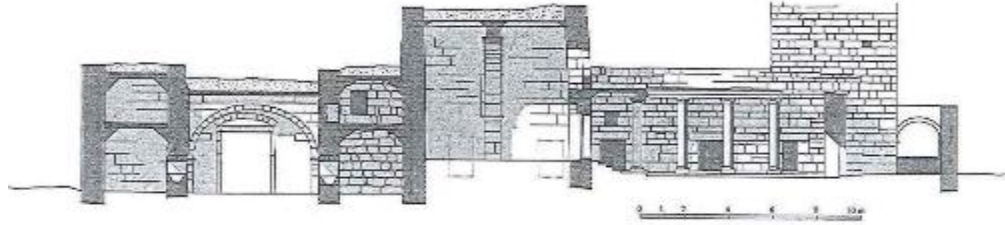
اللوحة 49 تصور المخطط الأصلي لبیت عمر. حیّزات الطابق الأرضي باللون الأبيض والطابق العلوي باللون الرمادي²²¹.

²²⁰ Bodo, Ph/Clauss-Balty, P: 2009, P. 258.

²²¹ Bodo, Ph/Clauss-Balty, P: 2009, P. 266.



أ- مقطع غربي/شرقي لبית عمر: وضع حالي.



ب- مقطع غربي/شرقي لبית عمر: الوضع الأصلي المتصور.

اللوحة. 50 ²²²



أ- الواجهة المطلة على فناء البناء الغربي الحاوي على القاعة الرئيسية.



ب- الواجهة المطلة على فناء البناء الشمالي وبرجه.

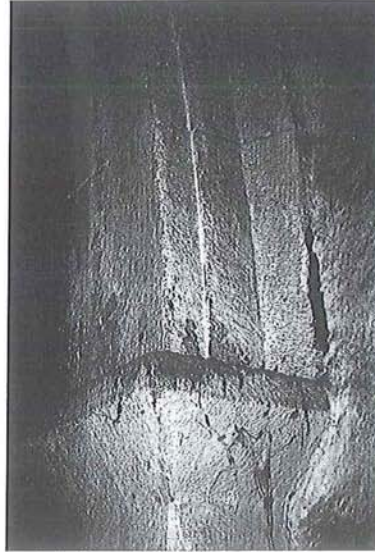
اللوحة. 51 ²²³

²²² Bodo, Ph/Clauss-Balty, P: 2009, P. 269.

²²³ Bodo, Ph/Clauss-Balty, P: 2009, P. 260.



أ- الوضع الحالي للقاعة الرئيسية ومدخلها الكبير الذي تعلوه ثلاث نوافذ كبيرة.



ب- جزء تفصيلي من قوس القاعة الرئيسية.



ج- أطناف السقف على شكل تضليع مستقيم.



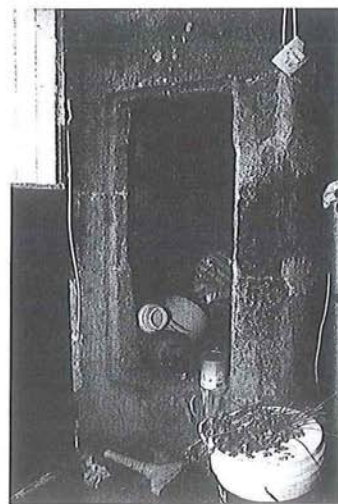
أ- حِجْلَة الغرفة 004.



ب- حِجْلَة الغرفة 005.

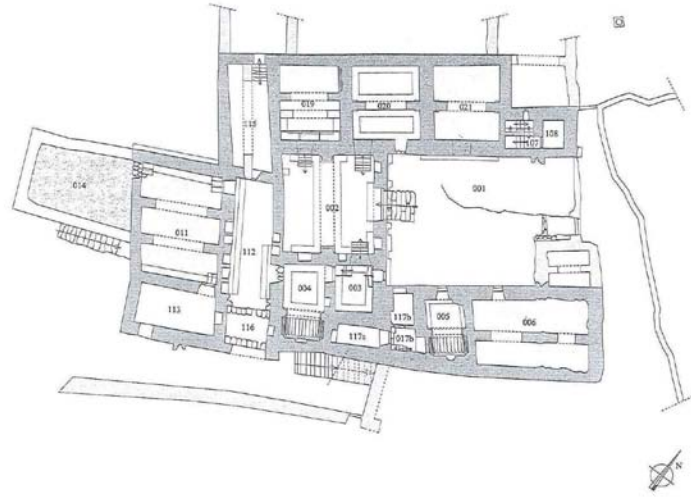


ج- آثار حِجْلَة القاعة 019.



د- ركنة الغرفة 003.

²²⁵ Bodo, Ph/Clauss-Balty, P: 2009, P. 263.



مخطط الوضع الحالي لبیت عمر. حيزات الطابق الأرضي باللون الأبيض والطابق العلوي باللون الرمادي.

اللوحة 54²²⁶

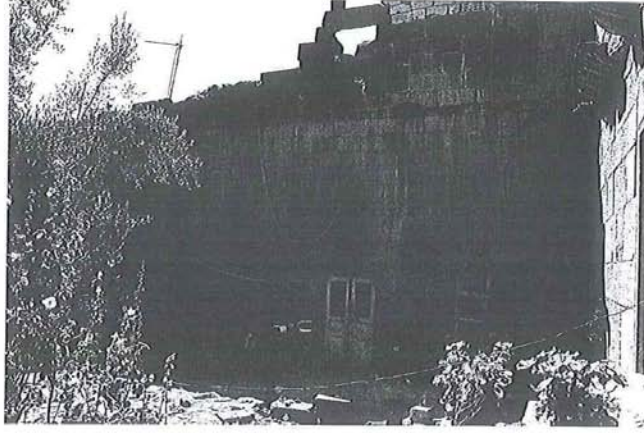


تصور المخطط الأصلي لبیت عمر. حيزات الطابق الأرضي باللون الأبيض والطابق العلوي باللون الرمادي.

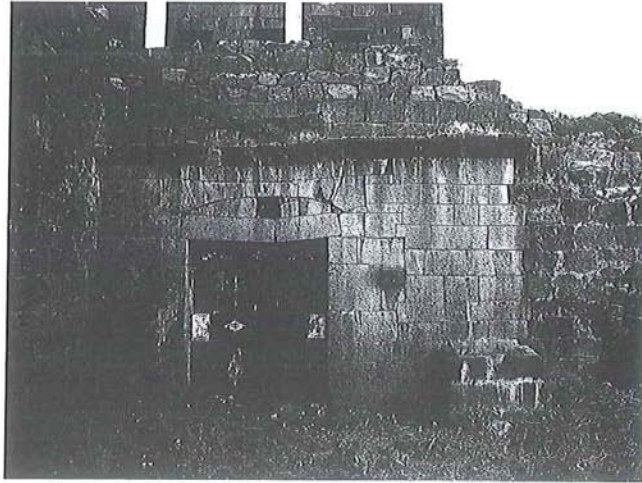
اللوحة 55²²⁷

²²⁶ Bodo, Ph/Clauss-Balty, P: 2009, P. 267.

²²⁷ Bodo, Ph/Clauss-Balty, P: 2009, P. 268.



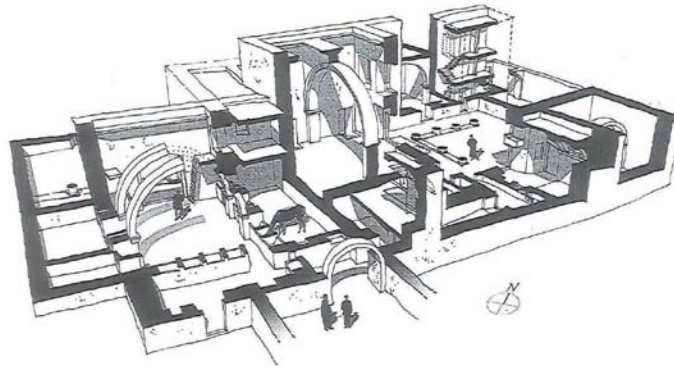
أ- الواجهة المطلة على فناء البناء الجنوبي.



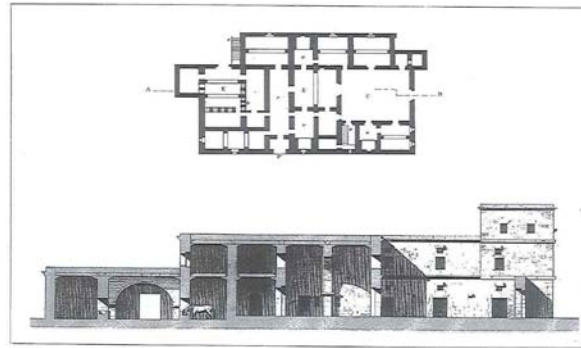
ب- واجهة الإصطبلات.

اللوحة. 56 مسكن قديم في عمرة²²⁸.

²²⁸ Bodo, Ph/Clauss-Balty, P: 2009, P. 261.



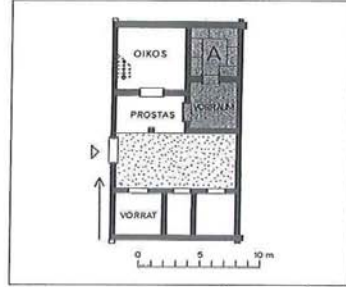
اللوحة. 57 مقطع منظوري متصور لبيت عمر. إلى اليسار الإصطبلات والمسكن إلى اليمين²²⁹.



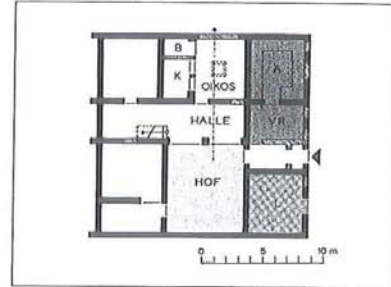
اللوحة. 58 مخطط ومقطع لبيت عقل عمر في عمرة الذي نشره فوغي عام 1865²³⁰.

²²⁹ Bodo, Ph/Clauss-Balty, P: 2009, P. 270.

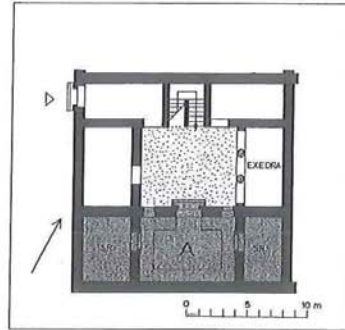
²³⁰ Bodo, Ph/Clauss-Balty, P: 2009, P. 264.



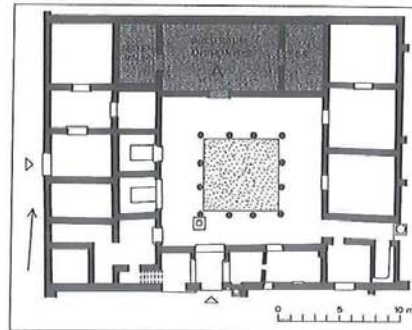
أ- مسكن أبرد.



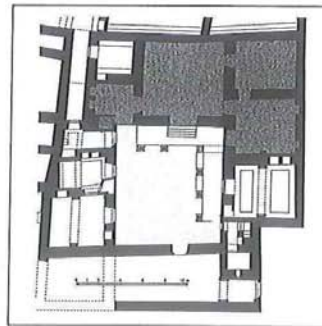
ب- مسكن أوليت.



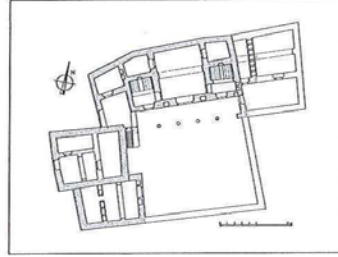
ج- مسكن في دورا أوريوس.



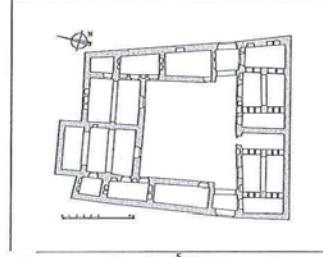
د- مسكن في ديوس.



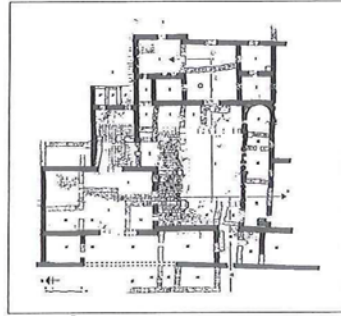
هـ - مخطط متصور للطابق الأرضي للجزء السكني في بيت عمر.



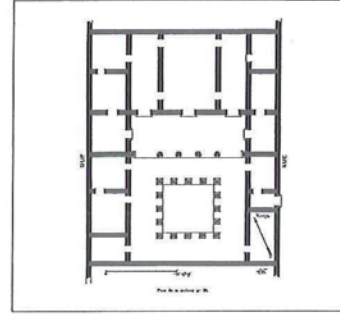
أ- المخطط الأصلي المتصور للمسكن رقم (3)
في مدجة مع إصطبل خارجي.



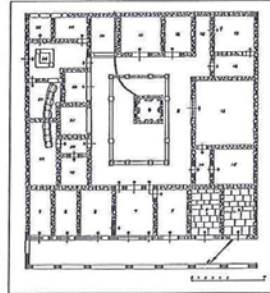
ب- المخطط الأصلي المتصور للمسكن
رقم (3) في مدجة مع غرف استقبال
في الجانب الشمالي.



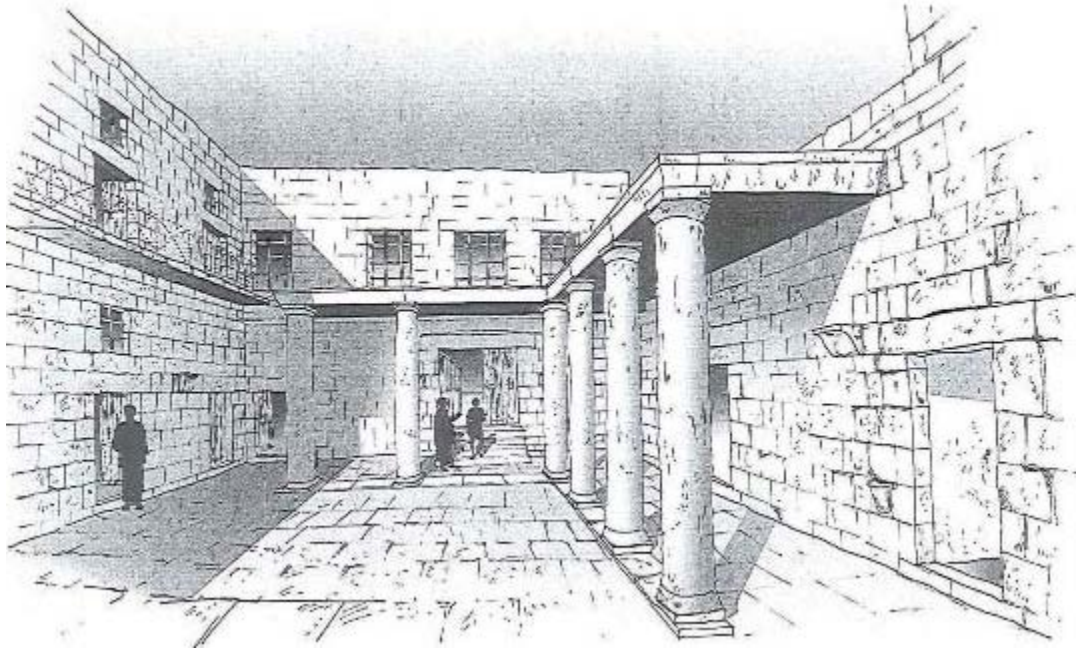
ج- مسكن بعضادات في أفاميا.



د- مسكن رقم (39) في تدمر.

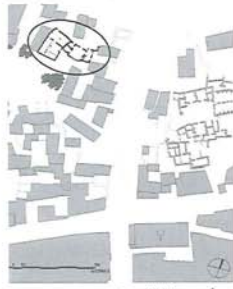


هـ- مسكن برواق في شهباء.



اللوحة. 61 اقتراح ترميم الشكل الأصلي لفناء بيت عمر²³³.

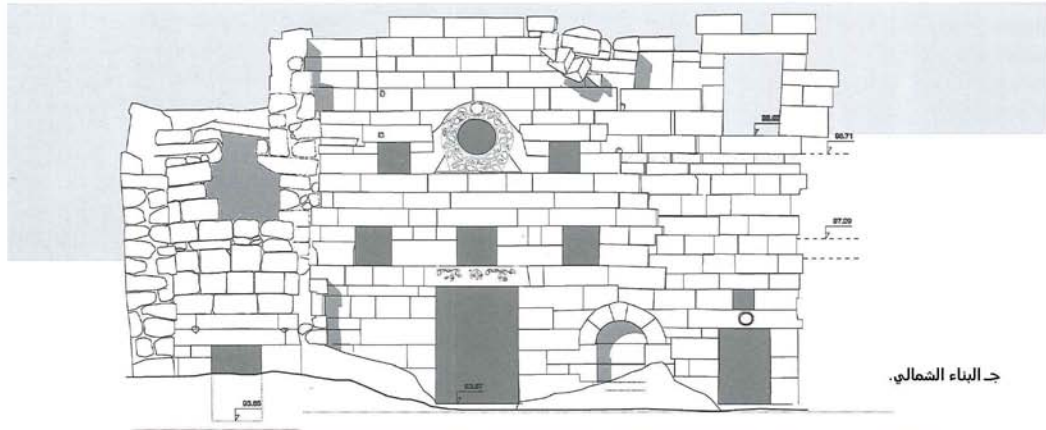
²³³ Bodo, Ph/Clauss-Balty, P: 2009, P. 271.



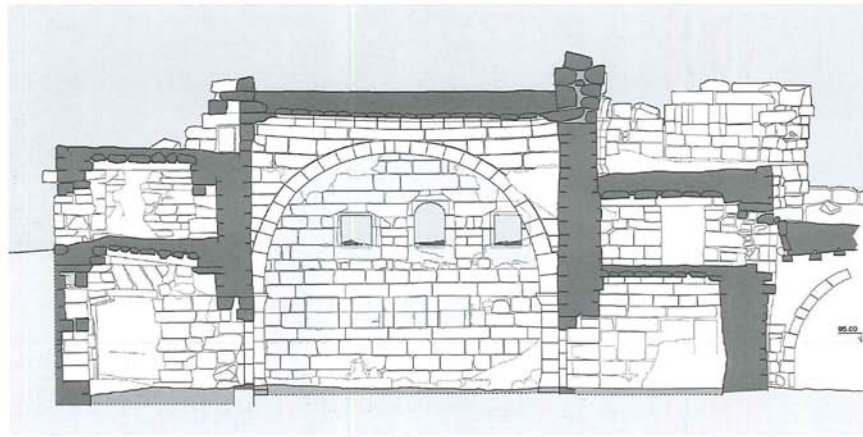
أ- مخطط الموقع.



ب- تتواجد الآثار داخل محيط ذو كثافة عمرانية كبيرة.



ج- البناء الشمالي.



د- مقطع طولى. 0 1 2 3 4 5m

اللوحة 62 الآثار²³⁴.

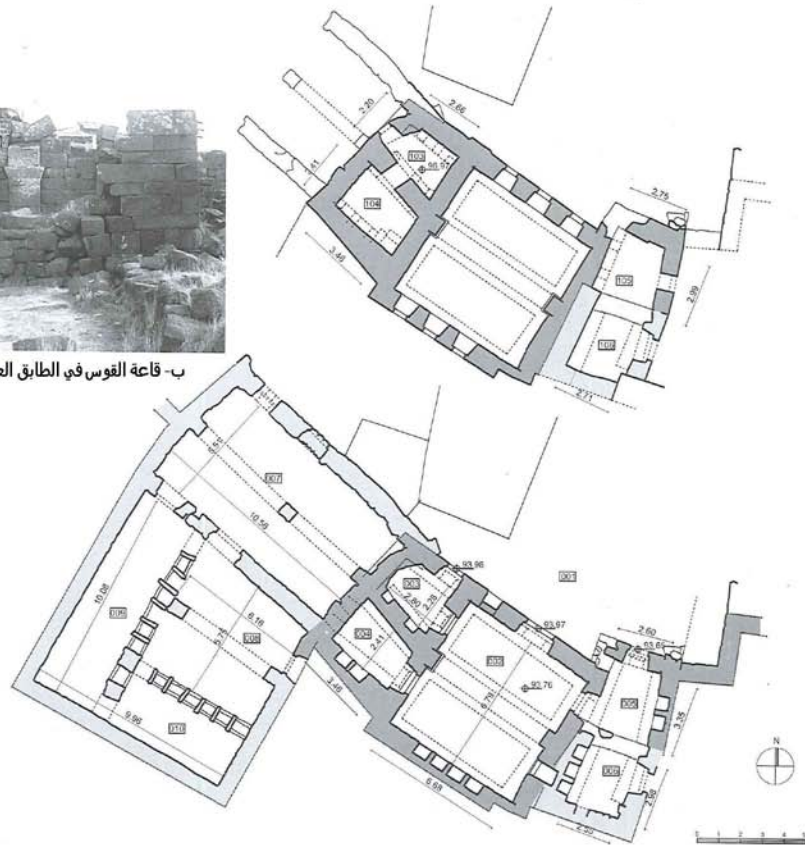
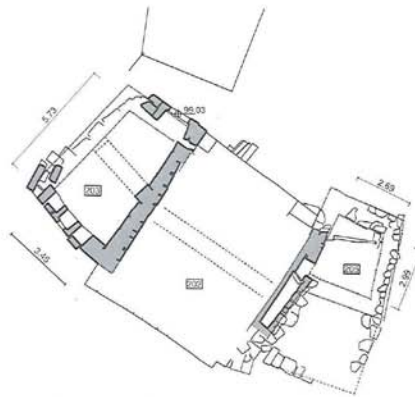
²³⁴ Clause-Balty, P: 2008, P. 122.



أ- المخبأ (الغرفة 205).



ب- قاعة القوس في الطابق العلوي (الغرفة 203).



ج - مخطط الطوابق (الطابق الأرضي، الطابق المتوسط، الطابق العلوي).



أ- الواجهة الشمالية: في الأعلى إلى اليمين التشوه الناتج عن هزة أرضية.



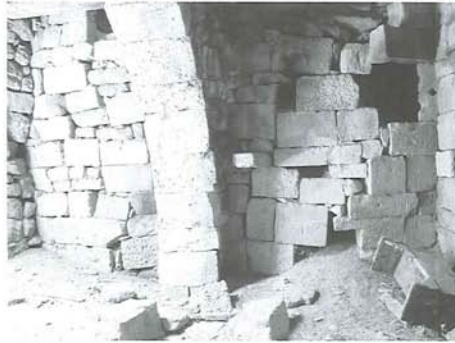
ب- ميلان المداميك العلوية والدراجات.



ج- الراوية الجنوبية الغربية، (القاعة 003).



د- الواجهة الجنوبية (القاعة 003): يلاحظ اختلاف نوعية حجارة إطار النافذة.



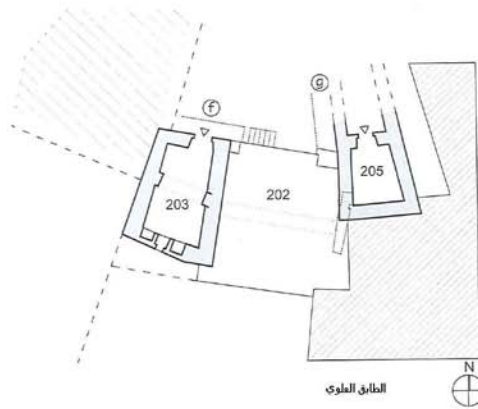
هـ- الواجهة الجنوبية للقاعات (003/004)، تقود الفتحة الموجودة في الأعلى إلى الغرفة (103)، النافذة ذات الحاجز المخرم إلى اليمين.



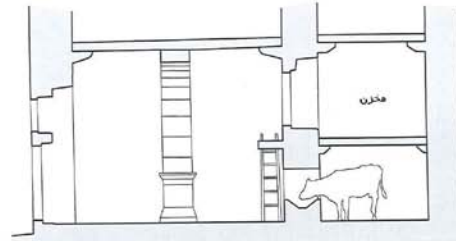
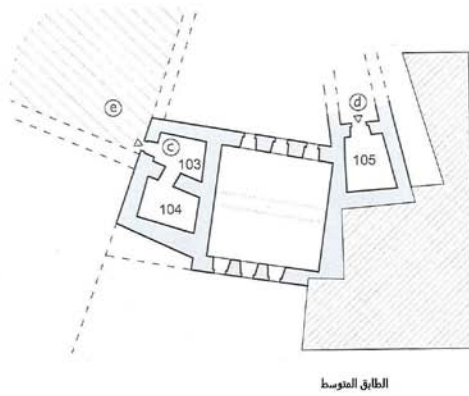
و- منظر خلفي للمسكن.

اللوحة 64 التشوهات²³⁶.

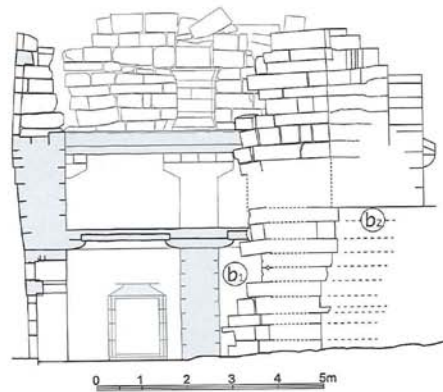
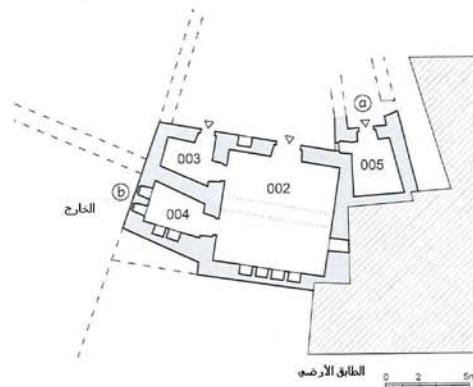
²³⁶ Clause-Balty, P: 2008, P. 132.



ب- الدلائل الموجودة على الواجهة الحالية والمقترح عليها في معرفة طرق التنقل.



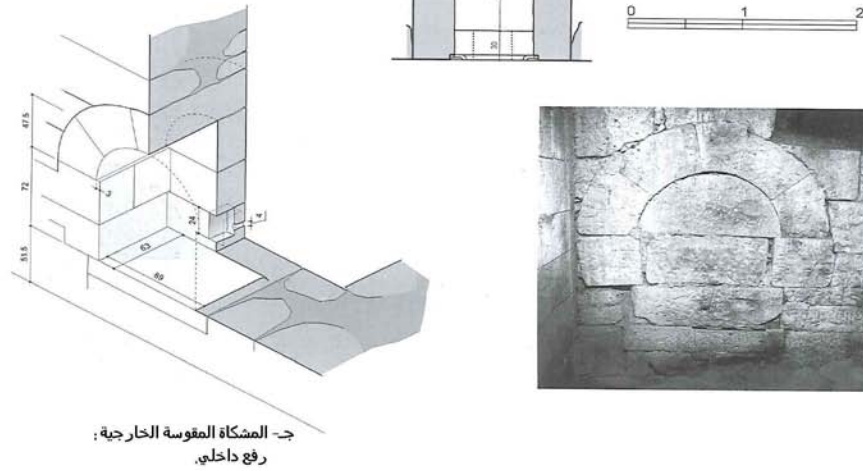
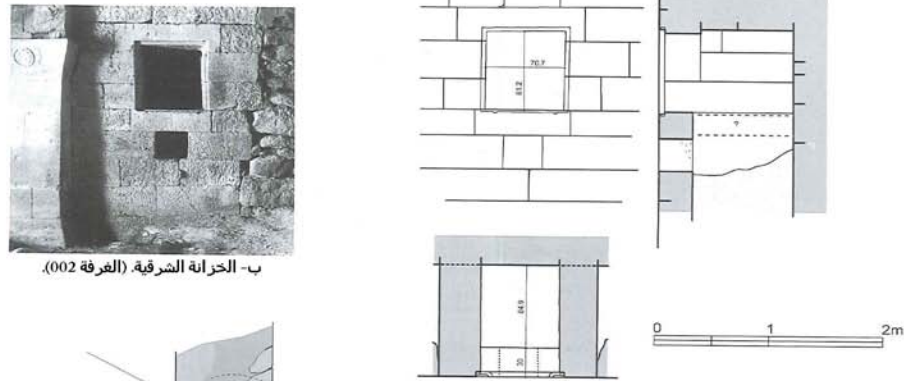
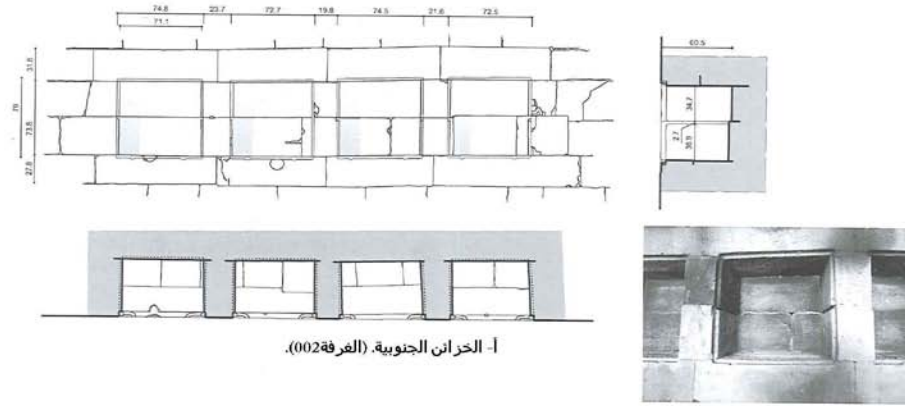
ج- مقطع مبسط لقاعة القوس التي يجاورها إسطبل.



د- المبنى الغربي للأجزاء الأصلية.

اللوحة 65. التشوهات²³⁷.

²³⁷ 72 Clause-Balty, P: 2008, P. 124.



اللوحة 66 المشاكي والخزائن²³⁸.

²³⁸ 73 Clause-Balty, P: 2008, P. 130.



أ- الزاوية الجنوبية الشرقية الخارجية.



ب- الزاوية الجنوبية الشرقية الداخلية، (القاعة 002).



ج- الزاوية الشمالية الغربية (القاعة 002). انخساف بلاطات السقف.



د- تصدع في مفاتيح العقد العلوية للقوس الرئيسي، (القاعة 002).



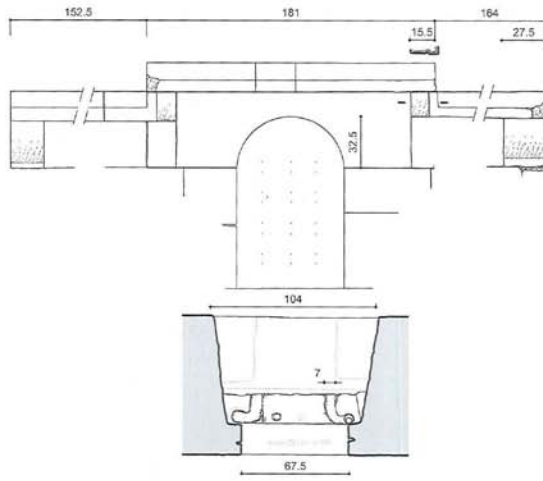
هـ- الواجهة الشمالية، (الغرفة 105/005).



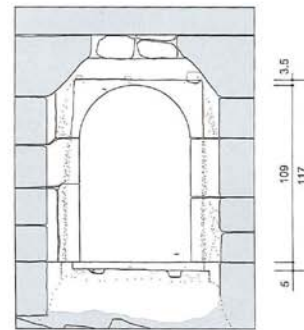
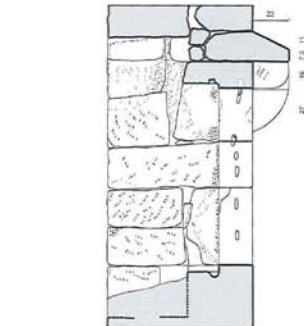
و- الغرفة 105 من الداخل.

اللوحة 67 التشوهات²³⁹.

²³⁹ Clause-Balty, P: 2008, P. 133.



أ- الطنف والكوة المركزية الجنوبية. (مخطط ومقطع ورفع الكوة المركزية).



مقطع ورفع داخلي للكوة المركزية.

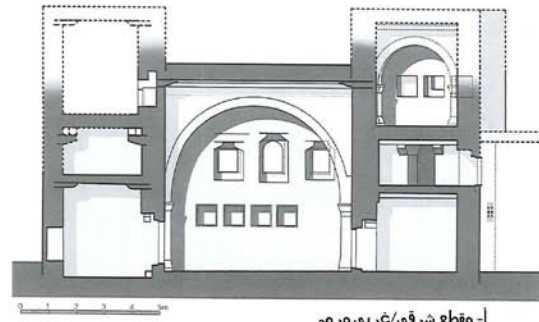


ب- نافذة بحاجز مخترم: المبنى من الداخل والخارج.

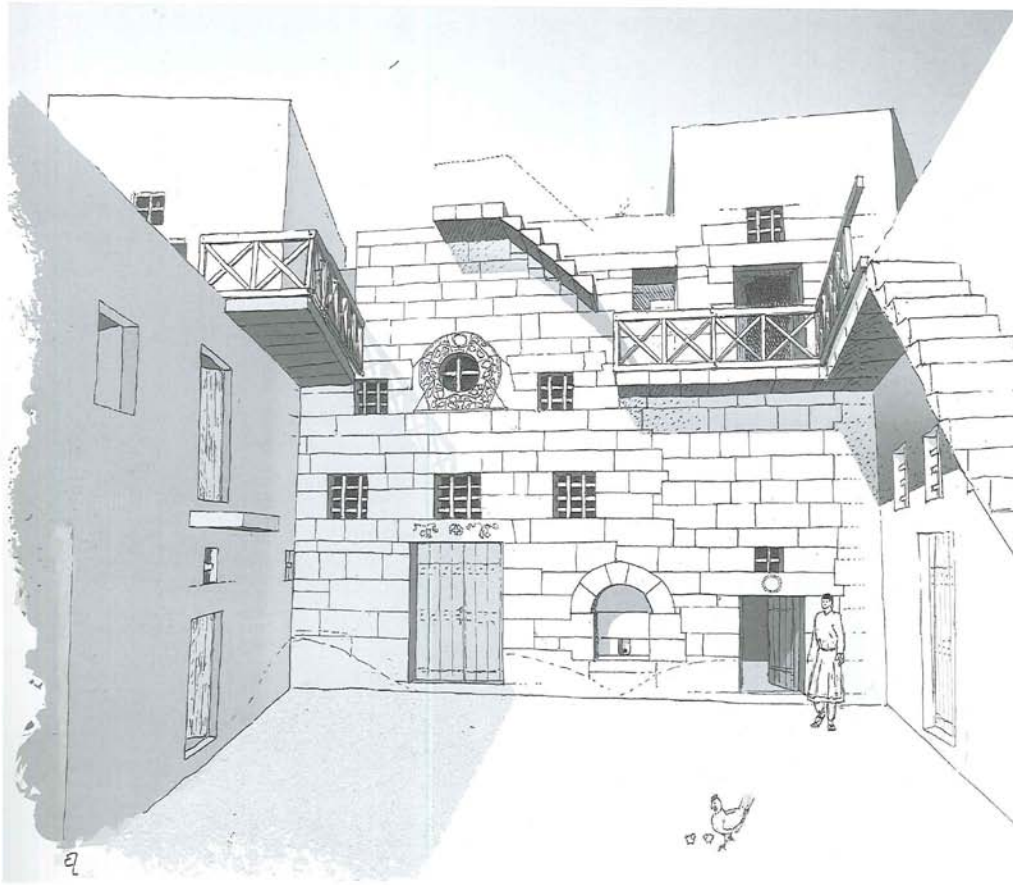


اللوحة. 68 النوافذ²⁴⁰.

²⁴⁰ 75 Clause-Balty, P: 2008, P. 128.



أ- مقطع شرقي/غربي مرمم.



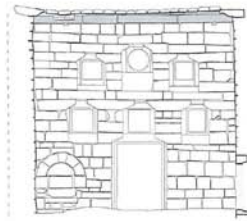
ب- ترميم الفناء.

اللوحة. 69 ترميمات²⁴¹.

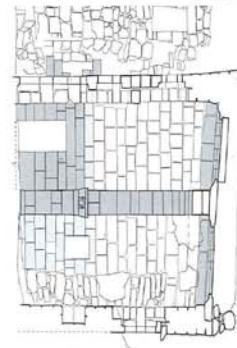
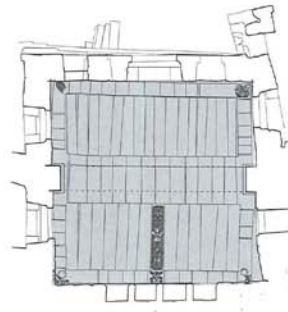
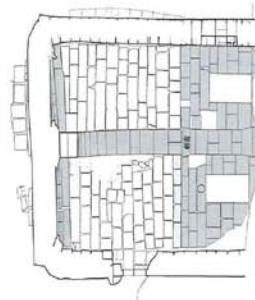
²⁴¹ Clause-Balty, P: 2008, P. 125.



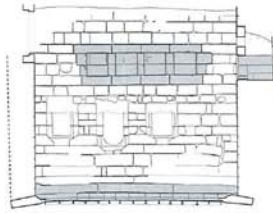
حجارة ملساء منحوتة بانقان.



حجارة متوسطة البحت.



حجارة خشنة سينة البحت.

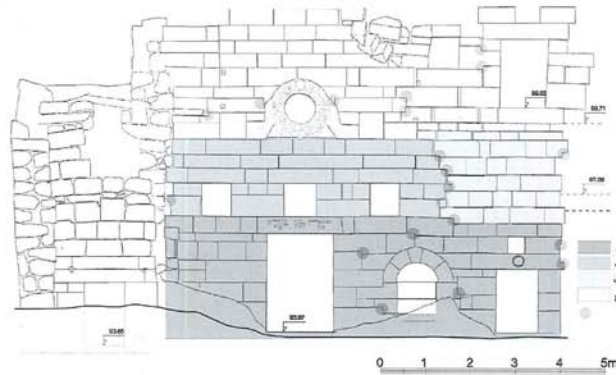


حجارة ملساء منحوتة بانقان.
حجارة متوسطة البحت.
حجارة خشنة سينة البحت.

أ- توزيع الأنواع المختلفة من الحجارة على الواجهة الداخلية.
(حجارة ملساء منحوتة بانقان، حجارة متوسطة البحت، حجارة خشنة سينة البحت).



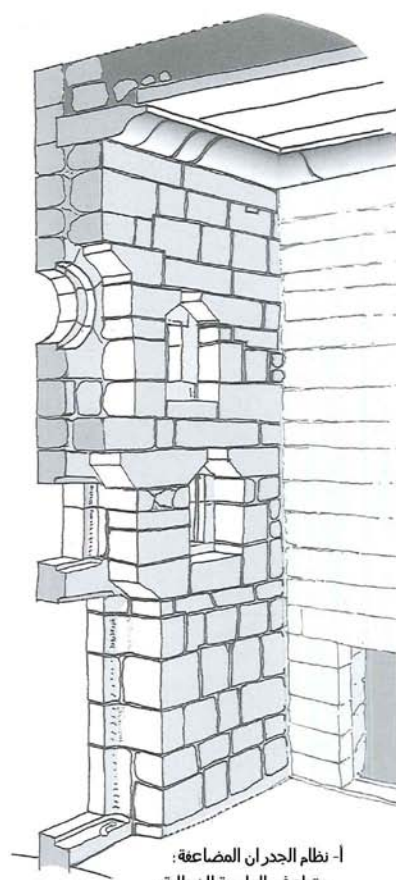
ب- شينجات الروايا.



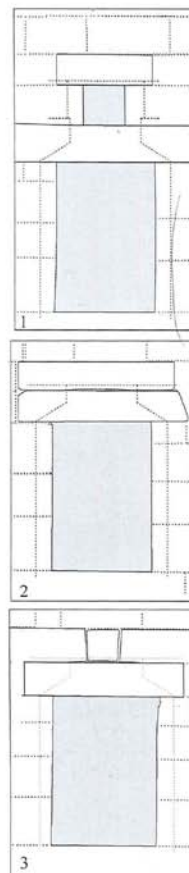
ج- توزيع حجارة العقب على الواجهة وفرضية أطوار البناء.

اللوحة 70 البناء²⁴².

²⁴² Clause-Balty, P: 2008, P. 126.

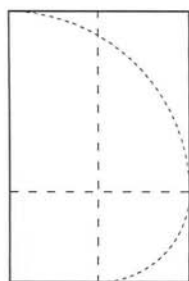


أ- نظام الجدران المضاعفة:
مقطع في الواجهة الشمالية.

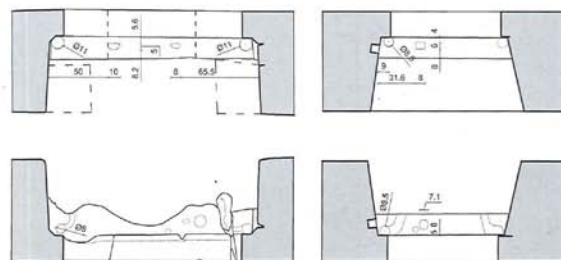


ب- نظام تفريغ حمولة السواكف.

(1. باستخدام شراعة، 2. باستخدام قوس تفريغ حمولة، 3. باستخدام قوس تفريغ مولف من ثلاث كتل حجرية)



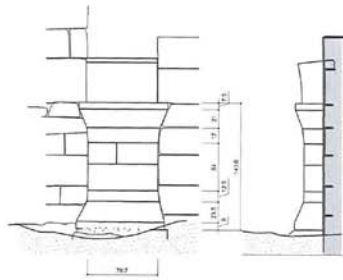
ج- نسب الأبواب: النسبة 3/2.



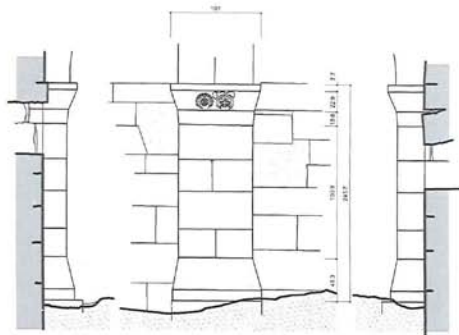
د- النقر على العتبات وعلى بطنيات السواكف.
(عتبة/ساكف/باب 001/002 باب 002/004)

اللوحة 71 المنافذ²⁴³.

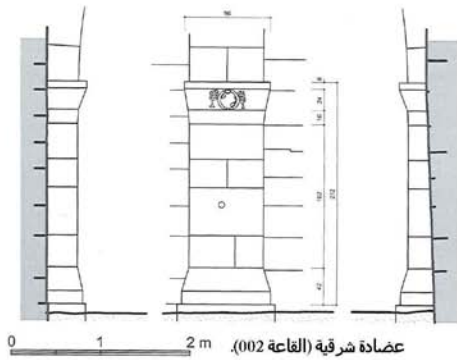
²⁴³ Clause-Balty, P: 2008, P. 127.



عمادة شرقية (القاعة 203).



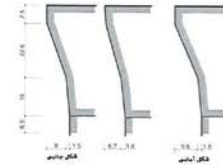
عمادة غربية (القاعة 002).



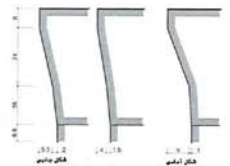
أ- رفوع ومقاطع.



تيجان العمادات الشرقية للقاعة 203.



تيجان العمادات الغربية للقاعة 002.



تيجان العمادات الشرقية للقاعة 002.

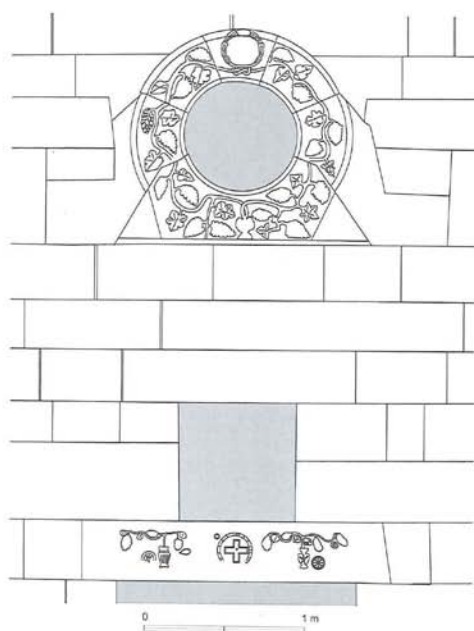
ب- الأشكال الجانبية لتيجان العمادات.



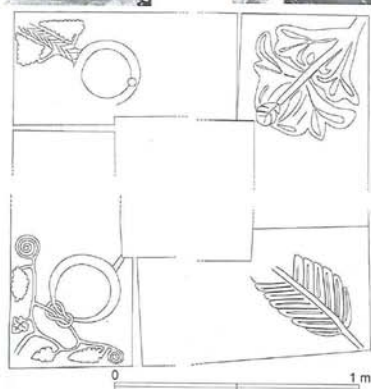
ج- الرخارف المنقوشة.

اللوحة 72 العمادات²⁴⁴.

²⁴⁴ Clause-Balty, P: 2008, P. 129.



أ- الواجهة الشمالية.



ب- أطراف الزاوية (القاعة 002).



ج- بلاطة السقف والطنف الجنوبي.
(القاعة 002)

اللوحة. 73 الزخارف²⁴⁵.

²⁴⁵ Clause-Balty, P: 2008, P. 131.

قائمة الأشكال واللوحات:

أولاً: قائمة الأشكال:

- الشكل. 1- خارطة جنوب سورية (حوران) 143
- الشكل. 2- خارطة الطرق التي تأخذ شكل نجمة في قرى جنوب سورية 144
- الشكل. 3- خارطة الطرق. يشار إلى الطرق التي تصل بين القرى باللون الأسود 144
- الشكل. 4- قطع حجرية مقطعة على شكل عُقب 145
- الشكل. 5- تلييسة مؤلفة من طبقتين 145
- الشكل. 6- تلييسة مزخرفة 146
- الشكل. 7- بطنية ساكف الباب 146
- الشكل. 8 147
- أ - وحدتان معماريتان بجانب بعضهما البعض.
- ب - وحدتان معماريتان متناضدتان.
- الشكل. 9- وحدة معمارية تحتوي على إصطبل في الطابق الأرضي للغرف 148
- الشكل. 10- واجهة المسكن رقم (1) في كفر ناسج 148
- الشكل. 11- واجهة البناء الغربي للمسكن رقم (3) في كفر شمس 149
- الشكل. 12- قاعدة عمود في المسكن رقم (3) في كفر شمس 149
- الشكل. 13- معالف تعلوها كوات في المسكن د في معربا 150
- الشكل. 14- غرفة حَجلة في المسكن رقم (3) في خربة غزالة 150
- الشكل. 15- خزائن برفوف تتوسطتها 151
- الشكل. 16- ركنة في المسكن رقم (1) في خربة غزالة 151
- الشكل. 17- مكان لوضع الجرار في المسكن رقم (1) في كفر ناسج 152
- الشكل. 18- بيت العلو يستند على الجزء البارز من برج قصر انخل 152
- الشكل. 19- برج مضاف إلى المسكن رقم (1) في كفر شمس 153
- الشكل. 20- صنجات العقد قبل إعادة رفعه في المسكن رقم (3) في كفر ناسج 153
- الشكل. 21- صورة عن حي قديم في كفر ناسج 154
- الشكل. 22- تمثال نصفي لطفل إيزيسي في المسكن رقم (3) في كفر ناسج 154
- الشكل. 23- ساكف منقوش في مسكن الفروان في انخل 155

- الشكل. 24- كفر ناسج، الواجهة المطلّة على فناء المسكن رقم (2)..... 155
- الشكل. 25- شقّا، الواجهة المطلّة على شارع القصر 156
- الشكل. 26- قصر انخل، الزخرفة الموجودة في أسفل إطار الباب المركزي للقصر 156
- الشكل. 27- الكرك، المسكن رقم (1) 157
- الشكل. 28- كفر ناسج، المسكن رقم (1) 157
- الشكل. 29- قصر انخل، مشكاة موجودة داخل القصر 158
- الشكل. 30- قصر انخل، مشكاة مضاعفة 158
- الشكل. 31- أفاميا، زخرفة الصلبان المعقوفة التي تتناوب مع مربعات ومستطيلات تحتوي مشاهد تصويرية 159
- الشكل. 32- الخالدية، زخرفة الصلبان المعقوفة المتناوبة مع مربعات تحتوي مشاهد تصويرية 159
- الشكل. 33- نوى، بيت جهماني، غرفة الحجلة 160
- الشكل. 34- كفر شمس، نقش يمثل مناجاة إله واحد على قاعة القوس 002 في المسكن رقم (1) 160
- الشكل. 35- أنية صغيرة جانب مدخل ركنة في بيت العواميد في عمرة 161
- الشكل. 36- أنية صغيرة وحوض ضمن كتلة حجرية واحدة في ركنة بناء صغير جانب الكنيسة جنوبي هيت 161
- الشكل. 37- مخطط أولي للواجهات الجنوبية والغربية والشمالية المطلّة على الفناء 162
- الشكل. 38- تغيير شكل البناء وفقاً للمحيط 163
- أ - المخطط الأساسي: قاعة القوس والغرف المجاورة.
- ب - اندماج داخل محيط البناء.
- ج - الانحراف عن المحور وتغيير شكل البناء الأساسي.
- الشكل. 39- مسقط الواجهة الجنوبية على الواجهة الشمالية 163
- الشكل. 40- المنافذ 164
- الشكل. 41- سقوف وأطناف 164
- الشكل. 42- الحجارة المتفككة إثر الصدمة باللون الرمادي 165
- الشكل. 43- النوافذ الدائرية 165

ثانياً: قائمة اللوحات:

- اللوحة 1- قصر معربا: مقطع غربي/شرقي مع واجهة البناء الشمالي 166
- اللوحة 2- المسكن رقم (1) في خربة خزالة 166
- اللوحة 3- اقتراح تعديل المخطط الأصلي لأربعة مساكن في كفر شمس 167
- اللوحة 4- المسكن رقم (2) في كفر شمس 168
- أ- واجهة البناء الشمالي.
- ب- اقتراح المخطط الأصلي للطابق الأرضي.
- اللوحة 5- المسكن رقم (1) في كفر شمس 169
- أ- واجهة البناء الغربي.
- ب- مقطع غربي/شرقي مع واجهة البناء الشمالي.
- ج- اقتراح المخطط الأصلي للطابق الأرضي.
- اللوحة 6- المسكن رقم (11) في محجة 170
- أ- المخطط الحالي للطابق الأرضي.
- ب- اقتراح المخطط الأصلي للطابق الأرضي.
- اللوحة 7- المسكن (D) و (E) في معربا 171
- أ- اقتراح المخطط الأصلي للطابق الأرضي للمسكن (D).
- ب- اقتراح المخطط الأصلي للطابق الأرضي للمسكن (E).
- اللوحة 8- قصر معربا 172
- أ- المخطط الأصلي للطابق الأرضي.
- ب- اقتراح المخطط الأصلي للطابق الأرضي.
- اللوحة 9- المسكن رقم (3) في خربة غزالة 173
- أ- المخطط الأصلي للطابق الأرضي.
- ب- اقتراح المخطط الأصلي للطابق الأرضي.
- اللوحة 10- مخطط حالي لأربعة مساكن في كفر شمس 174
- اللوحة 11- المسكن رقم (2) في خربة غزالة 175
- أ - المخطط الأصلي للطابق الأرضي.

- ب - اقتراح المخطط الأصلي للطابق الأرضي.
- اللوحة 12- المسكن رقم (3) في خربة غزالة: مقطع غربي/شرقي للبناء الشمالي 176
- اللوحة 13- المسكن رقم (3) في محجة 177
- أ- المخطط الأصلي للطابق الأرضي.
- ب- اقتراح المخطط الأصلي للطابق الأرضي.
- اللوحة 14- المسكن رقم (1) في خربة غزالة 178
- أ- المخطط الأصلي للطابق الأرضي.
- ب- اقتراح المخطط الأصلي للطابق الأرضي.
- اللوحة 15- المسكن رقم (1) في كفر ناسج 179
- أ - المخطط الأصلي للطابق الأرضي.
- ب - اقتراح المخطط الأصلي للطابق الأرضي.
- اللوحة 16- بيت العلو في انخل: المخطط الحالي للطابق الأرضي 180
- اللوحة 17- بيت العلو في انخل: مقطع غربي/شرقي للبناء الشمالي 181
- اللوحة 18- المسكن رقم (11) في محجة 181
- أ- مقطع طولي مع واجهة البناء الشمالي.
- ب- مقطع طولي مع واجهة البناء الجنوبي.
- اللوحة 19- أم الزيتون المسكن رقم (3) 182
- اللوحة 20 182
- أ- المسيرة، المسكن رقم (1)، الجدار الخلفي، الوجه الخارجي.
- ب- الكرك، المسكن رقم (1)، الواجهة.
- ج- الهيات، مسكن فلافيسيوس.
- اللوحة 21- المسكن رقم (4) في محجة 183
- أ- واجهة البناء الشمالي.
- ب- المخطط الأصلي للطابق الأرضي.
- ج - اقتراح المخطط الأصلي للطابق الأرضي.
- اللوحة 22- المسكن رقم (3) في محجة 184
- أ- مقطع طولي على طول البناء الشمالي.

ب- مقطع طولي أمام واجهة البناء الشمالي.

ج- مقطع طولي على واجهة البناء الغربي.

اللوحة 23 185

1- عنصر معماري معاد استخدامه تحت رواق المسكن رقم (1) في كفر ناسج.

2- نوى، تاج عمود في فناء المسكن رقم (8).

3- كفر شمس، رواق الطابق العلوي للمسكن رقم (3).

4- كفر ناسج، آثار رواق المسكن رقم (1).

5- كفر شمس، رواق المسكن رقم (2).

اللوحة 24 186

6- كفر شمس، تاج في رواق المسكن رقم (2).

7- كفر شمس، تاج في رواق الطابق العلوي للمسكن رقم (3).

8- كفر شمس، تاج في رواق الطابق الأرضي للمسكن رقم (3).

9- محبّة، تاج في رواق المسكن رقم (1).

10- كفر شمس، تاج في رواق المسكن رقم (2).

11- كفر شمس، تاج في رواق المسكن رقم (2).

12- كفر شمس، تاج في رواق الطابق العلوي للمسكن رقم (3).

13- محبّة، تاج في رواق المسكن رقم (3).

14- نوى، تاج معاد استخدامه في البناء رقم (13).

اللوحة 25 187

15- ذكير، عمود في رواق المسكن رقم (1).

16- أم الزيتون، تاج في رواق الطابق الأرضي لمسكن عمر.

17- قنوات، تاج لعضادة في واجهة قاعة العرش.

18- شهباء، رواق مسكن.

19- انخل، قاعدة عضادة القوس في قاعة القصر الرئيسية.

20- انخل، قاعدة عضادة القوس في القاعة الرئيسية لبيت العلو.

21- انخل، عضادة غربية في قاعة القوس الرئيسية في بيت العلو.

اللوحة 26 188

- 22- كفر ناسج، عضادة القوس في القاعة الرئيسية في المسكن رقم (1).
 23- انخل، تاج عضادة في قاعة القوس 006 لبيت العلو.
 24- انخل، عضادة القوس في قاعة القصر الرئيسية.
 25- انخل، عضادة القوس في قاعة القصر الرئيسية.
 26- نوى، تاج العضادة الشرقية لقاعة القوس 005 للمسكن رقم (2).
 27- نوى، تاج العضادة الغربية لقاعة القوس 005 للمسكن رقم (2).
 28- نوى، عضادة في غرفة الحَلة 004 في المسكن رقم (3).

اللوحة 27 189

- 29- نوى، عضادة في غرفة الحَلة 004 في المسكن رقم (3).
 30- انخل، تاج عضادة في قاعة القوس الرئيسية 003 في بيت العلو.
 31- نوى، تاج عضادة في غرفة الحَلة 003 في المسكن رقم (8).
 32- نوى، عضادة في غرفة الحَلة 003 في المسكن رقم (8).
 33- نوى، عضادة في غرفة الحَلة 003 في المسكن رقم (8).

اللوحة 28 190

- 34- عثمان، ضريح.
 35- بصرى، المسرح.
 36- الصنمين، مسكن.
 37- بصرى، المسرح.
 38- عتيل، القبر الغربي.
 39- الصنمين.
 40- شهباء، تاج زاوية في رواق.
 41- المسمية، تاج.

اللوحة 29 191

- 42- خربة خزالة، طنف زاوية في الغرفة 019 في المسكن رقم (1).
 43- خربة خزالة، طنف زاوية في الغرفة 021 في المسكن رقم (1).
 44- كفر ناسج، طنف زاوية في الغرفة 007 في المسكن رقم (1).
 45- كفر ناسج، طنف زاوية في الغرفة 009 في المسكن رقم (1).

- 46- محجة، طنف زاوية في الغرفة 014 في المسكن رقم (11).
- 47- كفر ناسج، طنف زاوية في الغرفة 009 في المسكن رقم (1).
- 48- نوى، إطار مزخرف بزخرفة بارزة في غرفة الحجلة 003 للمسكن رقم (8).
- 49- نوى، إطار مزخرف بزخرفة بارزة في غرفة الحجلة 004 للمسكن رقم (8).
- 50- خربة غزالة، إطار معاد استخدامه بالقرب من المسكن رقم (1).
- اللوحة 30 192
- 51- انخل، إطار مزخرف بزخرفة بارزة في القاعة الرئيسية 003 لبيت العلو.
- 52- انخل، باب جانبي للقصر.
- 53- انخل، إطار مزخرف بزخرفة بارزة للباب الرئيسي للقصر.
- 54- شقا، باب رئيسي للدير.
- 55- شهاب، بروز لباب الرواق.
- 56- سليم، حمامات.
- 57- إزرع، لوح حجري مخرم معاد استخدامه في جامع عمر الكبير.
- 58- صلخد، لوح حجري مخرم معاد استخدامه في القلعة.
- 59- الصنمين، لوح حجري مخرم معاد استخدامه.
- 60- السويداء، لوح حجري مخرم في المتحف.
- اللوحة 31 193
- 61- قصر انخل، مشكاة واجهة.
- 62- قصر انخل، مشكاة واجهة.
- 63- قصر انخل، مشكاة واجهة.
- 64- محجة، مشكاة داخل غرفة الحجلة 007 في المسكن رقم (3).
- 65- نوى، مشكاة داخل غرفة الحجلة 004 في المسكن رقم (8).
- 66- نوى، مشكاة في واجهة البناء الشمالي للمسكن رقم (3).
- 67- انخل، عنصر معماري معاد استخدامه في الجامع.
- 68- انخل، عنصر معماري معاد استخدامه في الجامع.
- اللوحة 32- قصر انخل: إطار مشكاة الغرفة الرئيسية 194
- اللوحة 33- قصر انخل: زخارف متكررة من الصليب المعقوفة المتناوبة مع وريقات 194

اللوحة 34 195

- 69- خربة غزالة، إكليل على ساكف الغرفة 019 في المسكن رقم (1).
- 70- خربة غزالة، إكليل على ساكف لباب مسدود خلف الغرفة 002 في المسكن رقم (3).
- 71- انخل، إكليل على مفتاح القوس وطنف القاعة الرئيسية 003 لبيت العلو.
- 72- كفر ناسج، إكليل على صنجة عقد في غرفة الحجلة في المسكن رقم (3).
- 73- كفر ناسج، إكليل على ساكف في المسكن رقم (4).

اللوحة 35 196

- 74- كفر شمس، إكليل على ساكف معزول.
- 75- معربا، إكليل معاد استخدامه خلال طور إصلاحي متأخر للمسكن (D).
- 76- محجة، إكليل على طنف زاوية في الغرفة 014 في المسكن رقم (11).
- 77- محجة، إكليل على كتلة حجرية معاد استخدامها في المسكن رقم (16).
- 78- محجة، إكليل على ساكف المسكن رقم (19).
- 79- نوى، إكليل على قوس القاعة 002 في المسكن رقم (2).
- 80- معربا، ساكف في المسكن (A).
- 81- - معربا، ساكف في المسكن (E).

اللوحة 36 197

- 82- محجة، ساكف في المسكن رقم (2).
- 83- محجة، ساكف المدخل الرئيسي للمسكن رقم (7).
- 84- محجة، ساكف الردهة الغربية معاد زخرفته في المسكن رقم (11).
- 85- محجة، ساكف معاد استخدامه في المسكن رقم (14).
- 86- محجة، ساكف معاد استخدامه في المسكن رقم (19).
- 87- محجة، ساكف معاد استخدامه في المسكن رقم (19).
- 88- محجة، ساكف معاد استخدامه في المسكن رقم (19).
- 89- ساكف في نوى.
- 90- بصرى، إكليل على كتلة حجرية معاد استخدامها في قصر تراجان خلال إصلاحه.
- 91- بصرى، إكليل على ساكف معاد استخدامه.
- 92- ساكف.

93 ساكف في داما.

اللوحة 37 198

94- ساكف في المتحف الوطني بدمشق.

95- ذكير، المسكن رقم (1).

96- ذكير، ساكف في المسكن رقم (3).

97- إزرع، تاج لعضادة قوس في كنيسة القديس جورج.

98- ساكف معاد استخدامه في مدخل فناء كنيسة القديس إيلي.

99- ضريح.

100- الكرك، ساكف في المسكن رقم (1).

101- مسكية، ساكف.

102- قنوات، ساكف قاعة العرش.

103- صالح، ساكف.

104- صنمين، ساكف.

105- محجة، زخرفة على طنف في المسكن رقم (1).

اللوحة 38 199

106- خربة غزالة، زخرفة على ساكف معاد استخدامه في المسكن رقم (2).

107- انخل، زخرفة على كوة واجهة القصر.

108- كفر شمس، تاج في قاعة القوس 002 في المسكن رقم (1).

109- كفر ناسج، وريدة على كتلة حجرية معزولة.

110- كفر شمس، وريدة منقوشة على ساكف قاعة القوس 002 في المسكن رقم (1).

111- ذكير، ساكف في المسكن رقم (1).

112- خربة غزالة، عقدة سليمان على ساكف معاد استخدامه في المسكن رقم (2).

113- أفاميا، عقدة سليمان على قطعة موزاييك في المستوى الوثني تحت الكاتدرائية.

اللوحة 39- قصر انخل: نقوش على شكل وريدات 200

اللوحة 40 201

114- محجة، إكليل مضاف على ساكف المسكن رقم (19).

115- دير العدس، كنيسة القديس جورج، إكليل مضاف على لوح من الموزاييك المحفوظ

في متحف قلعة بصرى.

116- محجة، زخرفة المربعات المترابطة على ساكف في المسكن رقم (19).

117- تدمر، زخرفة المربعات المترابطة على ضريح.

118- تدمر، زخرفة المربعات المترابطة على قطعة نسيج.

119- خربة غزالة، زخرفة الغاما على عنصر معماري معاد استخدامه في سقف المسكن

رقم (3).

120- ذكير، زخرفة الغاما على ساكف.

121- مسكن، زخرفة الغاما.

122- المسكية، ساكف داخل مسكن.

123- نامر، زخرفة الغاما على ساكف داخل مسكن.

اللوحة 41 202

124- شعارة، غامات على باب داخل مسكن.

125- مصر، زخرفة الغاما على قطعة ملابس.

126- أفاميا، زخارف الغاما على لوح موزاييك في مستوى وثني تحت الكاتدرائية.

127- معربا، زخرفة الأعمدة الصغيرة على عنصر معماري في كنيسة.

128- إزرع، زخرفة الأعمدة الصغيرة على ساكف.

129- دير البخت، زخرفة الأعمدة الصغيرة على عنصر معماري معاد استخدامه بالمقلوب.

130- مؤتية، زخرفة المذبح.

131- نامر، زخرفة الأعمدة الصغيرة.

132- أ- الحريك.

132- ب- إزرع.

اللوحة 42 203

142- مجيمر، ساكف.

143- ناحطة.

144- صماء، ساكف.

145- شقا، ساكف في القصر.

146- أم السراب، ساكف.

- 147- الكرك، زخرفة مصباح على ساكف داخل المسكن رقم (1).
- 148- انخل، كوة خارجية في القصر.
- 149- كفر ناسج، زخرفة الأنية على ساكف المسكن رقم (4).
- 150- محجة، زخرفة الأنية تحت النافذة الدائرية في المسكن رقم (1).
- 151- محجة، ساكف في المسكن رقم (7).
- اللوحة 43 204
- 133- كفر شمس، صليب منحوت على بطينة ساكف في رواق المسكن رقم (2).
- 134- كفر شمس، صليب سداسي على ساكف رواق المسكن رقم (29).
- 135- محجة، صليب رباعي على عنصر معماري معاد استخدامه خلال تصليح سقف المسكن رقم (11).
- 136- محجة، صليب رباعي على عنصر معماري معاد استخدامه خلال تصليح سقف المسكن رقم (11).
- 137- بصرى، زخرفة في قصر تراجان.
- 138- ساكف.
- 139- الكرك، زخرفة الصليب.
- 140- الخازمة، ساكف.
- 141- ملة السرار، ساكف.
- اللوحة 44 205
- 152- نوى، المسكن رقم (2).
- 153- نوى، ساكف في البناء رقم (13).
- 154- قنوات، ساكف.
- 155- خان الخالدية، زخرفة الأنية على لوح موزاييك في الكنيسة.
- 156- محجة، زخرفة الأنية على ساكف مدخل المسكن رقم (1).
- 157- إزرع، زخرفة الأنية على ساكف كنيسة القديس إيلي.
- اللوحة 45 206
- 158- خربة غزالة، زخرفة صدفة القديس جاك على كتلة حجرية معاد استخدامها في المسكن رقم (2).

- 159- محجة، زخرفة صدفة القديس جاك على كتلة حجرية معاد استخدامها في المسكن رقم (15).
- 160- بصرى، زخرفة صدفة القديس جاك في قصر تراجان.
- 161- نوى، زخرفة صدفة القديس جاك على ساكف المسكن رقم (2).
- 162- السويداء، زخرفة صدفة القديس جاك على ساكف في المتحف.
- 163- كفر شمس، المسكن رقم (2).
- 164- كفر شمس، المسكن رقم (2).
- 165- خربة غزالة، شكل دائري بمقبض على طنف زاوية في المسكن رقم (1).
- اللوحة 46 207
- 166- كفر ناسج، وجه مزخرف على مفتاح عقد غرفة الحجلة في المسكن رقم (3).
- 167- انخل، وجه مزخرف على مفتاح قوس القاعة الرئيسية لبيت العلو.
- 168- السويداء، نقش وجهان متقابلان في المتحف.
- 169- عتيل، ساكف.
- اللوحة 47 208
- أ- الموقع الجغرافي لقرية عمرة.
- ب- مخطط القرية القديمة وأماكن الآثار المكتشفة من قبل بعثة عام 2007.
- اللوحة 48- مخطط الوضع الحالي لبيت عمر 209
- اللوحة 49- تصور المخطط الأصلي لبيت عمر 209
- اللوحة 50 210
- أ - مقطع غربي/شرقي لبيت عمر: وضع حالي.
- ب - مقطع غربي/شرقي لبيت عمر: الوضع الأصلي المتصور.
- اللوحة 51 210
- أ- الواجهة المطلّة على فناء البناء الغربي الحاوي على القاعة الرئيسية.
- ب- الواجهة المطلّة على فناء البناء الشمالي وبرجه.
- اللوحة 52 211
- أ- الوضع الحالي للقاعة الرئيسية ومدخلها الكبير الذي تعلوه ثلاث نوافذ كبيرة.
- ب- جزء تفصيلي من قوس القاعة الرئيسية.

ج- أطناف السقف على شكل تضليع مستقيم.

اللوحة 53 212

أ- حَجلة الغرفة 004.

ب- حَجلة الغرفة 005.

ج- آثار حجلة القاعة 019.

د- ركنة الغرفة 003.

اللوحة 54- مخطط الوضع الحالي لبيت عَمر 213

اللوحة 55- تصور الوضع الأصلي لبيت عَمر 214

اللوحة 56- مسكن قديم في عَمرة 214

أ- الواجهة المطلّة على فناء البناء الجنوبي.

ب- واجهة الإصطبلات.

اللوحة 57- مقطع منظوري متصور لبيت عَمر 215

اللوحة 58- مخطط ومقطع لبيت عقل عَمر في عَمرة الذي نشره فوغي في عام 1865 ... 215

اللوحة 59 216

أ- مسكن أبدر.

ب- مسكن أولينت.

ج- مسكن في دورا أوروبوس.

د- مسكن في ديلوس.

هـ- مخطط متصور للطابق الأرضي للجزء السكني في بيت عَمر.

اللوحة 60 217

أ- المخطط الأصلي المتصور للمسكن رقم (3) في محجّة مع إصطبل خارجي.

ب- المخطط الأصلي المتصور للمسكن رقم (3) في محجّة مع غرف استقبال في الجانب

الشمالي.

ج- مسكن بعضادات في أفاميا.

د- مسكن رقم (39) في تدمر.

هـ- مسكن برواق في شهباء.

اللوحة 61- اقتراح ترميم الشكل الأصلي لفناء بيت عَمر 218

- اللوحة 62- الآثار 219
- أ - مخطط الموقع.
- ب - تتواجد الآثار داخل محيط ذو كثافة سكانية كبيرة.
- ج- البناء الشمالي.
- د- مقطع طولي.
- اللوحة 63 220
- أ - المخبأ (الغرفة 205).
- ب - قاعة القوس في الطابق العلوي (الغرفة 203).
- ج- مخطط الطوابق (الطابق الأرضي، الطابق المتوسط، الطابق العلوي).
- اللوحة 64- التشوهات 221
- أ - الواجهة الشمالية: في الأعلى إلى اليمين التشوه الناتج عن هزة أرضية.
- ب - ميلان المداميك العلوية والدرجات.
- ج- الزاوية الجنوبية الغربية (القاعة 003).
- د- الواجهة الجنوبية (القاعة 003): يلاحظ اختلاف نوعية حجارة إطار النافذة.
- هـ- الواجهة الجنوبية للقاعات (004/003): تقود الفتحة الموجودة في الأعلى إلى الغرفة (103). النافذة ذات الحاجز المخرم إلى اليمين.
- و- منظر خلفي للمسكن.
- اللوحة 65- الترميمات 222
- أ - تحديد أماكن المداخل والتوسعات الحاصلة بحسب الطوابق.
- ب - الدلائل الموجودة على الواجهة الحالية والمعتمد عليها في معرفة طرق التنقل.
- ج- مقطع مبسط لقاعة القوس التي يجاورها إصطبل.
- د- المبنى الغربي للأجزاء الأصلية.
- اللوحة 66- المشاكي والخزائن 223
- أ - الخزائن الجنوبية (الغرفة 002).
- ب - الخزانة الشرقية (الغرفة 002).
- ج- المشكاة المقوسة الخارجية: رفع داخلي.
- اللوحة 67- التشوهات 224

- أ - الزاوية الجنوبية الشرقية الخارجية.
- ب - الزاوية الجنوبية الشرقية الداخلية (القاعة 002).
- ج- الزاوية الشمالية الغربية (القاعة 002): انخساف بلاطات السقف.
- د- تصدع في مفاتيح العقد العلوية للقوس الرئيسي (القاعة 002).
- هـ- الواجهة الشمالية للغرف (005/105).
- و- الغرفة 105 من الداخل.
- 225 اللوحة 68- النوافذ
- أ - الطنف والكوة المركزية الجنوبية.
- ب - خافذة بحاجز مخرم: المبنى من الداخل والخارج.
- 226 اللوحة 69- ترميمات
- أ - مقطع شرقي/غربي مرمر.
- ب - ترميم الفناء.
- 227 اللوحة 70- البناء
- أ - توزع الأنواع المختلفة من الحجارة على الواجهة الداخلية.
- ب - شيناجات الزوايا.
- ج- توزع حجارة العقب على الواجهة وفرضية أطوار البناء.
- 228 اللوحة 71- المنافذ
- أ - نظم الجدران المضاعفة: مقطع في الواجهة الشمالية.
- ب - نظام تفريغ حمولة السواكف.
- ج- نسب الأبواب: النسبة 3/2.
- د- النقر على العتبات وعلى بطنيات السواكف.
- 229 اللوحة 72- العضادات
- أ - رفوع ومقاطع.
- ب - الأشكال الجانبية لتيجان العضادات.
- ج- الزخارف المنقوشة.
- 230 اللوحة 73- الزخارف
- أ - الواجهة الشمالية.

ب -أطناف الزاوية (القاعة 002).

جـ- بلاطات السقف والطنف الجنوبي (القاعة 002).

قائمة المراجع العربية والأجنبية:

المراجع العربية:

- أبو بكر، فاتن: نظم الإدارة المفتوحة في مجال الآثار، القاهرة، 2001.
- أبو عساف، علي: الآثار في جبل حوران، دمشق، 1997.
- أحمد، عبد الواحد: تطبيقات نظم المعلومات الجغرافية لرفع كفاءة تنفيذ مخططات التنمية للمجتمعات العمرانية، رسالة ماجستير، كلية الهندسة، جامعة القاهرة، 2004.
- برهان، محمد نور: إدارة أنظمة المعلومات-عناصر الاستراتيجيات والسياسات، تقرير صادر عن دائرة التعاون الفني للتنمية بالأمم المتحدة، عمان، 1991.
- بهنسي، عفيف: تاريخ الفن والعمارة، دم، 2003-2004.
- بهنسي، عفيف: سوريا التاريخ والحضارة، المنطقة الجنوبية، دمشق، 2001.
- بيومي، محمد رجب: دليل استخدام شبكة الانترنت للبحث العلمي والبحث عن المعلومات، جامعة أسيوط، مصر، 2002.
- حسن، نورس مرعي: منطقة اللجاة الوعرة، دراسة تاريخية أثرية، دمشق، 2005.
- الحلو، عبد الله: سورية القديمة: من أقدم الأزمنة المعروفة حتى أوائل العصر البيزنطي دمشق، 2004.
- خشبة، محمد السيد: نظم المعلومات (المفاهيم- التحليل- التصميم)، موسوعة المعلومات والتكنولوجيا، القاهرة، 1992.
- دانتزر، جون ماري/مجموعة من الباحثين: سورية الجنوبية، بحوث أثرية في العهدين الهلنستي والروماني، ترجمة: أحمد عبد الكريم وآخرون، دمشق، 1988.
- دانتزر، جون ماري: الأبحاث الأثرية الفرنسية على ضوء استكشاف سورية الجنوبية البازلتية، ترجمة: حسن حاطوم، مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية، المجلد 41 دمشق، 1997، ص. 199-203.

دوسو،رينيه: العرب في سورية قبل الإسلام، ترجمة: عبد الحميد الدواخلي، القاهرة 1959.

الذيب،منير: سورية الجنوبية، حوران، دمشق، 2004.

راضي،بركات توفيق: آثار وتراث حوران، دمشق، 2002.

ريشان،نقولا سعادة: حوران من زوايا التاريخ، دمشق، 1979.

سارتر،موريس: التنقل والاقتصاد ومجتمع الجبل في سورية الجنوبية، مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية، المجلد41، دمشق، 1997، ص. 191-197.

سيمونيان،جورج نوبار: الثقافة الإلكترونية، سلسلة الأعمال العلمية، القاهرة، 2004.

شحاتة،أحمد/حمدي،إسلام: استخدام الوسائط المتعددة في تسجيل وتوثيق المباني ذات القيمة التراثية، ندوة التراث العمراني في المدن بين المحافظة والمعاصرة، المعهد العربي لإنماء المدن، منطقة المدن العربية، حمص، 2001.

صافي،رحاب صالح: الأنباط في سورية من القرن الأول قبل الميلاد حتى القرن الثاني الميلادي، أطروحة ماجستير، الجامعة اللبنانية، 2002.

صلاح،صقر محمد: أسماء الأماكن والمدن والقرى في جنوب سورية وتفسير معانيها أطروحة ماجستير، جامعة دمشق، 2004.

ضيف،محمد أيمن: الثورة الرقمية وتغيير المبادئ الأساسية للتخطيط العمراني، مجلة المدينة العربية، عدد 110، الكويت، 2002، ص. 9-13-31.

عامر،غالب/نمر،داوود: جبل العرب في العصور القديمة، دليل أثري تاريخي مصور دمشق، 2006.

عبد الباقي،ابراهيم: عمارة الحاضر تراث المستقبل، مجلة عالم البناء، عدد87/88 القاهرة، 1988، ص. 5.

عبد،جلال ابراهيم/محمد،منال: مقدمة في نظم المعلومات الإدارية: النظرية-الأدوات التطبيقات، الإسكندرية، 2000.

- عبد السلام، عادل: **الأقاليم الجغرافية السورية**، دمشق، 1990.
- عبود، غسان: **تأثير الحجر البازلتي في إعادة تأهيل الأبنية السكنية القديمة**، مجلة الباسل للعلوم الهندسية، العدد 8، دمشق، 1997.
- عفيفي، أحمد/محمد، وائل: **المدينة العربية في ظل الحكومة الإلكترونية**، ندوة الحكومة الإلكترونية، مسقط، 2003.
- علي، نبيل: **العرب وعصر المعلومات**، سلسلة كتب ثقافية وشهرية، عدد 184، الكويت 1994، ص. 23-24-51-155.
- عمران، محمود سعيد: **الامبراطورية البيزنطية وحضارتها**، بيروت، 1999.
- فريحات، عادل: **قرية من حوران**، خبب: سكاناً وعمراناً وثقافةً، دمشق، 2001.
- فيلينوف، فرانسوا: **اقتصاد ومجتمع قرى جبل حوران في العصر الروماني من خلال المعطيات الأثرية**، ترجمة: بشير زهدي، مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية المجلد 41، دمشق، 1997، ص. 169-172.
- قنديلجي، عامر/فاضل، إيمان: **تكنولوجيا المعلومات وتطبيقاتها**، عمان، 2002.
- كلوس، باسكال: **البيوت الريفية القديمة في سورية الجنوبية**، مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية، المجلد 47-48، دمشق، 2004-2005، ص. 253-254.
- كلينكل، هورست: **آثار سورية القديمة**، ترجمة: قاسم طوير، دمشق، 1985.
- محمد، ربيع: **مستقبل مركز المدينة العربية التقليدية في عصر التقدم التقني والمعلوماتي بين الإحياء وإعادة التوظيف**، ندوة مركز المدينة العربية بين الحاضر والمستقبل المعهد العربي لإنماء المدن، منطقة المدن العربية، حمص، 2004.
- مصطفى، محمود/عبد العزيز، هشام: **قرى وأنساب حوران**، دمشق، 1996.
- مصطفى، محمود: **درعا بين الماضي والحاضر**، دمشق، 1994.
- مصطفى، محمود/عارف الوفي، بسام: **درعا: الإنسان-الحضارة-التاريخ**، دمشق، 1997.
- مقداد، خليل: **حوران عبر التاريخ**، دمشق، 1996.

مكاوي، فوزي: الشرق الأدنى في العصرين الهلنستي والروماني، مصر، 1999.

مصمودي، مصطفى: العالم العربي وعصر المعلومات في ثورة المعلومات والاتصالات أبو ظبي، 1998.

الموسوي، هاشم/محمد، سناء: الاستفادة من ثورة التكنولوجيا والمعلومات في التعليم المعماري، بحث مقدم للمؤتمر الهندسي العربي الرابع والعشرين، عمان، 2007.

ميداني، محمد فوزي: الحياة الاجتماعية والاقتصادية في سورية في العصر الهلنستي دراسة تاريخية، أطروحة ماجستير، جامعة دمشق، 2006.

وهب، منهل: الخصائص المحلية للعمارة القديمة في جبل العرب، مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية، المجلد 41، دمشق، 1997، ص. 47-54.

Aldenderfer, M.S/Herbert, D.G: Anthropology, space, and ***Geographic Information Systems***, Oxford, 1996.

Allen, K/Green, S: ***The realitie of Hardware in interpreting space: GIS and archeology***, London, 1990.

Arens, C.A: ***Maintaining reality: modelling 3d spatial objects in a Geo-DBMS using a 3d primitive***, Lyon, 2003.

Aspinall, R/Miller, D: ***Data Quality and Error Analysis in GIS*** 1993.

Aurenche, O: ***L'époque romaine***, documents de cartographie antique, N.S, 1972.

Balty, J.Ch: Notes sur l'habitation romaine, Byzantine et arabe d'Apamée, Rapport de synthèse, ***colloque Apamée de Syrie, Bilan des recherche archéologique 1973-1978***, Bruxelles, 1989, P. 471-501.

Barcelo, J: ***Computational intelligence in archeology***, 2008.

Barcelo, J/De Castro, O/ Travet, D and VICENTE, O: ***A 3D model of an archaeological excavation***, 2003.

Bausou, T: Le réseau routier romain de la Syrie du sud, dans ***Hauran 2***, Beyrouth, 2003.

Berger, F/ Verhagen, Ph: ***Predictive modelling of buried archaeological sites in the Tricastin-Valdaine region (Middle Rhone Valley, France)***, Ljubljana, 2000.

Bergstrom, A: *Techniques for implementing Three-dimensional computer modeling in archaeological research and education* Oxford, 2005.

Bernard, P: Chapiteaux corinthiens hellénistiques d'Asie central découverts à Ai Khanoum, *Syria*, 1968, P.111-151.

Bodo, Ph/Clauss-Balty, P: Une maison à Amrah de Melchior de vogué à nos jours, *Syria* 86, 2009, P.233-279.

Braemer, F: prospections archéologiques dans le Hauran, *Syria* Paris, 1993, P. 118-153.

Braemer, F/Echallier, J.C: *Khirbet al-Umbashi. Villages et campements de pasteurs dans le désert noir à l'âge Bronze* Beyrouth, 2004.

Braemer, F: Une tour en pierres sèches du Jebel Druz, note d'architecture, *Berytus* 32, 1984b.

Burrough, P.A: *Principles of Geographical Information Systems* Oxford, 1986.

Butler, H.C: *Publications of the Princeton university archaeological expeditions to Syria in 1904-1905 and 1909*, part 4, Leiden, 1914.

Butler, H.C: *Publications of the Princeton university archaeological expeditions to Syria in 1904-1905 and 1909*, part 5, Leiden, 1915.

- Butler, H.C: *Publications of the Princeton university archaeological expeditions to Syria in 1904-1905 and 1909*, part 6, Leiden, 1916.
- Camara, A\Raper, J: *Spatial multimedia and vertual reality* london, 1999.
- Carmichael, L: *GIS predictive modelling of prehistoric site distributioin Central Montana*, London, 1990.
- Carole, L: *An application of remote sensing and GIS in regional archeological survey*, London, 1990.
- Chamonard, J: *Exploration archéologique de Délols*, Paris, 1922.
- Choay, F: *L'allégorie du patrimoine*, Paris, 1992.
- Christopherson, L: *GIS and Archaeology: Using Arc/Info to increase our understanding of ancient Jordan*, 1996.
- Clark, J: *Computer applications and quantitative methodes in archeology*, United States, 2006.
- Clause-Balty, P: L'habitat dans les campagnes de Syrie du sud *Hauran3*, Beyrout, 2008.
- David, J.C /Al-Dbiat, M: *La ville en Syrie et ses territoires*, bultin d'études orientales, Damas, 2002.
- Degeorge, G : *Syrie*, Paris, 1994.
- Demers, N: *Fundamentals of Geographic Information Systems* New York, 1997.

Dentzer-Feydy, J: Décor architectural et développement du Hauran dans ***Hauran1***, partie 2, 1986, P. 261-310.

Dentzer, J.M: les villages de la Syrie romaine dans une tradition d'urbanisme oriental, ***Syria***, Paris, 1993, P.213-248.

Dentzer, J.M: Conclusion: development et culture de la Syrie du sud dans la période de préprovinciale, dans ***Hauran 1***, part 2 1986.

Dentzer, J.M / Dentzer-Feydy, J: ***Le djebel al-Arab***, Paris, 1991.

Dentzer, J.M /Orthman, W : ***Archeologie et histoire de la Syrie2***, Paris.

De vries, B: ***Umm el-Jimal, a frontier town and its landscape in northern Jordan***, Rhode Island, 1998.

Elbert, I: ***The theoretical basis of archaeological predictive modelling and a consideration of appropriate Data-Collection methods***, London, 1990.

Feydy, J.D/Vallerin, M: La Syrie du sud du niolithique à l'antiquité tardive, dans ***Hauran 5***, Beyrouth, 2010.

Gentelle, P: Eléments pour une histoire de paysage et du peuplement du Djebel septentrional, dans ***Hauran 1***, parti 1, 1985.

Gilson, J: ***The perception of the visual world Westport***, Green wood press, 1950.

Gilson, J: ***The senses considered as perceptual systems***, Boston 1966.

- Gilson, J: *The ecological approach visual to visual perception* Oxford, 1996.
- Gillings, M\Goodrick, T: *Sensuous and reflexive GIS*, London 1996.
- Gillings, M: *Exploring the potential of VR in experiential landscape studies*, British archeological reports, London, 1997 P. 247-254.
- Goodrick, T: **Virtual reality and visualisation: the best tool for the job**, London, 1999.
- Goodchild, F: *Spatial Analysis with GIS: Problems and Prospects*, Georgia, 1991.
- Gopal, S: *The Accuracy of Spatial Databases*, New York, 1989.
- Gregg, R.C/Urman, D: *Pagans and Christians in the Golan Heights*, South Florida studies in the history of Judaism 140 University of south Florida, 1996.
- Gregory, D: *Geographical imaginations*, London, 1994.
- Heranshow, H/Unwin, D: *Visualisation in GIS*, London, 1994.
- Hodder, I: *Spatial analysis in archeology*, Cambridge, 1976.
- Hoepfner, W/Schwandner, E.L: *Haus und stadtim klassischen griechen land neubeaerbeitung*, Berlin, 1994.
- Huggett, J/Ryan, N: *Computer Applications in Archaeology* Oxford, 1994.

- Kallner-Amiran, D.H: A revised earthquake, catalogue of Palestine, ***IEJ1***, 1950-1951.
- Kalos, M: Un sanctuaire mithra inédit en Syrie du sud, ***Topoi*** 2001, P. 229-277.
- Kammermans, H/Fennema, K: ***Interfacing the Past: Computer applications and quantitative methods in archaeology***, 1994.
- Kvamme, K: ***Geographic Information Systems in Regional Archaeological Research and Data Management***, Arizona 1989.
- Kvamme, K: ***GIS Algorithms and Their Effects on Regional Archaeological Analysis***, London, 1990.
- Latrone, J: ***la vie rurale en Syrie et au liban***, Damas, 1936.
- Le Glay, M: ***L'orient romain villes, temples et sancturaises*** Montpellier, 1986.
- Littman, R/Stuart, R: ***Publications of the Princeton University archeological expeditions to Syria in 1904, 1905, 1909***, Leiden 1921.
- Lozar, R: ***Global data to model climation change and enviromental sensitivity***, Japan, 1993.
- Madry, S: ***Remote sensing and GIS analysis in archeology***, Paris 1990.
- Maldonad, T: ***Virtual reality***, Milano, 2005.
- Masclé, J: ***Le Djebel druze***, les lettres françaises, Beyrouth, 1944.

Milbrun, R: *Early Christian art and architecture*, university of California press, 1988.

Morrisson, C/Sodini, J.B: *les villages dans l'empire byzantin* Paris, 2005.

Naccache, A: *Le décor des églises de villages d'Antiochène*, Paris 1992.

Orton, C: *Mathematics and informatic in Archaeology* Cambridge, 1980.

Pascale Clause, B: La Kalybé de Hayat, *Syria*, Paris, P.249-259.

Reilly, P/ Rahtz, S: *Archaeology and the Information Age: A global perspective*, Oxford, 1992.

Ross, S/ Moffett, J Plewe, B and Henderson, J: *Computing for Archaeologists*, Oxford, 1990.

Russel, K.W: The earthquake of May 19, A.B 363, *Basor*, 1980.

Sadler, S: Le terroir agricole de Diyateh, dans B.Geyer *Techniques et pratique hydro-agricole traditionnelles en demaine irrigué*, Paris, 1990.

Sartre-Fauriat, A: Les notables et leur role dans l'urbanisme du Hauran à l'époque romaine, dans *construction, reproduction et representation des patriarcats urbains*, Tours, 1999.

Sartre-Fauriat, A: *Les voyages dans le Hauran*, Beyrout, 2004.

Sartre-fauriat, A: culture et société dans le Hauran d'apres les épigrammes funéraires, *Syria*, Paris, 1998, P213-224.

Sartre, M: *Un marchand d'épigrammes à Maaga de Batanée*, 2007.

Shennan, S: *Quantifying Archaeology*, Edinburgh, 1988.

Sodini, J.P, Tate, G: Maisons d'époque romaine et byzantine
Bilan des recherches archéologiques 1973-1979, Bruxelles, 1984
P.377-393.

Sodini, J.P : Habitat de l'antiquité tardive Arabie et palestine
Topoi7, 1997.

Sourdel, D: *les cults du Hauran à l'époque romaine*, Paris, 1952.

Store, J/Zlatanova, S: *Visualisation and editing of 3D objects organised in aDBMS*, The Netherlands, 2002.

Strocka, V.M: *Das markttor von millet*, Berlin, 1981.

Tate, G: *Les campagnes de la syrie du nord, un exemple d'expansion démographique et économique à la fin de l'antiquité*
Paris, 1992.

Villeneuve, F: L'économie rurale et la vie des campagnes, dans
Hauran1, Paris, 1985, p. 60-89.

Villeneuve, F: prospections archéologiques dans le Hauran dans
contribution française à l'archéologie syrienne, Damas 1989, p.
151-18-58.

Villeneuve, F: *Les salles à alcove dans les maisons d'époque romaine et byzantine en Syrie*, Beyrouth, 1997.

Walter, C: The apotropaic function of the victorious cross, ***revue des etudes Byzantines*** 55, 1997, P. 193-220.

Wheatly, DW: ***A GIS based method for investigating intervisibility***, London, 1995.

Wincek, R: ***Applications of digital terrain data- archival map and historical aerial photographs for regional archeological analysis***
Leiden, 1995.

Zlatanova, S/RAHMAN, A: ***3D GIS: Current status and perspectives***, Canada, 2002.

ملخص البحث باللغة العربية:

لا يمكن إنكار ما أحدثته الثورة الرقمية من نتائج هامة جداً في تطوير الدراسات الأثرية في كل مراحلها، بناءً عليه عرضت في بحثي هذا أهم تقنيات الحاسوب وتطبيقاتها في دراسة المواقع الأثرية والتوثيق المعماري الأثري تمهيداً لمعرفة كيف يمكن الاستفادة من هذه التقنيات إلى أقصى حد ممكن بهدف إنقاذ ما يمكن إنقاذه من إرث حضاري بات اليوم مهدداً بالاندثار أكثر من أي وقت مضى.

تعتبر منطقة جنوب سورية واحدة من أكثر المناطق السورية غنىً بمثل هذا الإرث المهدد بالزوال إذ لم تعد مساكنها القروية العائدة إلى الفترة الرومانية البيزنطية التي صمدت قروناً عبر الزمن قادرة على الاستمرار في صمودها أمام الزحف المدني وتدخلات الإنسان.

نتعرف من خلال هذا البحث على ترتيب المساكن ضمن قراها وفق مخططات فرضها المحيط، إذ تمركزت هذه القرى فوق المناطق الصخرية بعيداً عن كل أرض يمكن زراعتها وقريباً من مصادر المياه، كما نتعرف على أهم ما تميّزت به هذه المساكن بدءاً من مادة بنائها الوحيدة الحجر البازلتي المقاوم عبر الزمن والذي استخدم حتى في بناء السقوف مروراً بالوحدة المعمارية المعيارية المتمثلة بقاعة القوس التي يجانبها غرفة متناضدة وانتهاءً بالزخارف التي زينتها والتي حملت بمجملها معانٍ تعويذية، وكيف تم تخصيص حيّزات الطابق الأرضي للنشاطات الاقتصادية ومن ضمنها تربية الماشية (الإصطبلات) بينما خصصت حيّزات الطابق العلوي للمعيشة والنامة، مجتمعة كلها في معظم الحالات حول فناء شكّل مكان مرور إجباري ومصدراً أساسياً للضوء. غالباً ما خلت غرف الطابق الأرضي من المنافذ المطلّة على الخارج حرصاً على الخصوصية العائلية بينما زودت غرف الطابق العلوي بعدد أكبر من المنافذ المطلّة على الفناء وعلى الخارج والتي يحميها رواق أو أفاريز من مياه الأمطار.

أختم بحثي أخيراً بصور افتراضية لواحدٍ من هذه المساكن (دارمجرش) كانت ثمرة تعاون مع مهندسين مدنيين ومهندسي معلوماتية. تبين هذه الصور عناصر المسكن الأساسية مشكّلة نوعاً من التوثيق لهذه العناصر من جهة وموضحة العناصر المفترض وجودها بناءً على المعطيات المتوفرة من جهة أخرى.

ABSTRACT:

We can't deny the important results of digital revolution concerning the development of archeology and its various fields. This research focuses on the most important applications of computer techniques in the study of archeological sites and the documentation of historical buildings, and how to get use of these techniques in the purpose of saving cultural heritage. The region of Southern Syria is very rich with such heritage. Due to the absence of conservation policies, its ancient houses which survived for centuries, are threatened today by being destroyed.

These houses belonging to the classical period were organized within their villages according to plans imposed by the environment. They were built over the rocky areas near the water resources and far away from agricultural lands.

From their structure and building techniques that are perfectly adjusted to the use of a single material, basalt, to their module consisting of the arc room and its dependent overlaying rooms, via their decorations and motifs which play an essentially apotropaic role, these village houses are characterized also by the separation between spaces used for economic activities on the ground floors from those kept for private life on the upper ones. The examination of buildings and decoration shows that these large houses were built relatively between the 3rd and 6th century.

As a result of cooperation with engineers and computer experts, this research presents virtual pictures of Dar Majarish, one of the remarkable houses of the ancient village of Muhajat. These pictures form a kind of documentation of the essential elements of the house. They show also visualized elements supposed by the available information.